

أحمد مراد

ڤيرتيجو

رواية

دار الشروق

Vertigo

ڤيرتيجو

ڤيرتيجو..Vertigo

رواية

أحمد مراد

الطبعة الأولى أغسطس/2007 ميريت

الطبعة الثانية يناير/2008 ميريت

الطبعة الثالثة أغسطس/2008 ميريت

الطبعة الرابعة يناير/2009 ميريت

الطبعة الخامسة أغسطس/2009 المؤلف

الطبعة السادسة نوفمبر/2009 المؤلف

الطبعة السابعة مايو/2010 المؤلف

الطبعة الثامنة مايو/2011 المؤلف

الغلاف: **أحمد مراد**

رقم الإيداع:16924 **/2007**

الترقيم الدولي: **977-351-375-0**

البريد الالكتروني : mouradstudio@hotmail.com

Vertigo
فيرتيجو

أحمد مراد

إهداء . .

إلى من جعلني أشعر بالناس من حولي . . صديقي "الأنتيم" أبي . .

إلى من قالت يومًا : "سيبك من الأتاري . . تعالى اشتري لك كتاب ينفعك" ومسحت بي أرض معرض الكتاب . . أمّي الحبيبة . .

إلى من أقنعتني بالكتابة بين ليلة وضحاها وتحمّلت ضرّة في البيت اسمها "فيرتيجو" . . زوجتي الرقيقة

إلي قلبي . . ابنتي "فاطمة الزهراء" الشهيرة بـ"توتة الزهلاء" . .

إلي شقيقتي العزيزة "أم ميشو" و"ميشو" وأبوه . .

إهداء . .

إلى أ. محمد هاشم . .

لن أنسى أوّل مرّة رأيتك حين قرعت بابك وفي يدي نص روايتي . .

لن أنسى وجهك حين قلتها " عجباني . . هطبعها " . .

لن أنسى حفاوة لقاءك . . ضحكتك المميّزة . . وجدران ميريت . .

شكراً . .

ابريل ٢٠٠٥ . .

فندق جراند حياة . . الساعة العاشرة والنصف مساءاً . .

صوت الزفّة كان يهدر أمام قاعة الأفراح مُعلنًا عن فقيد جديد، كُتب اسمه مع عروسه على لوحة ذهبية أمام الباب " ألف مبروك . . خالد ونانسي " . . تحرّكت الزفّة ببطء يسمح لراقصات الشمعدان ممتلئات الكروش الشاعرات بملل شديد جداً بأداء بعض الحركات التي لا تمُت للرقص بصلة على سبيل الترفيه الواجب . .

سيد الزفّة كان الطبّال، يرتدى صديرية لونها لبنى فاقع يتصادم مع ألوان الكرانيش المتدلية من الكم ليبدو مختلفًا عن البمبة المسخسخ الذي يرتديه باقي أعضاء الفرقة، وليظهر بمظهر المايسترو، بشعره المفلفل الطويل المتدلي على جبهته فيما زملاؤه يفسحون له المدعوين كأنه رائد فضاء، وهو منخرط تمامًا في الرقع على الطبلة . .

لم يكن أحمد كمال سوى مصوّر الفرح . . وككل مصوري الأفراح يعرف تمامًا مدى أهميته للحدث، لكن للأسف لا يلقون المعاملة اللائقة رغم أن الفرح بالنسبة إليه لم يكن بالأمر الهيِّن . . كان معركة لتسجيل لحظة ستكون ذكرى لآخر العمر، ولن يتذكره بعدها أحد، كذكر النحل الذي يكتفي بدور المُلقّح، ليموت شهيداً بعدها وتستمر الحياة بفضله ويأكل الآخرون العسل، خمري اللون لا يتنازل عن البنطلون الجينز، فوقه جاكت

بني هافان، ليبدو مثل أبطـال مسلـسلات الثمانينيـات. . لا ينقـصه سـوى رقعة جلد بني داكنة عند الكوع ليصبح "شاك نوريس"، وإن كان في قـرارة نفسه يعتقـد بوجود شبه كبير بينه وبين عمرو دياب، لكـن أحـدًا لم يلحـظ ذلك من قبل رغم محاولاته في اختيار ملابسه وحتى في مشيته أن يكون قريـب الشبه به. . حريص كُل الحِرص على أناقته الـتي تُكلِّفه مُعظـم مـصاريفه، حتّى لو تبخر آخر جنيه من جيبه، بالإضافة إلى بعض تمارين الحديد في صالة صلاح جولدن جيم من حين لآخر، ليظهر بمظهر الشاب الرياضي، متوسط الطول يرتدي نظارة نظر تُخفي شقاوة في عينيه التي يتدلى منها الهلال الأسود الشهير المُميز لشاغلي الليل، وتُخفي أيضًا ضعف بصر لو أدركه طه حـسين لأشفق عليه. . لا ينام أبدًا قبل السادسة صباحًا، ولا يخـرج مـن الفـرح إلا بذكرى فتاه جميلة يظن أنها تتبعه بنظراتها طوال الوقت، مُكتفيًا بتـصويرها "بورتريه" لعله يلقاها ثانيًا، يريها لزملائه ويُضيف من عنده بعض الرتوش وكأنها من طلبت منه صورة ورقم تليفونه وماتت في دباديبه، وقد يحكى لهُم عن عينيها التي دمعت لأنها مرتبطة وخطيبها بجانبهـا، تتمنّى أن يعـود بهـا الزمن لتتعرّف إليه. . يتحسس الكاميرا بيده ويُمسك بها من الحزام، موحيًا لمن حوله بالثقة وكأنه ولد بها على هذا الوضـع. . يـستخدم ثقـل الكـاميرا ليشد عضلة ذراعه ليُحلِّل الجنيهات التي يدفعها في صـالة الحديـد. . كانـت الزفة قد انتهت وبدأ الـ "D.J" في أداء وظيفته التي خُلق من أجلها، عمـل زار للعريس والعروس والأقـارب، لـتطهير الأرواح الـشريرة بالإضـافة إلى [illegible] حول العريس وتطرُد مـن رأسـه أحـلام ليلتـه، بـدأ أحمـد كمـال مهمته اليومية لعمل كادر للعريس وعروسـه، مـن دون أيـدي وأكتـاف أو

ادسمة متداخلة تعكّر صفو اللقطة، علاوة على سَماجة المعازيم، مهتمًا بصديقات العروس اللاتي يحرصن على هذا اليوم كأنه ديفيليه لكوكو شانيل، يرتدين فيه الفساتين الفتل وعليها الشالات الشفافة، مَن يعرف؟ فقد تقابل شريك لحياتها، وإن لم تفعل يكفي أنها رأت نفسها في عيون الشباب، تعوّد أحمد أن يقرأ كل تلك النظرات والإيحاءات حتى أصبح خبيرًا في التقاط إشارات التفاهم، كعسكري الإشارة في الحرب العالمية الثانية الذي التقط شفرة الألمان، حتى يحين وقت البوفيه الذي تعود فيه أحمد على الانعزال في بلكونة القاعة المطلة على النيل ليشرب سيجارته، خاصة بعدما حدثت مشادة بينه وبين مدير الصالة مستر رفعت بعدما وجده في طرف البوفيه بِجانب المدعوين فوخزه بصوت مسموع كمن وجد سفاح كرموز: لما الجيست يخلّص تبقى سيادتك تاااكل.. من ساعتها لم يقرب أحمد البوفيه، وإن كان ينضم إلى زملائه في غرفة المعدات ليتناول بعض الجمبري والرز بالخلطة ويُحلي بالمفضلة "أم علي".

لم يكُن اليوم يشعر بالجوع، خرج ينفخ دخان سيجارته في دوائر وربما أشكال هندسية يبددها الهواء الطلق سريعًا، متذكرًا أباه كمال إبراهيم، الذي تركه في التاسعة عشرة من العمر، وترك معه أمه وآية أخته والكاميرا والأفلام، التي باعها أحمد وترك المعمل لمستأجر جديد يستطيع دفع الإيجار الشهري، فقد كانت على أبيه مبالغ لم يُسددها فاضطر في النهاية إلى أن يتنازل عن المكان، واشترى بما تبقى كاميرا ديجيتال وكمبيوترًا منزليًا، متمشيًا مع روح العصر، وإن كان قد عزّ عليه فراق المعدات فهي من روح

أبيه، ولم يتبق له إلا ميراث من علاقات المرحوم مع موظفي الفندق القدامى، الذين يظهر عليهم التأثر عندما تقع أعينهم عليه، متذكرين أباه وما كان عليه من روح طيبة، إلا مستر رفعت، الذي يتعمد اهانته؛ فهو لم يلحق بزمن أبيه . .

كانت الساعة قد تعدّت الثالثة والربع عندما انسحب أحمد من القاعة، مكتفيًا بما حققه من صور غطى بها أحداث الفرح حسب الاتفاق مع العريس، وتوجه كعادته إلى الدور الأربعين بعدما وضع معداته في الحقيبة وسلم ديسكات الصور لسليم، الرجل الذي استأجر تصوير الفندق بعد والده، ذلك الكيان القصير السمين العرقان دائمًا بمنديله القماش المبلّل الذي لا يفارقه، يلبس البذلة والصديرى صيفًا وشتاءً فوق القميص الأحمر "خد الهانم" والحذاء البنص اللامعة والسلسلة الجنزير الذهبية المتدلية بداخل صدره الخالي من الشعر وكرشه العريضة المتدلية كبائع العرقسوس، بمداعباته الثقيلة التي لا تخلو من التلميحات الجنسية مع المضيفات والراقصات، حتى مع رجال الأعمال المترددين والمقيمين في الفندق، فهو يكاد يُصادق ترابزين السلم، شبكة تجسُّس لا تخفي عليها صغيرة ولا كبيرة عن أي مرتاد للفندق، ورغبة محمومة في حب الظهور ولفت الأنظار . . كان يعمل مساعداً لوكيل فنانين، فر من مكتبه بكل تليفونات الفنانين والفنانات الخاصة، وأجّر هذا المكان رغم عدم درايته بالتصوير، لتكون له مساحة في الفندق ينتشر بعدها انتشار البايروسول تحت البوتاجاز، ويمارس أخطبوطيته على كل من حوله . .

متزوج من اثنتين وعلى علاقة بثالثة، يصرف بسخاء على سهراته الحمراء ومزاجه من قطع المخدرات الملفوفة في السّلوفان الملون، إلا أنه يبخل في أجور المصورين الذين يعملون عنده، عمل أحمد لديه بعد وفاة والده ورحّب به، لأنه يعرف طبيعة المكان وطريقة العمل فيه، يكن له محبة لا تخلو من حذر، لأن هذا المكان كان ملك لوالده، ولا يريده أن يطمع فيه مرة أخرى، لذلك يبقى مُرتبه ومُرتب زَملائه بالكاد يكفي مقومات الحياة حتى يظلّوا في حاجة إليه..

يطل المنظر من الدور الأربعين على كوبري قصر النيل وبرج الجزيرة وأطراف الزمالك، مع الشوارع الناعسة لجاردن سيتي والموسيقى الهادئة وبعض الشموع والورود يكتمل الجو الخاص بالبار..

بار ڤيرتيجو.. الدُوار، أفخم بارات مصر وأشهرها، مكان يستضيف زبد المُجتمع ونجومه وبعض الضيوف الأجانب حيث يعمل حسام منير الصديق شبه الوحيد لأحمد كمال.. يلتقيان يوميًا بعد العمل لتمضية بقية الأمسية حتى طلوع الفجر، مخلوقات ليلية منذ أمد بعيد، لم يكن حسام يشبه أحمد في الشكل، فحسام دقيق المعالم، أصلع يطيل الشعر المتبقّي من الخلف ويعقصه بأستك، ولا ننسى السكسوكة الصغيرة التي تُشبه هلب المركب، كأنه لو تنازل عن إحدى التفاصيل لفقد إبداعه، يداه دقيقتان كمشرط الجراح، صُنعت خصيّصًا لأصابع البيانو، يرتدي نظارة نظر صغيرة جدًا وبطبيعة عمله يرتدي بذلة وكرافتة كل ليلة، يملك بذلتين فقط

و٢٠ كرافتّة من تشكيلة بوتيك "فوزي" بوسط البلد التي تبدو فخمة رغم رخص ثمنها ليبدو بمظهر جديد كل يوم..

"Pianist" كما يحب أن يلقب، غير متزوج ولا حتى مُرتبط إلى وقت قريب، باستثناء بعض المرات التي تعرف فيها إلى واحدة أو اثنتين من مضيفات المطعم الملحق بالبار، واللاتي لا تتعدى العلاقة بهنّ حدود الجد، فسرعان ما تنتهي بسبب الملل الذي يمارسه منذ الطفولة، هوائي محترف، لا تكاد عيناه تستقر على الشيء مرتين، خاصة إذا أجزلت إحداهُن العطاء وسقته من رحيقها، أو من الفتاة التي لا تفهم تلك الطبيعة المتقلّبة وتفكّر في الزواج؛ فحسام لا يدّخر شيئًا من مرتبه، بجانب أمه المريضة في إحدى شقق باب اللوق ذات السقف العالي وإيجار الجنيهات السبعة، حتى جاء اليوم الذي طلبه المتعهد المسئول عنه وأخبره أنه يريده في موضوع خير؛ فقد كانت علاقتهم علاقة صداقة بجانب العمل، وفاتحه في موضوع "كريستينا"، تلك الفتاة القادمة من مُولدوفا(*) مع طوفان الروس الذي يشبه هجوم النمل في فترات الصيف هربًا من الظروف الاقتصادية العسيرة.. أخبره أنه يريده أن يتزوج منها، فهي محترمة ولا تعمل في شو راقص، عازفة هي الأخرى، وسيكون هناك تفاهم، وتتحمل هي تكاليف معيشتها، وفي الوقت نفس يُساعدها على الإقامة في مصر.. وقد كان.. قابلها حسام في اجتماع عمل، ورغم معرفته بجمال تلك الشعوب فإنّه لم يتخيَّل أن تكون جيناتهم الوراثية قد توصلت لمثل هذا الاختراع المسمى "كريستينا"، بيضاء شفافة، كستنائية الشعر، ذات قوام رشيق، لا يكاد يضفي عليها الماكياج شيئًا،

(*) بلدة قريبة من روسيا منشقّة عن الإتحاد السوفيتي السابق..

عطرتها تحمل حُزنًا دفينًا، وإن كانت تتغلب عليه بابتسامة ذات نغزات تُنسي من تتكلم معه كل شيء، بإنجليزيتها المنمَّقة التي تحاول إخفاء لكنّتها الروسية بين حروفها، وتقع فريسة حرف "H" الذي يتحول إلى خاء "أي دونت نو خاو؟"، تسكن في شقة مؤجّرة تصلح استراحة له في أي وقت.

وافق حسام بشرط أن يبقى معها شهراً على سبيل التعارف.. لكنه وللمرة الأولى في حياته يشعر بالحب.. أحبَّها حين فشل أن يسأمها، كانت تختلف عن كُل من عرفهن؛ فهي متحررة بسيطة تشعر بجمالها، لكنها لا تعامل به من منطق الغرور، ففي نظره لو تعرف إلى فتاة مصرية بقدر الجمال نفسه لكانت في منتهى السطحية، وأهم من ذلك كله لن تحاصره بأين كنت؟ ولا تتأخر ولن أنام حتى تأتي، طب ادّيني "ميسد كول" لما تيجي.. إلخ.. كما لم يكن حُسام رغم الاختلاف الظاهر بينه وبين أحمد إلا أعزّ أصدقائه، وكأنهم باختلافهم يكملون بعضهم البعض، اتّفقا معًا في النشأة والمستوى الاجتماعي حتى فرقتهم الحياة، فتخرّج أحمد في كُلية التجارة ودرس حسام الموسيقى في كلية التربية، وتخرَّج ولم يجد عملاً حتى طلبوا عازفًا من متعهد فنانين وكان صديقًا لأحمد وبدوره جاء بحسام،،،

اقترب أحمد من حُسام ووضع يده كالعادة في فم البيانو، ليصنع درجةً نشازًا لا يلتفت إليها حُسام لمعرفته بالوحيد المتميز بتلك الحركات السّمجة...

أحمد: إيه يابني أنت بتعزف للحيطان؟؟

حسام: فيه اتنين حبّيبة أجانب ورا شكلهم بايتين عندنا النهاردة.

أحمد : أنا جعان موت ماينفعش تخلع .

حسام : مستر مرجان هنا ومش طالبة قرف .

أحمد : طَب أنا هنا عالبار بس انجز .

حسام : ماشي بس ماتطلبش حاجة . . كفاية كُباية البرتقال اللي اتدبست فيها المرة اللي فاتت . . هه .

أحمد : ورحمة أبويا لو جيت بيتنا مفيش حتّى كباية مية ساقعة .

حسام : أنت لاقي تاكُل أصلاً .

توجه أحمد إلى البار ليضع حقيبة الكاميرا وجلس بعد أن سلّم على هاني البارمان . . .

أحمد : إيه يا هُنّ أخبارك إيه يا معلم؟

هاني : فل يا حبيبي ، منوّر .

أحمد : شُفت الواد النتن . . مش عايزنى أشرب حاجة عندك . .

هاني : شوية لما الكابل دول يمشوا هطلع لك عصير . . بيبيس يا مان؟

أحمد : بيبس ، بس تصدّق إنك عايز تتصوّر وإنت وراك العك ده كله ، عشان تروح النار بليموزين .

هاني : إدينى واحدة بورتريه توتالة بس تجيبها . . استنى .

وعَدّل هاني من وضع ياقة القميص ورتّب الزّجاجات أمامه وأخذ وضع الكانجاروه إذا كان له وضع ، ولم ينس وضع يده تحت ذقنه ، ابتعد أحمد قليلا وأحكم الكادر وأخذ له لقطتين واحدة قريبة والأخرى واسعة مع البار كله ، وما لبث حسام أن انزلق هو الآخر واضعًا يده على كتف هاني مُبتسمًا بعد أن حاول إضافة قرنين . . واختلس أحمد لحظة من عمرهما . .

حسام: مَعاك سجاير؟

ناوله أحمد سيجارة وأشعلها له: أخبارك إيه يا واد؟

شدّ حُسام نفسًا طويلاً من السيجارة وذهبا معًا ناحية الزجاج ينظرون إلى القاهرة الغارقة في غُبارها المُعتاد، لا يظهر منها سوى رؤوس مبانيها الشاهقة المُطلّة على النَيل..

حسام: مش عارف... باين عليّا هعمِل حاجة مجنونة يا أحمد..

نظر إليه أحمد بعينٍ جاحظة: فيه إيه؟

حسام: كريستينا..

أحمد: إيه.. حامل؟؟

حسام: يا أخي لأ.. هنتجوِّز..

أحمد: أخيرًا يا ابن اللذين.. أنا كُنت حاسِس إنّك مِش هتكمِل.. اشمعنى المرّة دي؟

حسام: بحبّها يا أحمد بجد..

ردد أحمد بصوت ساخِر قلّد فيه حسام: بحبها يا أحمض بِجض!! من إمتى يله؟

حسام: لو إتّريقت عليّا مش هحكيلك حاجة..

أحمد: خلاص ماتتقمصش كده الصلعة احمرّت.. ارغى..

حسام: إنت عارف.. هي دي الدماغ اللي أنا عايزها، وبعدين مين هيوافق عليا بظروفي دي؟

أمي رجل هنا ورجل هناك والشقّة أصحاب البيت حَطّين عينيهم عليها، مستنيين أمي تِخَلع والشقة تِفضى عشان يبيعوا أرض البيت، إنت عارِف

قانون قديم وبإسم أبويا ومكانها جامد. . يعنى كده كده بايظة. . يا أحمد أنا ماعرفش أكوى قميص لنفسي وبعدين أنا حبّيتها أوى. . ومش قادر أتخيّل واحد تاني يلمسها. .

أحمد: أشُكّ إنّها هتكوى قُمصانك. . بس البت باين عليها جدعة ومُعجبة بيك شوية وبعدين بصراحة أمّورة. . مالهاش إخوات صُغيّرين؟

حسام: مُعجبة إيه ياخويا؟ شويّة؟ يا ابنى دى بتموت فيّا. .

أحمد: يا دكر. .

حُسام: طب إنت عارف أوّل إمبارح جايبالى حتة بيرفيوم. .

أحمد: يا ابنى عشان ريحتك وحشة. .

حُسام: إتلم.

صنع أحمد دائرة من الدُخّان: مالى إيدك منها كويّس؟

حُسام: البت كويّسة وزى القمر وبعدين دى روسيّة بس من الفلاحين بتوعهم، زي عندنا بالظبط، يعنى خام.

أحمد: بنت بنوت؟

حُسام: يا ابني أنا مايهمّنيش الكلام ده. . ماضيها بتاعها. . المُهمّ هي معايا دلوقتي عاملة إزّاى. .

أحمد: تبقى مش بنت. .

حُسام: مُخّك مقفّل. . يا ابني أنا هخلّيها حاجة تانية. . هغيّرها. . هيّ من دلوقتي اتغيّرت أصلاً، وبعدين احنا متّفقين في كُل حاجة. . البت ما بتُرفُضليش طلب. .

ابتسم أحمد لما أدرك أنه قد ضغط على قلبه بشكل كاف ليرى الحُب طافحًا في عينيه.. لم يستطع كتم ضحكته التي انطلقت فضحك حُسام على اثرها واحتضنه: مبروك يا قفل.

حسام: الله يبارك فيك يا وسخ..

أحمد: هتسمّي الواد على اسمي؟

حسام: أحمدوف كمالوفيتش.. والله مش وحش..

أحمد: هيطلّع واد عبقري..

أخرج حسام من جيبه علبة كُحليّة ونظر يمينه وشماله، ليتأكّد أن أحدًا لا يراه: قوللي إيه رأيك.

فتح أحمد العلبة ليجد بها خاتمًا ذهبيًا مُتواضعًا: مبروك يا حُس.. هي تستاهل أكتر من كده كمان..

في تلك اللّحظة انفتح باب المصعد المواجه لباب البار وخرج منه رجلان في العقد الرابع.. توقف الأول خارج الباب مُشعلاً سيجاراً فخمًا، يتمشّى مع بدلته الداكنة ذات الخطوط الرفيعة، والقميص ذي الياقة العريضة وأساور الكم المذهَّبة والساعة الضخمة في معصمه كمداد "جَيجر" الإشعاعي، تعرف هذا الطراز من الناس، المُتأنق دائمًا كأنه خُلق بالبذلة، كرافتة صارخة، أبيض البشرة المشربة بحُمرة النبيذ، كثيف الشعر أحمره، ممشوق الجسم، تليفونه المحمول حديث جدًّا، قد يتصل بالستالايت؛ ليعرف أسعار الورد في هولندا، والطبق المقدَّم على العشاء في مطعم باريسي. واسمه يجب أن يكون "عاصم" أو "شكري"، تقدّم الآخر الذي يبدو مُساعده إلى أقرب مُضيفة وهمس في أذنها بكلمات قليلة، أشارت إليه

بعدها إلى مستر مرجان مدير البار الذي اقترب من الرجل وتبادلا حواراً قصيراً، خرج بعده مستر مرجان في خطوات سريعة للرجل الواقف خارج البار مادّاً يده قبل أن يصل إليه بمترين تعبيراً عن ترحاب شديد . .

مال عليه الرجل وأخذه من كتفه وتمشى معه خطوتين ناحية المصعد يتكلم معه بصوت أقرب إلى الهمس قبل أن يسلّم على مستر مرجان ويرحل . . في اللحظة التي انغلق فيها باب المصعد خلف الرجُل انتفض مستر مرجان كمن وضع يده على سِلك كهرباء عارٍ، أسرع إلى الداخل ناحية مسئول الحجز . .

مستر مرجان : طارق جهّز لي ترابيزة على النايل فيو حالاً وماتستقبلش أي جيست، خلاص كِده النهارده . . فيه "VIP" جاي بعد ربع ساعة . . يله . .

طارق : أو كيه مستر مرجان كام جيست؟

مستر مرجان : اتنين ويمكن أكتر .

طارق : طيب والأجانب اللي جوه؟

مستر مرجان : طارق . . اتصرف، مشيهم، قولهم إن إحنا هنشطّب . .

طارق : أوكيه .

مر مستر مرجان على البار وكل العاملين يعطى تعليمات هنا وهناك؛ فتوضع الزهور على الجوانب ويأتي عامل لينظف الأرضية ويشرف بنفسه على وضع الترابيزة وما فوقها ويجلس على الكرسي ليُجربه ويرش الإسبراى المُعطّر ويكاد يفرش الأرض بالبقدونس لطلب الكباب الـ "VIP" القادم

بعد ربع الساعة؛ حتى وقعت عيناه على أحمد كمال الواقف مع حُسام، وكأنه عثر على صُرصار أمريكي مُجنّح في طبق شوربة . .

فهم أحمد نظراته وسحب نفسه إلى الخارج في حين اعتلى حسام صهوة البيانو . .

أحمد: هستناك في البلكونة برّه، هشرب سيجارة .

حسام: لو اتأخرت امشي إنت باين عليه جيست تقيل وحيطول .

أحمد: هستناك .

خرج أحمد ووراءه العاشقان الأجانب وكل واحد منهما يضع يده حول خصر الآخر .

دخل أحمد البلكونة واضعًا الكاميرا بجانبه، وأخرج من جيبه علبة سجائر محليّة وأشعل سيجارة . .

مرت عشر دقائق حتى انفتح باب المصعد وخرج منه رجلان يرتديان البدل الداكنة، تبرز من جوانبها فوّهات رشاشات جائعة، وبحركة تمثيلية وقف أحدهما بجانب المصعد، ودلف الآخر إلى الداخل ينظر في الوجوه ويتفحصها، كأن من يريد أن يفعل شيء سيكون مكتوب على وجهه، أو يحمل في يديه الديناميت مُبتسمًا، حتى بيانو حسام لم يسلم من نظرة سريعة وخلف البار، حتى استقر عند الترابيزة الخاصة وأخرج من كُمه ميكروفونًا صغيرًا وأخذ يتحدث بشيء على غرار: "كله تمام، تم التأمين، وأمسكنا بخلية إرهابية وألقينا القبض على بن لادن تحت الترابيزة" . . لم يكن أحد ليلحظ أحمد الجالس في زاوية البلكونة المغلقة دائمًا؛ ذات الباب المختفي

خلف الستائر الطويلة، والتي لا يدخلها إلا العمال لوضع الزهور في ذلك المكان الضيق أو لتغيير اللمبات المضيئة للبار..

في هذا الوقت نفسه كانت كريستينا مستغرقة في قراءة رواية على ضوء الأباجورة كما اعتادت كلما تبقت لديها طاقة بعد يومها الشاق، واضعة القطن المشبع بالكريم بين أصابع رجليها الصغيرتين، بعد أن طلت وجهها بحمام كريم أخضر داكن كأنها هندية حمراء، رافعة شعرها إلى أعلى وتعقصه بقلم رصاص؛ فهي تعرف مدى تأثير مظهرها على استمراريتها في العمل، فالموهبة وحدها لا تكفي في دنيا الرجال، فهي بجانب عملها ليلاً في الفندق تعمل صباحًا مترجمة في شركة سياحة، وكعادة البلاد التي كانت تسبح في فلك الاتحاد السوفيتي أيام مجده وقت الحرب الباردة وقبل سقوط سور برلين في ١٩٨٩، كانت تذكرة الخروج من ذلك القفص الحديدي هي إجادة فن ما أو رياضة كالباليه والجمباز فلا أحد ينسى "فريق البولشوى"(*) أو "ناديا كومانشى"، عُقلة الإصبع الرومانية المعجزة.. كان يتحتّم على أغلب الأسر تعليم أطفالهم أي موهبة تصلح طوق نجاه.. فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي لم ينج من تلك المحنة الاقتصادية غير مُمتلكي المهارات الخاصة في الفنون أو الرياضات، فأخذوا يتسللون كجحافل النمل الهاربة من خرطوم مياه الحديقة إلى أي بقعة أمان، وكان الوطن العربي ملاذًا لكثير من هؤلاء، حتى من لم تمتلك مهارة كان جسدها كافيًا ليكون سيارة الأجرة التي تضمن بها استمرار الحياة كسلعة رقيق أبيض للجلابيب البيضاء منتفخة الكروش في بعض الدول العربية، إلا أن كريستينا لحسن الحظ كانت تملك أصابعها، بالإضافة إلى جمالها الهادئ، فاتخذت طريقها مع النمل الأبيض إلى الجنوب،

(*) فريق الباليه الروسي الأشهر على مستوى العالم.

واستقرت في مصر منذ سنة ونصف من العمل المستمر، لتوفر لأمّها وأختين صغيرتين مُقومات الحياة..

كان لقاء كريستينا الأول بحُسام في اجتماع مع متعهد الفنانين في الفندق، عندما كان يستعرض ما سيتم توزيعه عليهم من عمل، ظل حسام يرمُقها من خلف النظارة كجهاز أشعة X حتى انتهى الاجتماع، وافتعل الحوار المشهور، هل هذه هي أول مرة لك في مصر؟ هل ينقصك شيء؟ أنا في خدمتك، لا عليك نحن زملاء فن واحد، لا لا لا يجب أن تفاصلي في الأسعار أنت لا تعرفين الباعة، بعد انتهاء العمل سأصطحبك إلى مكان رخيص جدًا حتى لا يخدعك أحد. سأوصلك للبيت إنتي لسّه جديدة هنا، هاعزمك على أكله مصرية مش هتنسيها اسمها فول، لأ فول.. فول مش فيول..

ورغم أن المتعهد هو من أقنعه بها ليكمل إجراءات إقامتها، فإنه من دون حتى الإشارة إليها كان سيمضى نحوها كالفلاح وراء النداهة.. في تلك اللحظة انقطع صمت الغرفة برنين موبايل كريستينا..

حسام: إنتى لسه صاحية؟

كانت إنجليزيته جيدة منذ عمل بأسوان في فندق كتاركت لمدة سنة.. وإن بدأ يتعلّم الروسيّة..

كريس: وإنت لسه في الفندق؟؟

حسام: فيه "VIP" جاى، أنا بكلمك علشان أقولك إني هتأخر.

كريس: أو كيه.. أنا في البيت إذا حبيت تعدى، فيه أكل في التلاجة.

حسام: انتى نازلة بكرة الصّبح في معادك.

كريس: الساعة ٨.

حسام: لو لقيتيني جنبك إبقى صحيني، عايز أقولك حاجة مهمة أوي.

كريس: حصل حاجة؟

حسام: لأ خالص.. وحشتيني بس.. فيه حاجة معايا ليكي كمان..

كريس: إنت كمان وحشتني.. جِبتلي إيه؟

حسام: مش هينفع في التليفون..

كريس: أو كيه.. هصحيك بُكرة معايا.. تيك كير.

حسام: أو كيه باي..

أغلق حسام الخط وشبح ابتسامة يطل من بين شفتيه.. تحسس العلبة الصغيرة التي تستقر في جيب البذلة الأيمن المكتوب عليها دائمًا مجوهرات فلان بميدان كذا كذا، قبل أن يتخذ مكانه أمام البيانو في اللحظة نفسها التي انفتح فيها باب المصعد وخرج عاصم السيسي " صدق حدسي.. اسمه عاصِم " ، الذي كان منذ ربع ساعة يتكلم مع مستر مرجان مدير البار ببذلته المقلمة؛ ولكن تلك المرة كانت تظهر عليه أمارات التبعية مادًا برجليه سريعًا، ليُفسِح الطريق لمن خلفه..

تقدم مستر مرجان حتى باب المصعد؛ ومد يده كعادته عند الترحاب الشديد قبل المصافحة بساعتين إلا ربعًا، حتى خرج وأراحه من الانتظار محيي ذنّون..

سنة ١٩٥٦ لم يكن محيي ذنّون سوى شاب في السادسة والعشرين، ابن عطا الله ذنّون صانع الجبس والمصيص الأقدم في مصر القديمة، يمتلك ورشة على الطريق تنتشر أمامها عواميد رومانية وفرعونية، سرر للسقف، تماثيل

ـلائكة ونافورات . . فنان بحق تتلمذ على يد خواجة يوناني ، ولم ينل تلك الخبرة إلا بعد أن عاهد أستاذه على عدم البوح بأسرار المهنة ، حتى توفي الخواجة ، وأصبحت لعطا الله ورشته الخاصة ، نحيل ، طويل كنخلة ، طيب المعالم يمتلك ذكاءً فطريًا في صنعته ، ومعاملاته التجارية ، على الرغم من أنه غير متعلم . أتاه الله في الدنيا حرفته وابنه محيي ، وماتت زوجته نجيّة قبل أن تأتي له بالعزوة في وباء الكوليرا سنة ١٩٤٧ الذي جاء من الهند مع جنود الإنجليز إلى معسكر في التل الكبير قبل أن ينتشر كالريح في جميع أنحاء مصر . تربّى مُحيي يتيما ، ساعد أباه إلا أنه لم يرث الصنعة في أصابعه ، فقط يصبّ الخلطة ، ينظف القوالب أو يبيع ، ويعرف في قرارة نفسه أنه لم يخلق للمهنة . . حتى بدأ فرار الأجانب واليهود من مصر تاركين "عُمر أفندي" وإخوته "بنزايون" و"عدس" و"هانو" و"شيكوريل" و"ريفولي" و"صيدناوي" و"شملا" للتأميم ، الذي حولهم تدريجيًّا من كبرى المحلات التجارية إلى مجمعات استهلاكية . ولم تكن المحلات هي كل ما تركه الأجانب واليهود عند رحيلهم من مصر ، إنما تركوا أيضًا قبورهم! كل من كان يسكن في مصر القديمة كان يعرف جيداً تلك المقابر الرخامية الفخمة التي تحرسها تماثيل الملائكة الحزينة والعذراء والقديسين ، تلك كانت مقابر الروم الكاثوليك واليهود بمنطقة "السبع كنائس" ، التي تأممت روحيًا من الزائرين الذين تركوا ذويهم ، ورجعوا إلى بلادهم بعد العدوان الثلاثي . . بدأ الجياع في تفقد تلك الأضرحة وخلع كل ما فيها من رخام وتماثيل لبيعه ، وبدأ الثراء يعم زائري القبور وعلى رأسهم محيي ذنّون ، الأكثر نشاطًا ونهمًا في عمله الجديد ، كأنه "هاورد كارتر" مكتشف مقبرة "توت عنخ آمون" ،

رغم رفض أبيه لهذا الثراء المبنى على تـراث المـوتى إلا آنّـه اقتنـع في النهايـة بإعطائه مكانًا في المخزن لبيع الرخام. . مرّت الأيّام ومات أبوه وتـولى يحيى شؤون العمل، وأول ما فعل أنهى صـناعة الجبس والمصّيص وتخصّص في الرخام، وتطور الأمر إلى شـراء ونـش ومنشار تقطيـع ثـم سـيارات نقل وزوجة. . ثريا. . مفتاح التبادل التجاري وصلة ترابط مـع فتحـي قنـديل، حماه، أحد أكبر تجار الرخام في المنطقة والأداة الأكثر تأثيراً لتحاشي منافسته، تلك الزوجة التي تظهر كثيراً في الأفلام المصرية، بنت شاهبندر التجار الـتي تكتشف أن زوجها قد تزوجها من أجل المصلحة ولكنهـا تفـضل المـضي في الحياة معه على أن تكون مطلقة؛ فلم يعد أبوها هو الشاهبندر. . أنجبـت لـه "سعيد" و"كمال" في لحظتي صفاء. تعرف كثيراً عن حكايات زوجها مـع السكرتيرة ونوال زوجة صديقه مأمون، كما تعرف جيداً حجم خاتم الماس هدية كل علاقة جديدة، إعرابه الصامت عن الأسف وتجنبًا لنظراتها تجاهه، فهو يعرف أيضًا أنها تعرف، وكأن هناك اتفاقًا غير معلن على تبادل المنفعة، فلم يتشاجرا كثيراً، تعرف أنها باردة في أحضانه ولن تستطيع إشباعه، وهـو يعرف أنها أم الأولاد ولا غنى عنها. . لم يتوقف طموحه عند ذلـك حتـى أصبح أكبر تاجر رخام في منطقة شقّ التعبان[*] وكانت الخبطة الكبرى عندما تولى تركيب رخام في قصر أحد باشاوات الثورة، وطّد علاقته بذلك الرجـل ذي السلطة غير المحدودة والذي استغل السيولة التي يملكها يحيى ورغبتـه في الاقتراب من الرؤوس الكبيرة في مجلس قيادة الثورة والاتّحاد الاشتراكي بعد ذلك، وأقنعه بالدخول في صفقة سلاح لتمويـل الجـيش في وقـت الحـرب.

(*) منفذ تجارى ومنطقة لتقطيع الرخام وتصنيعه. .

..ن هنا بدأت المرحلة الثالثة في حياه محيى ذنّون التي ابتدأت بسفره إلى الدول المصدرة للسلاح، وبتخليه تدريجيًا عن مصنع الرخام، وتولى أبناءه المسئولية، أمضى خلالها محيى سبع سنوات بين ذهاب وإياب، تعلم الروسية والإنجليزية إلى جانب الإيطالية التي اكتسبها من تجارة الرخام مع إيطاليا، صاحب محيى خلالها الرؤساء والوزراء ورجال الأعمال وأغدق عليهم بكرمه الزائد الذي لا يخلو من رغبة في كسر عين من أمامه، ليكون عليه جميل قد يسترده في يوم من الأيام. سهرات وهدايا وعلاقات لا نهاية لها؛ وانضم إليه سعيد ابنه لاحقًا كمُساعد في شأن صفقات السلاح التي امرت بمحيى أبعد من الحدود فتفتحت أمامه الأبواب، وإن ظل يحاول إخفاء نفسه عن الإعلام والصحف لكي لا يكون ذُبابة كبيرة على نافذة زجاجية في وضح النهار، يسهل اصطيادها، فالحنكة أن تعمل في الظل، ويكفي لأي مسئول كارت شخصي من محيى بيه، لتزال كل العوائق، فالكل يعرف أنه مسنود سياسيًا وماليًا.. هكذا تكونت إمبراطورية ذنّون التي احتلت مكانة الكبد في جسد النظام، وورثها النظام الجديد كما ورث السيارات الفخمة والخدم والقصور، يشهد عليهم ساكنو القبور التي عمرت، ليتغطى محيى وأمثاله..

قبل فتح المصعد بخمس دقائق كان أحمد في البلكونة يطفئ السيجارة الثانية وهو يخرج الكاميرا من الحقيبة ويركزها على تلك الحفلة الطافية فوق النيل. زفاف وموسيقى صاخبة لا يسمع منها غير الهفيف.. بضعة أجسام و أثواب لامعة تتراقص مستعرضة تضاريسها مجاملة للحضور، وفي الوسط العريس المتصبب عرقًا والعروس المُنهكة، وأحد المعازيم الذي ينفرد بحبيبته

بعيداً عن الصخب، ممسكًا بوردة وآخذًا في صب العسل في أذنها، مروراً بكوبري قصر النيل بعشاقه وبياعي مناديله، ثم الفندق المواجه الذي يهوى عشاقه ممارسة الحب والنوافذ مفتوحة على النيل؛ لكي يذكروا لأحفادهم أن بذرتهم قد أُلقيت على ضِفاف النهر العظيم.. كل ذلك يرصده أحمد بعدسته ويسجل ما يستحق منه؛ ليستقر في جوف الكمبيوتر في المنزل، عنده عدد من صور المراكب النيلية بعشاقها وعدد لا بأس به من الانفرادات الصحفية، على غرار مرور موكب رئاسي، وتصويره لرئيس الوزراء في حفل زواج ابنه، وخناقات وحوادث، مع بعض لقطات له مع مُطربات لبنانيات، ولا ننسى اللقطة الأكثر شهرة مع "عمرو دياب"، التي تحتل مكانًا مُميّزاً على الحائط في غرفته، يبدو فيها "عمرو دياب" وهو ممسك بالميكروفون يُغنّي مُنهمكًا، واضعًا يده على كتف أحمد الذي بدا سعيداً بابتسامته التي تبدأ من الأذن للأذن، إلا أنّه مُغمض العينين..

داخل البار صافح مستر مُرجان "محمود المليجي" بحرارة مؤكداً على أن فلسطين للفلسطينيين ومصر للمصريين وأوغندا للأوغنديين؛ وأكد أن قواتنا المسلحة هي درع الأمة الواقي..

نعم محمود المليجي، فلو لم يكن محيى ذنّون رجل أعمال لكان دوبليراً لمحمود المليجي ولكنه أطول قليلاً؛ نفض يده من مرجان ودخل في خطوات واسعة متحفِّزة للبار، محاطًا بعاصم السيسي سكرتيره والحارس الشخصي الذي كان عند المصعد.. لم تنقضِ دقائق بعد أن استراح محيى على ترابيزته وأخذ يطالع تليفونه وهو يضع نظارته الرقيقة على أنفه حتى انفتح باب المصعد ليظهر منه هشام فتحي، الذبابة الكبيرة على نافذة النظام. كان هشام

رجل أعمال من الوزن الثقيل هو الآخر، أمضى جزءًا كبيرًا من حياته بين وكيلات السيارات والمقاولات حتى اعتلى السوق، وأصبح من أسمن القطط على السجادة الاقتصادية؛ ظنّر نساء أو زير نساء كما يقولون، تطوّر الأمر إلى تصويرهم بالفيديو للاحتفاظ بأمجاد فراشه، تزوّج من رضيت بالزواج العرفي، ورافق في السر من أقنعتها الصُحبة فقط من الفنانات والراقصات اللاتي كان ينتهي عقدهن معه بالسيارة موديل السنة. يهتم كثيرًا بنسبة الفسفور في دمه من خلال الفيتامينات المستوردة، ويسندها بالحبات الزرقاء والجمبري والإستاكوزا؛ ليظل على كفاءته في الأداء، سكير من الدرجة الأولى، سمين عصبي ووسيم، يحمل قسمات التركي الأرستقراطي؛ فهو لم ينشأ مثل محيى ذنّون في ظروف كادحة، إنما ورث ثروته عن أبيه، وكان ذلك من عوامل النفور التي ضربت العلاقة بين الاثنين، بخلاف التنافس في البورصة وشراء أسهم الشركات، كل ذلك لم يكن ليعكِّر صفو النظام، حتى جاء اليوم الذي شعر فيه هشام فتحي أن حصّة المنتفعين قد بلغت المدى الذي أصبح معها يعمل لحسابهم وليس لحسابه، فقرر أن يخصم من نسبتهم تدريجيًا معتمدًا على حجّة السوق الراكدة والاختلاسات، فوضع نفسه تحت المجهر، وتمت مراقبته تليفونيًا وتسجيل كل ما يتفوه به في عمله وبيته وحتى مع عشيقاته، إلى أن تلقّى إنذارًا على يد فنانة اتهمته بالتعدي عليها، ثم قضية حيازة خمور مهرّبه في محاولة لإعطائه ضوءًا أحمر، إلا أن الصراع اتخذ لديه شكلاً من أشكال العناد، متخذًا من إمبراطوريته درعًا ظنَّ أنه سيقيه ضربات السلطة، خاصة بعدما قابل وجهها القبيح، وكانت الضربة قاسية عندما داهمت قوات

الشرطة فيلته لأول مرة، ووجدت أرشيف أشرطة التسجيلات العنترية التي يحتفظ بها، وهنا أدرك خطورة ما تفوّه به مع إحدى ساقطاته على أحد الأشرطة؛ مما زاد من تخبطه وعصبيته، حتى جاءه اتصال من سكرتير محيي ذنّون يطلب مقابله عاجلة.. وقد كان.. خرج هشام فتحي من المصعد وهو يتكلم في تليفونه المحمول؛ وقف أمام باب البار ببذلته السمنية وكرافتته الزرقاء المقلّمة وساعته الذهبية ذات معصم جلد التمساح، بدا مُتأنقًا بشعره الناعم وخُصله البيضاء المتسللة بين السواد كأصابع البيانو، التي يعتبرها سرًا من أسرار جاذبيته، على عكس مسلسلاتنا المصرية التي لا يشيب فيها الممثل إلا على تصفيفة شعر "عبد الناصر"، وتمرض الممثلة بالكبد والملاريا وحمى النفاس وتتلقى رصاصتين بين عينيها، وتبقى كاملة الماكياج حتّى في فراش الموت!!

أطال هشام فتحي عمدًا في عمر المكالمة مستمتعًا بانتظار غريمه، سياسته المتّبعة دائمًا مع عملائه ومريديه وحتى في علاقاته النسائية، وخاصة في حالة يدعوه فيها محيي ذنّون لمقابلته، فهو يعرف مُسبقًا علاقته بالنظام، وفي قرارة نفسه قد أنهك من مُعاداة السادة؛ لذا يُداهمه شُعور خفي يُشبه انتظار مُكالمة من أب طرد ابنه من البيت يدعوه إلى العودة.. ترجّل ببطء إلى باب البار ووقف يتأمل محيي الذي كلما نظر إليه تعمد الإشاحة بوجهه وهو يتمتم بكلمات مبتورة على غرار أنه لن يتنازل عن خمسين مليونًا في تلك الصفقة، وأن الأسهم في البورصة في صعود، وأن البنك سيقبّل يده، ليفتح لديه حسابًا..

ونزع محيي نظارته ونظر إليه ثم نظر في ساعته موضحًا أنه ليس لديه الليل كله لسماع مُكالماته؛ حتى رفع هشام يده من بعيد معتذرًا وأغلق التليفونه واقترب من ترابيزة محيي ذنّون: محيي باشا آسف والله الواحد إذا ما كانش يعمل كل حاجة بنفسه مفيش حاجة تمشى.. نهض مُحيي في ثقل الدولة المترغّطة ومد يده لهشام الذي سلم عليه وأخذه بالحضن في مودّة مستلمة: والله واحشنى..

مُحيي: هشام بيه عاش من شافك..

هشام: مشاغل والله يا محيي بيه..

مُحيي: أخبارك بتوصلنى دائمًا..

هشام: ياباشا بعض ما عندكم، نار على علم..

جلس الاثنان بعد المجاملات السخيفة وجاء مستر مرجان بما لذّ وطاب، ولو كنا في عصر الجواري لنادي لهُم الجارية كهرمانة لتسلّيهم، في حين جلس كل من الحرس الشخصي للاثنين على البار، كان حسام ينقر البيانو مقطوعة هادئة تحفظها أصابعه.. لفتت الحركة بالداخل نظر أحمد في البلكونة فأخذ ينظر بالزووم إلى الترابيزة التي تحمل كل تلك الثروة.. ملابسهُم وتليفوناتهم وساعاتهم وشفاههم وهى تتحرك متخيلاً حديثًا لن ينتهِ بين الاثنين..

محيى: شُفت الولد الفنّان اللي واقف في البلكونة ده؟

هشام: ولا فنّان ولا حاجة ده حتة واد مصوراتى بتاع أفراح.

محيى: بص مسكته للكاميرا تدل على عبقرية فذة..

هشام: أنا مش عارف إنت عاجبك فيه إيه؟ ده كل الموضوع إنه زى القمر وشبه عمرو دياب.

يحيى: طب تراهنني إن الولد ده لو معاه فلوس هيكسّر الدنيا؟

هشام: أراهنك.

يحيى: أنا هدفع له مليار جنيه وإنت مليار جنيه ونشوف هيعمل إيه.

هشام: وإذا ما عملش حاجة.

يحيى: المسامح كريم يا هشام بقه هو مليار جنيه دول حاجة.

كانت هوايته المفضلة، السباحة في أحلام اليقظة التي ينسى فيها همومه ومشاكله، يتزوج بأجمل نساء هوليوود، ويدخل في مشاحنات مع من يضايقه تنتهي بإفحامه أمام الناس، يركب أجمل السيارات ويجد مليون جنيه على الرصيف، يتحدى بطل العالم في الملاكمة ويهزمه ويمتلك فندقًا باسمه "انتركونتيننتال أبو كمال"، ويقضي صيفه في الريفيرا وهو لا يعرف مكانها!! عدّل أحمد من وضع الكاميرا وضبطها على التصوير بسرعة بطيئة؛ ليتجنب استعمال الفلاش، وأخذ يختلس صورًا مُقرّبة لساعاتهم وتليفوناتهم الفخمة وتعبيرات الأيدي والوجوه التي بدت ودودة من الخارج، إلّا أنها من الداخل كانت مملوءة بعلامات الاستفهام والترقّب..

هشام: أخبار البيزنس إيه معاك يا باشا؟

يحيى: هتسمع أخبار كويسة قريّب، إنت أخبار القضية بتاعتك إيه؟

ظهر على هشام عدم الارتياح للسؤال: إن شاء الله خير.. البت دي أصلها مدسوسة واللي وراها أنا عارفهم كويس.. وبعدين دي شوية

منوشرة وإنت عارف الجرايد . . إحنا أخبارنا أفظع من نجوم السينما . . لو واحد عطس في القاهرة يقولوا في أسوان يرحمكم الله . .

محيي بسخرية: لأ أنا قصدى قضية الخمور.

قال هشام وهو يشعل سيجاراً: دى كمان متلفّقة هو فيه حد ما بيشربش خمره؟ وبعدين دى حرية شخصية، الناس الحاقدة كتير يا محيى بيه، أهو ده اللي فاضِل كمان يبصّولنا في الكاس . .

محيى: ربنا يقويك يا هشام باشا . . ثُمّ نظر في ساعته: اعذرني إذا كنت مش هقدر أطوّل معاك لأن عندى ميتنج الصبح ولازم أنام بدري . .

هشام: أنا تحت أمرك.

محيى: إيه الموضوع المهم اللي إنت عايزنى فيه؟

هشام: ؟؟؟ أنا اللي عايزك؟ مُحيى بيه أنا جيت هنا بُناءًا على رغبتك!!

محيى: أكيد إنت بتهزّر!!

كان باب المصعد الداخلي النازل من المطعم الدوّار قريبًا؛ فالنازل يجب أن يمُر من البار الذي يُعتبر دوراً سحريًا قبل النزول المباشر من الدور الأربعين إلى اللوبي . . انفتح المصعد ليفرغ حمولة من ثلاثة في الوقت الذي تصاعدت فيه علامات الاستفهام كبالونات الهليوم من الترابيزة الوحيدة المشغولة بجانب الزجاج . . خرج من المصعد ثلاثة رجال مفتولو العضلات ببدل وكرافتات سوداء، تعبيراتهم خالية من الانفعال . . أخرج أحدهم سيجارة وأشعلها له الآخر أمام المصعد، وأخذ الثالث يتلكأ بجانب النافذة ناظراً إلى النيل ملتصقًا بالزجاج . . قام إليهم أحد الحُرّاس الشخصيين

الجالسين عند البار وتبعه مستر مُرجان، ليوضّحا لهما في هدوء أنهم غير مَرغوب في وجودهم حاليًا عندما انفجرت فجأة الأذن اليسرى للحارس الشخصي وهو يتكلم آخذاً جزءاً من جمجمته للذكرى، هوى بعدها على الأرض كالمكواة، بعدها حدث كل شيء بسرعة، لم يكن ما أقنع أذنه بالتخلي عن رأسه سوى طلقة خرجت من مسدس كاتم للصوت من المتلكّئ الذي كان منذ لحظة هائمًا في منظر النيل بجانب الزُجاج، في حين أخرج الاثنان الآخران مسدساتهما واستقرت طلقاتهما في صدر مستر مرجان، الذي تراجع بعنف وسقط على رقبته فوق كرسي البار سقطة قد تكون هي سبب وفاته وليست الرصاصة، سقطة كفيلة بإيقاظ رد الفعل المتأخر للحارس الآخر الجالس على البار، الذي أخرج مسدسه وأطلق طلقتين، أصابت إحداهما باب المصعد والأخرى استقرت في الجانب الأيمن للمهاجم الواقف بجانب النافذة، قبل أن تعاجله طلقتان من اتجاهين مختلفين في صدره وعنقه من الرجلين اللذين تفرقا في اتجاهات بدت محترفة ومدروسة.. اتجه أحدهم للبار؛ والآخران إلى الترابيزة التي قلبها هشام فتحي وأخرج مسدسه الكولت الفضي وأطلق على أقرب المهاجمين الذي بدا قائدهُم رصاصة أطاحت بنسيلة من كتفه، قابلت في طريقها رصاصة استقرت في وجهه، فوق فمه مباشرة، أسقطته على ركبتيه وانكفأ على وجهه الذي تغيّرت معالمه تمامًا، وأخرى أفلتت، لتمر من الزجاج، وتطير في الهواء بجانب أحمد الذي كان ضاغطًا على زر موتور الكاميرا، وهي خاصية تجعل التصوير متواصلاً لا ينقطع إلا بترك زر الضغط، لا يستخدمها إلا في المناسبات المُميّزة، فهناك من اللحظات ما لا يحتمل التأخير ثانية واحدة..

منذ سقط الحارس الأول ضغط أحمد بأعصابه على زر التصوير ولم يرفعه، مُسجلاً آخر لقطة في حياة هشام فتحي حتى مرّت الرصاصة بجانبه، فأصابت أذنيه بأزيز أعقبه صمم مؤقت جعله يفيق من تركيزه في منظار الكاميرا؛ ليتملكه الرعب من أن يلحظ أحد وجوده، سحب حقيبة الكاميرا والتصق بالحائط، في اللحظة التي كان فيها المهاجم الثالث يُسقط البارمان الذي ركض إلى الحمام، بطلقتين في ظهره، وتوجه إلى حسام الذي وقف متسمّراً خلف البيانو، نظر في عينيه للحظة بدت كساعة زمن، ثُمّ رفع فُوّهة مُسدّسه ناحيته في اللحظة نفسها التي حَوّل حسام نظره ناحية الشُرفة التي استقر فيها أحمد، باحثًا بحدقتيه عن الأخير الذي اختلس نظرة حذرة بنصف وجهه التقت فيها أعينهما لثانية، أغمض بعدها حسام عينيه، وتلقى رصاصة استقرت في شطر وجهه الأيسر، اخترقته وكسرت الحائط الزجاجي المملوء بالمياه خلفه الذي انفجر محدثًا صوت تفريغ هواء، واندفع الماء كالفيضان فوق حسام الذي سقط منذ لحظة، تلقى أحمد دانة مدفع في قلبه جعلته يجلس القرفصاء، موجهًا ظهره للحائط لا يشعر بغير تنميل في وجهه، وبرودة غير عادية تسري في أطرافه.. لم يعد هناك في البار غير طارق مسئول الحجز، الذي سقط الآن بجانب المصعد الخارجي منذ ثانية واحدة برصاص المهاجم الثاني، وأحد الويترز احتُجز في المطبخ.. ويحيى دنون الذي اقترب منه المهاجم الذي أردى هشام فتحي منذ لحظات، صانعاً بركة من الدم حوّلت بدلته السمنية إلى بذلة إعدام.. صوّب مُسدسه إليه في صمت، منتظراً صوت آخر رصاصة جاء صوتها من ناحية المطبخ لتستقر في الويتر المُحتجز، ثم أطلق ثلاث رصاصات مدروسة على رُكبة يحيى، سقط

على أثرها صارخًا مُمسكًا بِركبته . . رغم عمله في تجارة السلاح فإنّه لم يحمل مرة ما يدافع به عن نفسه . . ساد الصمت إلا من صرخاته الملتاعة . . اقترب مهاجمه وأمسك بوجهه وهمس في أذنه اليسرى ببضع كلمات غير مسموعة ، سكت على أثرها يحيى إلا من شهيق وزفير مسموعين وأنصت جيدًا ، حتى انتهى الآخر من كلامه ، فرمقه بنظرة ملأها الذهول ثم ارتمى على ظهره وأطرق بنظره إلى السقف الذي بدأ لونه يتغيّر تدريجيًا إلى الأسود ، قبل أن تغيب الأصوات من حوله ، كل ذلك لم يأخذ أكثر من دقيقة أضاءت الرصاصات سقف البار فيها بتتابع بدا كأضواء حفلة ، رآها أحد الجالسين على الكوبري وقال لصاحبه : ناس عايشه حياتها يابا . .

أخذ القتلة الثلاثة يجمعون أسلحة الضحايا في كيس بلاستيك أسود ، عدا سلاح هشام فتحي الذي أطلقوا منه عدة طلقات على أماكن متفرقة من الحوائط ، قبل أن يرجع ليد صاحبه الباردة مرة أخرى . .

مسحوا أسلحتهم في سرعة ورموا بها بجانب أيدي الجثث التي كانت منذ قليل تتنفس وتحلم . .

جرجر أحدهم الويتر الذي كان بالمطبخ وأخرجه أمام البار ، وضعه أمام باب المصعد ليظل مفتوحًا مانعًا أحدًا من النزول ، وأخذوا تليفون هشام ، ونظروا نظرة أخيرة إلى البار قبل أن يبتلعهم سلّم الطوارئ . . بكل المقاييس لم يكن أحمد كمال في وعيه ، لم يكن قد تخيّل بعد ما حدث ، كل ما كان يحرّكه هو حب البقاء ، حتى عندما صوّر جزءًا مما حدث ، لم يكن يرى سوى ألوان تتحول إلى أحمر ، شُل تفكيره تمامًا . . حاول الوقوف مستندًا إلى حائط البلكونة بجانب بقع الدم على الزجاج التي أخذت تنثال في لزوجة

وآثار اختراق الرصاص. . لمح يد هشام فتحي وإحدى أصابعه تهتز من أثر كهرباء باقية في أعصابه بدت كإشارات موريس، لم يكُن يسمع سوى صوت أنفاسه المتلاحقة. . رعشة شديدة ألّمت بيده اليسرى، وضربات قلبه خرجت عن حيّز السيطرة. . مضت دقيقة ربما اثنتان حتى تمالك نفسه قليلاً واقترب من الزجاج. . وجّه العدسة لأسفل، وأخذ لقطة متسللة ثم سحب يده ونظر إلى شاشة الكاميرا، فلم يجد إلا كرسيًا مقلوبًا وجزءًا من جسد هشام فتحي، ففعلها مرة أخرى ووسع زاوية العدسة لتلم بتفاصيل أكثر، ووضع الكاميرا أمام الزجاج، وأخذ لقطة وسحب يده ونظر فلم يجد سوى فوضى تأكد منها أن كل شيء قد سكن، فتح باب البلكونة في حذر وأزاح الستار ببطء، ليجد جثة "عاصم السيسي" سكرتير "محيى ذنّون" تسد طريق الباب بجانب الستارة، ممسكًا تليفونه وثلاث بقع حمراء تُزيّن بدلته. .

تحرك أحمد بحذر إلى داخل البار فلمح صديقه من بين أرجل البيانو، تملكته رعشة وهو يتّجه إليه، لكنه أشاح بوجهه حين اقترب من فظاعة المنظر. . لم يكن يملك مُتعة البُكاء وكاد يتعثّر وهو يبتعد مُحاولاً الحفاظ على أنفاسه المتلاحقة، لم يلحظ معها محيى الذي كان قد فقد كمية كبيرة من الدماء وذهب عنه وعيه، فاتجه إلى المصعد المسدود بجثة الحارس الذي كان يقف جانبه، وهم أن يستقلّه لكنّه رجع وأخذ لقطة مجمّعة للبار ثم ضغط الزر حتى انفتح باب المصعد، ولحسن الحظ كان فارغًا، فقفز فوق الجثة، وعاص بداخله ضاغطًا على زر "LL" الذي يعني اللوبي قبل أن يستوقف المصعد لحظة واضعًا رجليه أمام بابه عندما رأى صندوقًا أحمر صغيرًا مكتوبًا عليه بالإنجليزية "Alarm" وتحتها "اكسر الزجاج في حالة الحريق"، سدّد

للصندوق لكمة بكوعه كسرته، فارتج المكان بصوت سرينة عالية متقطّعة، وانطلقت نافورات المياه من السقف.. وابتلعه المصعد متهاويًا به تهاوى الدم في عروقه إلى رجليه..

أخرج ديسك الكاميرا ورفع بنطاله ودسّه في جورب رجله اليمنى..

في نصف المسافة؛ ضغط كلمة "**Restaurant**" ليتوقف المصعد بالدور الثالث، ويخرج إلى المطعم اللبناني مكملاً طريقه على السلم، حتى خرج من الفندق واندس بين زحام المارة المتطفلين، وأصوات سيارات المطافئ تقترب؛ وإضاءتها الحمراء تلطم وجوه الذين وقفوا يبحثون بأعينهم عن حريق أو حادث يصلح نادرة يتحاكون بها على المقاهي..

....

قُرب الفجر من الليلة نفسها توقّفت سيّارة مرسيدس سوداء أمام عمارة أنيقة بالمعادي. . كانت السيّارة تقّل راكبًا واحدًا، نزل منها يحمل حقيبة رياضيّة. . لم يكُن ذلك إلا أحد الثلاثة الذّين صنعوا بركة من الدماء مُنذ ساعات قليلة. . قائد المجموعة الذي أردى هشام فتحي وأصاب مُحيي الدين في رُكبته، بعدما بثّه تهديد في أذنه يحثه على الرحيل. . بدا مُرهقًا لا يحمّل ثقل الحقيبة على كتفه المُصابة من رُصاصة هشام فتحي. . فنقلها إلى الكتف الأخرى وأشار إلى السائق قبل أن يرحل: بُكرة بدري يا خليل ما تتأخرش. .

خليل: تعليمات سيادتك الساعة كام؟

أجابه: الساعة ٩ تكون عندي هنا. .

خليل: ٩ إلا رُبع بالظبط هكون قُدّام العمارة سيادتك. .

رفع يَده بتحيّة وأولج مفتاح المدخل وصعد الدور الثالث. . في مرآة المصعد أخذ يتأمّل وجهه. . عيناه الغائرتان وشعره القصير. . لونه الخمري وعظام وجنتيه العريضتان. . أنفه الحاد وملامحه الجامدة كالصخر، لا تعبير فيها. . جبهته البارزة في استقامة تُظلّل عينيه التي لا يصل إليها نور فتبدو مُظلمة. . بنيته الرياضيّة وقبضته التي تحمل كميّة لا بأس بها من الندبات. .

أعلن المصعد نغمة وصول. . انفتح الباب. . أولج المُفتاح بهدوء محاولاً عدم إصدار أي صوت. . كانت الشقّة فاخرة أنيقة. . دخل على

أطراف أصابعه في الظلام.. وضع الحقيبة وخلع جزمته عندما سَمِع صوتًا من غُرفة النوم: طارق؟؟

تنهّد بضيق: أيوه يا سُميّة..

لم ينتظر إجابة.. اتجه إلى غُرفة النوم.. كانت زوجته جالسة على الفراش تقرأ..

كتابًا عن السنوات الأولى للطفل.. بيضاء جميلة في قميص نومها الستان الأبيض.. شعرها كستنائي داكن مُسترسل.. رقيقة أميل إلى البدانة مُنتفخة البطن في شهرها الخامس من الحَمل.. نظَرت إليه عندما دخل الغُرفة ثُمّ دفنت رأسها ثانيًا في الكتاب: فيه عشا على ترابيزة السُفرة برّه..

لم يُجبها.. خلع شَرابه وفكّ قميصه برِفق لكي لا يُحرّك الضمّادة التي تُحيط الجرح في كتفه..

لاحظت سُميّة الضمّادة بطرف عينيها: إيه اللي حصل؟

طارق: جرح في الشُغل..

انتابها إحساس بالذنب من تجاهُلها المُتعمَّد: جرح جامد؟؟

طارق: يعنى.. مش أوى..

سُميّة: تدريب برضُه؟ آه والا صحيح أنا ماليش حق أعرف..

طارق: ما تبتديش..

سُميّة: بلاش أسألك؟؟

طارق: اسألي من غير استفزاز..

سُميّة: عارف إمتى آخر مرّة جيت بدرى؟

جزّ طارق على أسنانه: سُميّة أنا مش فايق..

سُمية: من شهر.. طب عارِف إمتى آخر مرّة اتعشّيت معايا.. خرجت معايا.. نمت معايا..

طارق: مش هرُدّ عليكي..

سُميّة: مش هتفرق كتير.. هو إنت أصلاً بتهتم؟؟

طارق: والله إنتي اتجوّزتيني وإنتي عارفة أنا بشتغل فين..

سميّة: آه.. بس ما أعرفش إني هعيش لوحدي بين أربع حيطان.. ما أعرفش إني هفضل أخمن معاد رجوعك.. ما أعرفش إني هعيش مُطلّقة مع إيقاف التنفيذ.. إتجوّزتني ليه أصلاً؟؟

طارق: إنتي مستنّياني عشان تقوليلي الكلمتين دول.. قُلتلك ميت مرّة ظروف شُغلي صعبة وإنتي عارفة.. ما أقدرش أتكلّم عنها مع حد.. مواعيدي صعبة أنا عارِف بس هعمل إيه؟ أستقيل وآجي أقعُد جنبك نبقى رُز؟

سُميّة: والله يبقى أحسن.. بنتك والا ابنك اللي في بطني ده مِش هيلحق يعرفك..

طارق: ما تكبّريش الموضوع..

قالها وترك الغُرفة واتّجه إلى الحمّام..

سُميّة: ما تسيبنيش أكلّم نفسي.. كفاية إني كِده لوحدي بقالي يومين..

لم يُجبها.. أغلق باب الحمّام عليه.. فتح المياه الساخنة وظل ينظُر إلى نفسه في المرآة حتّى تصاعد الدُخان الساخن أمام وجهه.. كان يبدو أكثر رشاقة بالفانلة الداخلية الحمّالات..

طرقت سُميّة الباب: طارق.. أنا هروح عند ماما بكرة.. لمّا تبقى تفضالى إبقى تعالى خُدنى..

أحنى رأسه في الحوض وأغمض عينيه تاركًا الماء الساخن ينثال عليها.. كان يستعيد تلك المذبحة التي نفّذها مُنذ ساعات.. لم تكُن المرّة الأولى التي يُنهي فيها حياة إنسان.. يرى نظرة الموت في عينه.. يشعُر بالألم يعتصر ضحيّته من أثر المقذوف الساخن الذي هتَك أنسجتها وأعضاءها واستقر ليستنفد أسباب الحياة منها.. تلك الرعشة.. رعشة الذبيح في نزعه الأخير.. تلك الحشرجة..

إلا أن شعورًا مُختلف كان يتسلّل إليه تلك المرّة.. إحساس شديد بالذنب.. كم بريء قتل اليوم مُقابل هدفين مطلوبين فقط.. كانت الأوامر واضحة.. الكُل.. لا مجال لشاهد واحد.. نفّذ الأوامر وبعدين نتجادل.. نفّذ وبعدين نتكلم.. ده أمر.. أمر..

قضى خمس دقائق في تلك الوضعيّة.. يتأمّل وجه لم يعد يعرفه.. خرج بعدها؛ ليجد سُميّة قد أطفأت النور وأدارت ظهرها ناحيته..

رفع الغطاء ودس نفسه بجانبها.. ظل مُستلقيًا على ظهره للحظات ثُمّ مال ناحيتها.. احتضنها من الخلف ولامس بطنها المُنتفخ براحة يده.. لم تُبد مُقاومة.. وضعت يدها فوق يده.. أغمضت عينيها وظلّت دموعها تُبلّل مخدّتها حتّى نامت..

. . . .

قبل شهرين من مذبحة البار . .

في ليلة باردة من ليالي فبراير دوى صفير متقطع لجهاز اللاسلكي فوق المكتب العريض في غرفة مصطفي عارف، في ذلك المبنى الهادئ في أطراف المدينة.

تششت : مصطفي باشا . .

مصطفى : اتفضل . .

تششت : وصول يا فندم باب ٢ . .

مصطفى : مع الشكر . .

التقط سماعة التليفون وانتظر ثانيتين : دخَّل الضيف على طول على الباشا وهات الملفات اللي حضَّرناها وتعالى قدام مكتبه بسرعة.

وضع يده على زر في أقصى اليسار من أعلى التليفون وانتظر أربع ثوانٍ : ضيفك وصل يا باشا . . حاضر يا باشا . . حصل يا باشا . . نبهت عليهم على البوابة . . دقيقتين بالضبط يا فندم . . اتفضل يا فندم اتفضل . .

أغلق السماعة وهرول يلتقط الجاكت من خلف الكرسي الجلد الكبير تحت صورة البورتريه العتيق وأغلق تليفونه المحمول، ضيق ربطة عنقه المسترخية ووثب ناحية الحمام الصغير الملحق بالمكتب واطمأن أن شعره لا يزال نائمًا فطبطب عليه وتأكد من اتجاه حواجبه، وربت على كرشه محاولاً حشر ما تيسر منه داخل بنطلونه، ثم خرج للطرقة التي هبّ فيها شاب

حليق الرأس واقفًا ورفع يده بالتحية. . مشى بضع خطوات على السجادة الحمراء تحيطه الجدران البيضاء ذات الإضاءة الهادئة، وكلما مر بباب هب من عليه رافعًا يده بالتحية فيرد عليه بأخرى فاترة، حتى توقف عند باب في آخر الطرقة مشيرًا إلى الشاب الذي انتفض كعفريت العلبة أمامه: ماتدخلش علينا غير لما أناديك، اجرى دلوقت حضر شاي وقهوة مظبوطة وحاجة ساقعة عشان مش هنستنى لما تعمل. . يلله.

الشاب: أوامرك سعادتك. .

وركض الشاب إلى البوفيه بجانب المكتب، نظر مُصطفي في ساعته فإذا هي الحادية عشرة والربع مساءً. .

بعد لحظات انفتح باب في الاتجاه الآخر من الطرقة؛ ظهر منه زميل يُشير بعلامة الترحيب إلى من خلفه. . لحظات حتى ظهر عادل نصّار. .

يمشي ذلك الرجل وكأنه بلا أرجل، لا تكاد تلحظ حركة في نصفه الأعلى. . جسم رياضي عريض رغم السن التي تخطى الستين. طويل، رأسه أصلع كالقرع العسلي مزيّنة ببقع السن البنية، كثيف شعر جوانب رأسه المصبوغ مع شاربه حتى الثمالة، أنف حاد وذقن عليها طابع حسن غائر كطعنة مفك صليبية. . وثب مصطفي سريعًا عندما ظهر الضيف، أخذ الطرقة الطويلة في أربع خطوات متعمدًا أن يراه الضيف وهو يبالغ في الترحيب. .

مصطفي: أهلاً يا فندم منور الإدارة سعادتك. .

ومن دون أن يتوقف تلقف عادل نصّار يد مصطفي المرتعشة وهو يمشي بجانبه: أهلاً يا مصطفي إزيّك؟

يا له من صوت يغار منه يوسف بك وهبي إذا سمعه . .

مصطفى : كله تمام يا فندم نفس سيادتك معانا يا فندم .

عادل : صفوان جوه .

مصطفى : منتظر سعادتك من بدري يا فندم ، واللهِ حضرتك نورت يا فندم . .

ثم يعره عادل اهتمامًا فقفز أمامه في حركة تمثيلية يتقدمه ليفتح له الباب ؛ ويعطى إشارة لوصول الضيف

مصطفى : اتفضل يا فندم .

كان المكان واسعًا جدًا ضيقًا بأثاثه ، مكتب عريض ضخم خلف الرفان الأخضر ، أمامه مكتبة داكنة عليها تماثيل فرعونية صغيرة وكُؤوس وميداليات ذهبية ولقطات " شيك هاند " وتلقى الأنواط والأوسمة ، وآية قرآنية في برواز ، وصورة لطفلَين ، وصورة لرجل مفتول العضلات وسط زملائه تبدو قديمة ، ووراءهم كُثبان رملية ، وصورة لشاب في الكلية الحربية وسيف ساموراى ياباني وفازة بها ورد صناعي ، يتوسط كل ذلك تليفزيون كبير . وبجانب المكتبة لوحة عليها نياشين وشهادات تملأ الحائط ، تحتها ثلاجة صغيرة بجانبها كنبة سرير وتكييف ،

و ترابيزة تتوسط الغرفة عليها طفاية سجائر ورائحة مُعطّر جو رُشت من خمس دقائق ، وخلف المكتب صفوان البحيرى . .

اثنتان وثلاثون سنة من الخدمة تجلس خلف هذا المكتب ، تدرّج في المنصب حتى اعتلى قمة من القمم ، جسم رياضي ووجه وسيم وعيون زرقاء وشعر فضي ، في أواخر الخمسينيات ، يرتدى بذلة بنية وكرافات

أصفر برابطة عريضة، خرج من خلف المكتب ليرحب بضيفه الذي لا يأتي إلا ومعه الأحداث، وأطفأ بيده قناة الجزيرة ليسود السكون الذي قطعه عادل نصّار بدخوله . .

عادل: أهلاً يا صفوان إزيك . .

انحنى صفوان وهو يلتقط يد عادل نصار: أهلاً يا فندم أنا كويس طول ما سيادتك بتنورنا بزيارتك لينا يا فندم، إزى سعادتك؟

عادل وهو يجلس على الكنبة: أخبار الشغل إيه؟

صفوان: كله بفضل توجيهات سعادتك يا فندم . . تشرب إيه الأول يا فندم؟

أراد مصطفي أن يكون من الملوّحين في نشرة الأخبار خلف المذيعة: قهوة سعادتك زى كل مرّة يا فندم؟

عادل: هاخود قهوة مظبوط.

مصطفى: تؤمر يا فندم . .

أومأ له صفوان أن اختفي حتى أطلبك؛ قبل أن يخرج مصطفى دخل الشاب بصينية القهوة المرتعشة لا يجرؤ على النظر في عين أحد، وضعها مع المياه وخرج مسرعًا.

رشف عادل نصّار رشفة من الفنجان ونظر إلى صفوان الذي جلس في آخر الكنبة بوضع غير مريح ليعطى بالمسافة انطباعًا عن إحساسه بالمقام والتقدير.

صمت عادل كان يهيئ صفوان لسبب الزيارة؛ قفزت علامات
استفهام بداخل الأخير الذي انتظر الضربة الأولى من عادل بعدما رشف
...رته بهدوء: الباشا الكبير مش مبسوط يا صفوان.

صفوان: خير يا فندم؟؟

عادل: إنت عارف إن إحنا داخلين على فترة صعبة يا صفوان والباشا وضعه حرِج..

فيه حاجات لازم تتصفي عشان الأمور تستقرّ وتهدأ..

صفوان: فيه أي تقصير من عندنا يا عادل بيه؟

عادل: لأ.. بس فيه شوية نقط عايزين نقفّلها.. أولاً الباشا وصلّه تسجيل بصوت هشام فتحي بيتكلم مع واحدة مومس فيه عن ابنه.. واحد حب يعمل بنط ويعرّف الباشا إنه صاحي.. إنت عارف ألف مين يتمنّى يخدِم الباشا ويعرّفه إننا نايمين.. هشام فتحي الغبي ده ضيّع نفسه، الباشا مش عايزه خالص، إحنا مش عايزين حد يفتح موضوع ولاده ده، وبالذات في الفترة دي، الناس ما بتصدّق.. ثانيًا نسي نفسه وبيخبّط على باب يامن أنور بتاع حزب المستقبل وبيموّله.. الموضوع مايوصلش لكده هّو فاكره هينفعه.. زوّدها أوي وكفاية عليه كده..

صفوان: إيه اللي تأمر بيه سعادتك؟

عادل: حادثة أولاد ذوات، زى كريم السويسي اللي قتل مراته وانتحر.. حاجة تتقفل القضية فيها قبل ما تتفتح.. البلد تتقلب يومين والناس تنسى لأن التحقيق إتقفل، ممكن كمان إشاعة على

قهوة في ميدان رمسيس تلفّ مصر في ساعة زمن في القطر، الناس تشمّ إن الموضوع فيه نسوان..

صفوان: فهمت سيادتك... سيب الموضوع ده عليّا يا باشا..

أخرج عادل نصّار سيجارة من علبة ذهبية وعدّل من وضع ساقيه: فيه حاجة كمان..

نفخ دخان سيجارته ونظر إلى صفوان ثم قال: محيى ذنّون..

أحس صفوان أنه لم يستمع جيداً إلى ما قاله عادل نصّار: ماله يا فندم حد مضايقه!!

عادل: محيى ذنّون فجأة في ٢ فبراير اللي فات حوّل مبالغ كبيرة أوى بره البلد.. كمان فيه صفقة سلاح طلبناها منّه إعتذر بأن فيها عيوب تصنيع؛ وإحنا عارفين كويّس أوى إن ده مش صح.. وشوية حاجات تانية.. إنت عارف كمان إنه حرس قديم من أيام عبد الناصر ومفروض علينا دلوقت.. المرحلة اللي جايه مش محتاجة واحد زى مُحيى ذنّون.. وفي نفس الوقت السبب الأساسي إنّه مش سايب فرصة لواحد زى أيمن وصفي إنه يدخل السوق؛ وإنت عارف إنه صديق مقرّب للباشا وكُل يومين عنده.. وعارف كمان إن الباشا مايحبّش الاحتكار خصوصاً لما تلعب بديلك.. إحنا عايزين نديّله إنذار تقيل شوية.. حاجة تأثّر فيه.. تكسره.. يعني يبقى موجود ومش موجود.. فاهمنى يا صفوان؟ وصلت؟

فان ذهن صفوان شاردًا قليلاً من المفاجأة . . مُحيى ذنّون؟!! هذا الرأس الكبير الذي أصبح من ثوابت القمّة!! مثله مثل كوبري قصر النيل وتماثيله ووسط البلد وميادينها، فهو لا يتذكّر زمن لظهور ذلك الرجل . . كأنه موجود قبل بداية كل شيء، فقد تكون هناك رسومات على جدران معابد الفراعنة تحمل اسمه؛ "موحيى ذا نون" مثل توت عنخ آمون، وها هو يأتي اليوم الذي يُطلب منه فيه تقليم أظافره . .

لم يكن ذلك ليشغل بال صفوان البحيرى؛ فهو قد شهد أكثر من ذلك، ومات بداخله بالسكتة القلبية ذلك الرجل المدعو ضميرًا، وحلت محلّه سيارة سوداء بستائر، وأشخاص يحيّونه ويجرون في خدمته . . كانت آخر مرة يشعر فيها بصوت ذلك الكامن بداخله منذ اثنتين وثلاثين سنة، عندما سلّم عمله تحت إمرة شريف أمين، أحد الأساطين في عام ١٩٦٣ . .

وكانت مهمته مراقبة فنانة سينمائية مشهورة تبيع نفسها في ذلك الوقت بثلاثمائة جنيه في الليلة، وهو مبلغ كان وقتها مُعضلاً؛ لكنه زهيدًا بالنسبة لمشوقة السينما المصرية، وعن طريق صديقة بدينة وقوّادة تعمل معها، يتم تنظيم مواعيد تقديم المُتعة لراغبيها من ذوى الجيوب العامرة . . كانت المهمة أن يتم استدراجها إلى عشيق أجنبي وهمي بسعر مُغر، وفي اللحظة التي تختلي بها؛ وتتساقط أوراق التوت، تُداهم المباحث الشقة المراقبة مسبقًا بكاميرات السينما الـ١٦ مللي، ويتم القبض عليها بتهمة الدعارة بدليل الشريط السينمائي المسجّل، وبالتالي وقعت عليها سيارة نصف نقل عندما أفهموها أن ذلك الرجل لم يكن إلا جاسوسًا إسرائيليًا، وأنّها ستواجه تهمة التخابُر مع دولة أجنبية؛ أصيبت بانهيار عصبي؛ وأصبحت عجينة طيّعة

تُقذف إلى أي مسئول عربي أو أجنبي؛ ويتم تصويرها معه ثم ابتزازه بالتسجيل ومساومته، إمّا سمعته وإمّا الإدلاء بالمعلومات القيّمة.. وبلغت السخرية مداها حين اقترح أحد المُشرفين على شرائطها في أواخر الستينيات أن يتم بيع تلك الأشرطة في لبنان لتكون مصدر دخل بدلاً من حرقها والتخلّص منها!!

أفاق صفوان من شروده على صوت عادل: فهمتني يا صفوان؟

صفوان: مفهوم يا فندم.

عادل: أنا عايز الموضوع ده يتم في أقرب وقت.. الباشا طالما كلفني بحاجة هيسأل كل يوم لغاية ما يطمّن.. مش عايزينه يقلق لو إتأخّرنا، ومش عايز أأكد إن الموضوع لازم يتم بنضافة.. نسّق مع الناس بتوعك وشوف حد في الطب الشرعي، والجرايد طبعًا والمُعارضة كمان..

فيه وجوه جديدة عندك تقوم بالموضوع ده؟

شرد صفوان بنظره ناحية المكتبة ثم قال: فيه ولد ممتاز تحت إيدي يا فندم، لسّه مخلّص تدريب ٦ أشهر في أمريكا، وجاهز في أي وقت..

عادل: اسمه إيه؟

صفوان: طارق حسن عبد الله.

عادل: المهم إنه يكون ذكي ويوصّل الرسالة لمُحيي.. الغلطة بورطة يا صفوان..

صفوان: إطمّن يا فندم.. الولد ده مُمتاز..

قام عادل وقام وراءه صفوان وتوجّه إلى الباب: جهّز كل حاجة وإدّيني
ام عشان أبلغ الباشا..

صفوان: حاضر يا فندم، هيكون فيه إتّصال بسيادتك في أقرب وقت..

اقترب من الباب حين تذكّر أمراً: أخبار عمرو حامد إيه؟؟

صفوان: إمبارح سافر له الشيخ خالد عسكر وإبراهيم شافع؛ وفيه مقابلة مَعاه بكره في لندن..

عادل: مش هيوافق.. الواد ده عنده ميول سياسية..

صفوان: يا فندم إبراهيم شافع هيعرض عليه عمود ثابت في الجرنال كل أسبوع، هو عايز إيه أكتر من كده؟ وخالد عسكر جايب له عرض من قناة فضائية..

احتد عادل فجأة كالتنّين: الواد ده لِمِع أوي! زيادة عن اللزوم، لو قام ... الصلاة وقال للتلاتين ألف اللي بيسمعوه الحكومة دى مش مظبوطة ... مل لنا أزمة.. العيال مُخّها فاضي وبتلزق للأشكال دي.. أنت عارف ... ن وتأثيره.. لو ما رجعش أنا مش هخلّيه يعرف يقعد هنا يومين في مصر ... ولا حتّى يعتّبها..

صفوان: المسألة مسألة وقت يا فندم؛ وإذا رفض فيه حلول تانية؛ إحنا سكّتنا الجرايد، نفتحها عليه تاني، وإشاعة تقول إنه بياخُد ربع مليون جنيه في الحلقة، أو فنانة بتاعتنا تقول إنه طلب يتجوّزها في السر أو على علاقة بيها؛ هتزعزع ثقة الناس فيه، مش بس هنا؛ لأَبره البلد كمان، أي واحد زيّه يخاف أوى من دى، وخالد عسكر هيوصّله الكلام ده كويس..

عادل: مالي إيدك من خالد كويّس؟

صفوان: خالد ده بتاعنا يا باشا، هو هينسى نفسه، شرايطه عندي؛ وملفّه مليان؛ وهو بصراحة مطيع، وبعدين الفضائيات ملمّعاه وبيكسب كويس دلوقت، هيلاقى إيه أحسن من كده..

هز عادل نصّار رأسه ونظر إلى صفوان: طمنّى أول بأول..

صفوان: أكيد سيادتك..

خرج عادل ووراءه صفوان يصحبه حتى السيّارة ووراءهما مصطفي عارف، وقفوا جميعًا أمام السيّارة وهى تتحرّك؛ رافعين أيديهم في انتباه حتى غابت حين التفت صفوان: مصطفى.. عايزك في مكتبي حالاً.. عندنا سهرة طويلة.

....

بعد سنة . .

مايو ٢٠٠٦ . .

كانت قد مرّت سنة منذ حادثة الفندق، ماتت فيها زينب حسن نصر في الخامسة والستّين بمضاعفات السكر، بعدما سبقتها أصابع أرجلها إلى التراب الواحد تلو الآخر، وأتمّت آية عامها الثالث منذ قراءة الفاتحة على محمود حسيب ابن الجيران البدين . . رفيعة آية، سوداء الشعر، دقيقة الأنف، رقيقة الحواجب، تخرّجت في كليّة الآداب ـ قسم اجتماع، وتعمل حاليًا سكرتيرة في شركة استيراد بشبرا، قريبة بالمترو من السيدة زينب حيث تسكن هي وأخوها بعد وفاة والدتهم، كانت آية قد أحبّت محمود منذ كانت في الإعدادية، ذلك الحب الصامت الذي يتحوّل بالتدريج من نظرات من شباك البلكونة، إلى جواب، فمقابلة بعد المدرسة، مرورًا بالدبدوب الأحمر ذي الـ ١٨ جنيهًا من بوتيك "فالنتاين"، والسلسلة ورقة الشجر التي تحمل لا إله إلا الله محمد رسول الله المقسومة إلى جزءين، وبارفان "تاتش" وتليفونات الليل ثم اللّف على حدائق القاهرة مثل زائري الأولياء، مرورًا برحلة القناطر من عند ماسبيرو، وركوب العجل، واختلاس الأيدي والأحضان المتوتّرة، انتهاءً بقراءة الفاتحة طويلة الأمد على الجار الهائم، أو الأستاذ محمود كما يلقّبه بواب العمارة، التي يملك أبوه الحاج حسيب نصفها، منتشيًا بإيجار العشرين جنيهًا من كُل شقة . . كان محمود قد تخرّج في معهد

الحاسب الآلي، وكأي خرّيج محترم بحث لنفسه عن وظيفة بعيدة كل البعد عن مجال دراسته، عمل في شركة لتليفونات العملة، ثم صرافة، وعمل معها بعد الظهر في شركة التقوى لملابس الجملة بالموسكي، يملكها الشيخ أكرم، ذلك الرجل الذي أخذه إلى عالم لم يكن يدري عنه شيئًا، فمن شاب كانت من مهاراته تجانب السجائر وسماع الأغاني ورؤية بعض الأشرطة المريبة عند أصدقائه، يصلّي الجمعة والأعياد فقط، إلى شاب يصلّي الوقت بوقته في المسجد أسوة بصاحب الشركة وزملائه، مرورًا بالانطواء عن الأصدقاء والنظرات المشتتة إلى الأرض وانقطاع السلام على سيدات الحي، حتى قَصُرَ جلبابُه وانثنى بنطلونه وضاع حذاته وحل محلَّه الشبشب الجلد ذو الإصبع، وزحفت على وجهه الذقن المهترئة، وحلّ السواك مكان المعجون، وأضاف إلى قاموسه "جزاك الله كل خير"، و"ربّنا يحسن خاتمتك" وترك عمله الصباحي في شركة الصرافة للبعد عن الشبهات، واكتفي بشركة الحاج أكرم عوضًا عنها.. حتّى جاء اليوم الذي لبس فيه حزامًا ناسفًا وفجّر نفسه في ميدان التحرير وتناثرت أشلاؤه و...

لا لا لا.. لم يفّجر نفسه، فمحمود لم يكن ينتمي لخليّة إرهابية، ولم تكن الشركة سوى أفراد أرادوا بذلك أن يتقرّبوا إلى الله بطريقة هي في نظرهم المُثلى، على الصعيد الآخر تناثرت شظايا التغيير من محمود لتصيب آية في مقتل؛ فقد اقتنعت به بالتدريج، فما أسهل إقناع الحبيب لحبيبته خاصةً في فترة ما قبل الزواج، قبل إجراء عملية المياه البيضاء لمرآة الحب العمياء، وزحفت آية هي الأخرى على الطريق الذي انقطعت فيه أواصر الصداقة مع صاحباتها واستبدلتهن ببعض الأخوات، أغلبهن متزوّجات، وحلّ القفاز

والخمار الأسود محل الحجاب، وتبعثرت الحواجب، وتركت الشغل المشكوك في رزقه، عندما استورد صاحب الشركة أدوات تبرّج، وظهرت كتب ملوّنة الأغلفة بجانب سريرها عليها صور بورتريه للمسيخ الدجّال ويأجوج ومأجوج وقبر ونار وثعابين قّرع "وكأن هُناك ثعابين مُشعِرة" وتأثرت بالتالي علاقتهما التي تحوّلت إلى نار تحت رماد، جوع بعد شبع أذكاها بخله الذي أدى إلى الحكم بالحبس ثلاث سنوات عليهما من دون خطوبة في انتظار قرار الإفراج، حتى جاء اليوم الذي فتحت فيه الباب لأخيها بالنقاب... أخيها أحمد كمال..

أحمد: إيه اللي إنتي عاملاه ده؟

آية: يعنى أفتح الباب وأنا كاشفه وشّي؟؟

دخل أحمد ووضع حقيبته على أقرب كرسي، وخلع جزمته، وجلس ىتشل شرابه من بين أنقاض أقدامه..

أحمد: إنتي خلاص هتلبسي البتاع ده؟؟

خلعته آية عن وجهها: بفكّر؟

أحمد: أنا مش عارف هاتعرّف عليكي إزاى لو قابلتك في الشارع، إعملي بقه علامة، أو حتّى لّما تيجي جنبي إبقى قولي كلمة السر، نخلّيها... كوكو واوا.. ماشي؟

آية: ربنا يهديك..

أحمد: طبعًا الشيخ حودة أمير الجماعة هو اللي أصدر التعليمات..

آية: النقاب مش محتاج تعليمات من حد، ربنا سبحانه وتعالى أمرنا بيه، لو قريت شوية في الفقه كنت عرفت، مش الرقائق اللي إنت

عايش فيها على طول، الدين مش صلاه وصوم بس يا عم أحمد . .

كانت آية قد تعوّدت على ذلك المزاج الحاد من أحمد، فهو في البداية لم يكن متقبّلاً لمحمود حسيب، لولا والدته التي كانت صديقة لأمه، مروراً بوفاتها التي تركت فيه جرحًا لا يندمل، علاوة على الحادث الذي راح فيه صديق عمره حسام منير منذ عام تقريبًا، وتشاجره بعدها مع سليم مؤجّر التصوير في الفندق وتركه العمل معه، وجلوسه عاطلاً في المنزل، حتى توسّط له أحد معارفه في يوم وألحقه في كازينو باريس بشارع الهرم مع أحد أصدقائه للعمل مصوّرًا من الساعة التاسعة وحتى السابعة صباحًا، ليصل بيته في الثامنة وتكون في استقباله أخته التي تعد له يوميًا عريضة تهكّم على وضعه وماله الحرام . .

إلا أنها في ذلك اليوم لم ترد أن تبدأ بالتهكم: تاكُل حاجة؟

أحمد: إعملي لي كوباية لبن.

خلعت آية الطرحة وتوجّهت إلى المطبخ في حين أسند أحمد رأسه على الكنبة، وأدار التليفزيون، وسرح في الشاشة لا يرى شيئًا حتّى خرجت إليه، جلست بجانبه تراقبه وهو يشرب تتحيّن الفرصة لفتح موضوع طال التفكير فيه: محمود بيسلّم عليك . .

انتظرت فلم يجبها: هو كان عايز يشوفك، بس مواعيدكم مش ماشية . .

أحمد ساخرًا: إبقى خلّيه يعدّى عليّا في باريس لمّا يخّلص . .

آية: ربنا يتوب عليك.

أحمد : هو أنا لقيت حاجة تانية وماروحتش ، واللا عايزاني أروح أشتغل
أنا كمان في الموسكي في اللبسة والكالصونات؟

آية : إنت مش طايقه ليه؟

أحمد : عشان مش راجل وبيهرب من المسئولية ، ومعاه فلوس ورابطك
جنبه ٣ سنين مش عارف ليه؟

اية : الفلوس اللي معاه ماتجيبش شقّة وإنت عارف . .

أحمد : أبوه عنده نصيب في البيت . . يبيعه ويتجوّزك . .

اية : الموضوع مش سهل كده ، وفيه ورثة في البيت . .

أحمد : ماتضحكيش على نفسك ؛ لو عايز يتجوّزك كان إتجوّزك . .

اية : هو ده الموضوع اللي أنا عايزه أكلّمك فيه . .

أحمد : ؟؟؟

اية : محمود اقترح عليّا ، يعني لو عايزنا نخلّص ، إنّك تساعدنا .

أحمد : إزاي بقى؟

اية : نقعد هنا في الشقة دي .

أحمد : هو ده اللي كنت حاسّه . .

اية : كده كده إحنا مالناش قُعاد في الشقة دي ، العقد كان باسم ماما
وماتت ، وأبوه مقعّدنا جدعنة وعايز شقته ، وبعدين مش هتروح
برّه ، ماهي ليّاّ برضه في الآخر . .

أحمد : يعنى أنا في الآخر اللي معطّلك يا آية . .

اية : تقدر تساعدني ومنشّف دماغك . .

أطرق أحمد برأسه إلى الوراء ومسح على عينيه قبل أن يلتفت إليها طيب وأنا؟ أروح فين؟

آية: إنت راجل وممكن تتصرّف، إنت مش متخيّل كم الضغط اللي عليا من نظرات الناس، مش قادرة أستحمل ياحمد، أنا بقالى تلات سنين مستنّية أتجوّز، الجيران كلِت وشِي، يا أحمد البنت مش زى الولد، أكيد إنت فاهم..

قام أحمد وربت على كتف أخته: خلاص يا آية.. فهمت.. دخل غرفته وأغلق الباب وراءه.

في الخامسة ارتدى أحمد ملابسه، سحب كاميرته واستعد للخروج عندما دخل غرفة آية فوجدها تكوى ملابس: الأسبوع الجاى هكون وضّبت مكان أبات فيه..

نظرت إليه آية ولم تمسك دموعها، جرت إليه واحتضنته عندما قال لها: بس الواد التخين ده لو زعّلك هرميه من الشباك.. خلاص بقه ماتعيّطيش.. أنا نازل..

تخلل هذا الإسبوع الكثير من الأحداث، لملم أحمد أشلاءه من البيت، حقيبة ملابس وكمبيوتر وبعض المتعلّقات، وكان قد استأذن مدير صالة باريس في غرفة صغيرة مغلقة بجانب المعمل، كانت تستخدم مخزنًا ولم تعد، فوافق نظير مائة جنيه، نقل إليها ما تبقّى من حياته ومن نفسه، ودّع أخته التي رحلت في صمت إلى محمود، أو الشيخ محمود بعد أن عقد قرانه عليها في دار مناسبات مقسّمة بستارة كبيرة، جزء للرجال وآخر للنساء، أوصلها إلى باب شقة أبيه وأمه التي أصبحت في حوزة زوجها ولم ينسى أن يدس ٢٥٠ جنيهًا في يدها، هي تقريبًا كل ما كان في جيبه..

حُضن ودمعة وقُبلة في الجبين، ووجه جميل، ماكياج صارخ تحت النقاب، ونساء بصوان الحمام وصوت باب شقة ينغلق.. كان ذلك آخر ما علق برأس أحمد وهو يمشي على كوبري الجامعة في طريقه إلى مأواه الجديد..

مرّ أسبوعان حتّى تأقلم أحمد على مكانه الجديد، ابتاع مكواة ومرتبة وملاءة جديدة، وعلّق صورته مع "عمرو دياب" على الحائط، يمضي معظم وقته أمام الكمبيوتر يلهو ببرنامج فوتوشوب لتعديل الصور الذي اعتاد على استخدامه لإصلاح أخطاء صُوره، وأيضًا لإضافة صورته بجانب أي من المشاهير بدلاً من معاناة الوصول إليهم، وإن كان يستعين بصديق له خبرة في تركيب الصور.. عُمر.. صديق الطفولة.. صنع له صوراً مع "جنيفر لوبيز" و"مارلين مونرو" و"أحمد زكي"، وإن كان يفضّل صُورته الأصلية مع "عمرو دياب".. زحف السهم على الشاشة لفتح ملف مخفي بعناية من تعوّد على الاحتفاظ بالأسرار في حياته، وأخذ يقلّب الصور..

صورة لشاب وخلفه بار، انضم له آخر، صور للنيل وباخرة تمر سريعة تظهر كشعاع من النور يتحرّك، ثم بضع صور لبنات يرقصن في حفلة زواج ليلية.. كل ذلك مرره أحمد في سرعة من سئِم تلك المشاهد، حتى توقّف وتأمل مجموعة صور لاثنين يتحدّثان من وراء زجاج ولقطات مقرّبة لأفواه وأيد، تلتها صور مهزوزة لحالة من الهرج تعُم المكان، يظهر بها أشخاص يتحرّكون في الخلفية وآخرون افترشوا الأرض بظهورِهم، ثُم أحدهم يقترب من الزجاج يسقط بعدها خيال رجل ببذلة سمنية، ثم كادر عام للبار كمشرحة زينهم؛ إذا قرر الأطباء تشريح الجثث على الأرض، التي اكتست

بالأحمر كسجّادة مهرجان كان، وجسد رقدًا على يمين الكادر يعرفه جيدًا، لم يعد يمت للحياة بصلة؛ أثبتت أصابعه أن أصابع الزمّار تموت معه.. لمدة عام كامل لم تغب تلك الصور عن مخيّلة أحمد، كما لم تغب عنه فكرة أن رد فعله لم يتعدّ حيّز الكاميرا، كم هو جبان؟؟ أليس من الممكن أن يكون صديقه على قيد الحياة حين رحل؟ رغم أن مظهره لم يكن يوحي بذلك، كيف طاوعته نفسه أن يأخذ لقطة للمكان ولم يخطر بباله تفقد نبضه، نظرة عين حسام إليه قبل أن يغمضها للأبد. منظر أُم حسام وهي نائمة على كتف أختها غير واعية بالكون من حولها، لا يستطيع أن ينسى أن صديقه كان على وشك الارتباط، إنه حتّى لم يبلغ أحدًا أنه كان هناك ورأى كل شيء بعدسته، كم يشعر بالجُبن.. أخرسته المفاجأة وجعلت منه قطعة أثاث لا تتحرّك

و تكتمل السُخرية في أن الكاميرا لسرعة المهاجمين وبطء الغالق لم تتمكّن من رصد وجه أحدهم، فالأشخاص يظهرون كأشباح تتحرّك بسرعة شديدة، وراءها طيف مُشوّش لا تستطيع تمييز ملامحهم من الخلفيّة، فكان رد فعله اليائس صباح اليوم التالي أن أرسل أسطوانة من مجهول عليها الصور الركيكة للنيابة، لتسقط بلا صوت كأنها في بئر بلا قرار، كررها ثلاث مرّات بطريقة فاعل الخير المجهول، التي قرر أن يتعامل بها مع الشرطة بعدما أوصل سيدة مسنة إلى المستشفى بين الحياة والموت، تلقّت مطواة من شاب سرق حقيبة يدها، وكان جزاؤه أن دخل في سين وجيم وبات ليلة في القسم حتّى برأت ذمّته.. حتّى أنه ذهب بالصور لجريدة رسمية، وسلّمها في ظرف مغلق باسم رئيس التحرير، كل ذلك بلا جدوى.. وأخيرًا أرسلها

لجريدة الحرية الصفراء فاقع لونها تسرُّ المُتلهّفين. . موضوعاتها من نوعية جرائد الفضائح، تفاصيل غرف النوم والوزراء الذين باعوا البلد بـ "خمستاشر" جنيهًا، وملَفات النميمة الساخنة. جريدة أصبحت من أكبر الجرائد توزيعًا مؤخّرًا وأقرب إلى شخص أحمد. . يسمع فيها ما يريد أن يسمعه، يصرُخ فيها ويشتم كُل من في البلد من الكبير إلى الصغير، يكشف المؤامرات وهو جالس في مكانه. . يختلس نظرة لكُل فنّانة في غُرفة نومها، ويُدرك كم هو ذكي إذا عرف مَن هو ذلك الـ "ح. م" الذي ينام معها من سياق الكلام. . وانتظر. . صدحت الأخبار الرسمية في الأيام التالية بصور شخصية لرجلي الأعمال وتفاصيل إطلاق الرصاص على بعضهما البعض، ومانشيتات تتناول خلافات الحيتان التي أدّت لمذبحة توفي فيها أحدهما وأصيب الآخر وأصبح قعيدًا، وسافر إلى الخارج للعلاج، وببنط صغير تُثبت أسماء الضحايا، يرقد بينهم اسم حسام منير ببنط صغير. .

تفنّنت الأسباب في الظهور، ما بين خلاف الحراسة الشخصيّة الذي أدى لمشاحنة أفضت إلى تراشق بالنيران، أو ثأر شخصي بين الاثنين تطوّر في لحظة غضب، ولا ننسى نظرية المختل عقليًّا الذي فتح النيران في البار ثوابًا لوجه الله. . في حين اتخذت الصحافة الصفراء وعلى رأسها جريدة الحُريّة النهج المعتاد؛ "التفاصيل الكاملة لحادث بار ڤيرتيجو. . فتاة تشعل النار بين أكبر رجال الأعمال. . قصةَ أحمر الشَفاه بجانب جُثه القتيل. . الفتاة التي احتفت قبل دقائق من مذبحة الفندق. . سر الملابس الداخلية الحريمي في جيب هشام فتحي. . الفنانة التي قتلت العاشقين. . ليلى علوي سبب مذبحة رجال الأعمال. . "

وبالداخل خبر يقول إن ليلى علوي تقرأ حاليًا سيناريو فيلم عن حادثة الفندق، وكسبق صحفي لجريدة الحرية، نشرت صور أحمد تحت عُنوان "الجريدة تنفرد بنشر صور سريّة للغاية من مصدر موثوق توضّح مسرح الجريمة؛ كما صوّره الطب الشرعي بعد الاعتداء" وبجانب الصورة مُربع به صورة مثيرة لعارضة أزياء ألمانية شهيرة بلباس البحر، وعلى عينيها شريط أسود وتحتها عبارة باللون الأحمر تقول " ننفرد بنشر أول صورة للمتّهمة في قضيّة مجزرة رجال الأعمال.. "

لم تُنوّه الجريدة عن المجهول الذي أرسل الصّور..

وشأن دورة الحياة تلاشت الأخبار تدريجيًّا، لتحل محلّها أخبار أخرى أكثر سخونة حتى ماتت القصّة، وتاهت معها الحقيقة، فبأية حال لم تكن صوره لتقدّم أكثر من بهارات للصفار الصحفي تزيد من إيراداته الأسبوعية! بعدها بستة أشهر تمثّلت السخرية في زواج كريستينا من سليم متعهّد الأفراح، الذي كان يغتصبها بعينيه كُلّما مرّت أمامه، بعدما عرض على المتعهِّد أن يستر عرضها لوجه الله، لكي لا تفقد إقامَتها وليس لغرض آخر لا سمح الله..

ووافقت كريستينا كما توافق الوردة على تجفيفها لتصبح خاوية من الداخل، جميلة فقط من الخارج، كم هي حزينة كثيراً على حسام ولكنّها تريد أيضًا استمراراً للقمة العيش..

لم ينس المُحادثة الركيكة التي دارت بينه وبين كريستينا: سليم؟؟؟؟

كريستينا: أيوه.. سليم المُصوّر..

أحمد: ده أصلاً مش مصوّر.. وبعدين لحقتي نسيتي حسام..

كريستينا: نو. . نو. . إنت فاهم غلط أخميد. . حسام هنا. . كانت تشير إلى قلبها. . لكن أنا لازم إرتباط عشان "إكامة". . إنت عارف إجراءات وباسبورت. .

أحمد: سليم بعد حُسام يا كريستينا؟

كريستينا: أوف كورس مفيش حد زى حُسام. . بس باسبورت هيخلص بعد شهر. .

أحمد: ده خنزير. .

كريستينا: أحمد بليز. . مستر سليم ده راجل جنتيلمان. .

أحمد: حسام كان جايب لك خاتم الخطوبة. . عارفة ده؟

كريستينا: سوري. . الموضوع صعب عليّا أنا كمان. .

But Life must go on. . .

أحمد: أكيد. . ملعون أبو كي بنت كلب. . قالها في سرّه. .

قدّمت كهرمانة نفسها لشاهين، بعدما قُتل حسن الهلالي، وكان ذلك بداية لسلسلة خلافات مع سليم استمرت شهراً، لم يكُن يطيق النظر إليه ولا إليها، حتّى بدأ سليم يتعمّد مضايقته وتنفيره لمّا عرف بخلفية علاقتها مع حسام وصداقته لأحمد، حتّى رحل في النهاية ليواجه الدّنيا بجيوب خاوية. .

كانت الساعة قد تعدّت الحادية عشرة مساءً عندما أفاق أحمد من نوبة الذكريات المتلاطمة كأمواج نوّة المكنسة، عندما قرع الباب جودة. .

تلك قصّة أخرى. .

في إبريل ١٩٦٧ لم تكن عجلة التاريخ قد توقّفت بعد عند جودة الذي كان وقتها باشاويشًا بالجيش المصري، تهتز الأرض تحته وهو عائد من

وحدته بالجيش، ينزل من سيارة الترحيلات كيوليوس قيصر وهو عائد من
الإسكندريّة بعد اجتياحها عام ٤٨ ق.م. يلتف حوله شباب حي الأميرية
في قهوة عباده خلف شركة الأدوية منصتين له، وهو واضع رجلاً على رجل
ببذلته الميرى وشاربه الدوجلاس، ينتظرون الكلام منه بين رشفات الشاي
الكشري التي تقطع سيل الحكايات والأخبار كإعلانات التليفزيون المملة
وقت المسلسل، يعتبرونه وزير الدولة لإعلام الأميرية، وكان التوتّر على
الساحة الدولية ينذر بحرب وشيكة تدعمها تصريحات القيادة السياسية التي
وصلت وعودها إلى رحلات مدرسية في تل أبيب، فكان التصريح من
الباشاويش جودة يكافئ تصريح "ليفي أشكول" رئيس وزراء إسرائيل، بل
لعلّه أكثر صدقًا، كانت تروقه الأعين المتعلّقة بشفتيه وهي تلهث وراء
كلماته، تنتظر شذرة خبر يهللون لها، ويسر أكثر ببتر كلامه ليبرر لهم أن
هذه معلومات عسكرية لا يصح أن يفشيها ليرى الحسد في عيونهم على ما
أنعم الله عليه من عمل مع القيادة العسكريّة. يقوم مدفوع الحساب يربت
على كتفه الصغير والكبير داعيًا له بالصحة متبركًا بأشرطته السوداء،
ومتطلّعًا للقائه في الحلقة القادمة، يسير بعدها مزهواً بنفسه حتى البلوك
الذي يسكن فيه بالدور الأرضي ليأكل لقمة ساخنة من يد أمه؛ ويخلد بعدها
للنوم ساعتين؛ ويصحو ليبدأ يومه في السابعة..

ماذا كان يعمل جودة في المساء؟؟

يعمل في أستوديو هالة.. من هي هالة؟ ابنه يوسف.. ومن هو
يوسف؟ صديق عمر جودة.. وأبو هالة.. لم يكن جودة يفقه شيئًا في
حياته أكثر من الأكل والتصوير، بدين هو أصلع إلا من بعض الشعر

المسمّى بالشوشة الذي تمسّك بجزء من مقدّمة رأسه تمسّك محمود المليجي
الزارع في فيلم الأرض، يُطيل الجانب الأيمن من شعره ليكسو منتصف
الصلعة، ويصل ككوبري قصر النيل للناحية الأخرى، ويبدو مع الفازلين
كخطوط الرسم الهندسي الدقيقة. يرتدى نظّارة كعب كُبّاية بإطار أسود
من نفس اليد تمسّك به منذ بداية الستينيات، تكسوه أمطار عرقية صيفًا
وشتاءًا، ويعتبر أن أهم اختراع بعد الكهرباء والحلاوة الطحينية منديله
المحلاوي، يكسو كرشه العزيز صديري جلد كثير الجيوب يحمل فيه
أجزخانة متنقّلة، تستطيع أن تجد فيها شيئًا للصداع أو للإسهال وقد تجد معه
شاشًا وميكروكرومًا أو حتّى مبضعًا لجراحة عاجلة.. على الصعيد الفني
كان جودة مصوراً بارعًا بحق في الأفراح، وجهه مكشوف كما يقولون، لا
يستحي من أحد ولا يعاني من لوثة أن كل المدعوّين ينظرون إليه، تلك
اللوثة التي تُصيب المُصوّرين الجُدد، يوجّه المعازيم كأنهم عساكر في
وحدته، يصنع صوره المعبّرة الباسمة بكاميرا "ريتنا" روسية وفلاش كغطاء
الحلة يكاد يحرق العروس ويشوّه العريس ويودى بحياة بعض المعازيم،
ا.. كهم مُشخني الجراح عند فتح البوفيه الذي يعتبره جنّة الله في الأرض،
ويدع بعد ذلك العروسين بلقطة زجاج السيّارة الخلفي وهم يلوّحون
للكاميرا، ليُحمّض بعد ذلك الفيلم ويطبعه عند يوسف.. أبو هالة..

كانت الحياة مستقرّة لا يشوبها شيء حتّى صباح الخامس من يونيو
١٩٦٧ عندما سمع جودة الأخبار في الراديو، وكان في راحة، فقفز في بزّته
العسكرية وانطلق إلى وحدته وسط بركات الأهالي والجيران المنهالة..
اختفى خمسة أشهر، ابتلعته الحرب وتساءل الكثيرون أين عساه يكون؟ حتى

أن بعض الأهالي أطلق على أمه العجوز "أم الشهيد" . . إلى أن أتت حافلة مُتربة محمّلة بالهم والحزن والجنود، وكان من بينهم جودة منكّسًا رأسه. ركَض إلى شقته وقبع ثلاثة أيام حتّى ظهر في القهوة مرة أخرى، ليتلقّى تساؤلات الجيران حول اختفائه ومبررات ما حدث من داخل أرض المعركة التي لم يكن جودة قد وطأها أصلاً!!

نعم. . فجودة لم يكن من الصفوف الأمامية ولا حتّى الخلفية؛ فبشاويشيته كانت في الشؤون المعنوية. .

ذلك ما لم يكن أحد يعرفه ولن يعرفه أحد مستقبلاً. . فالباشّاويش جودة الآن بطل من أبطال ٦٧، قتل خمسة وعشرين جنديًا إسرائيليًا بيده المجرّدة، أُسر خمسة وأربعين يومًا وهرب من الأسر، رجع من سيناء على قدميه العاريتين، أعطاه الرئيس جمال عبد الناصر نوط الشجاعة، وربت على كتفيه وقال له: يا جودة "إنت فخر لينا كلّنا" وأمر بتعيينه في المخابرات الحربية. لف العالم ثلاث مرّات ورأى ما لا عين رأت، أحب أجمل نساء الأرض وأنجب في كل بلد ولدًا، حتى في إسرائيل، من بنت جنرال وقعت في حبه وصوّرت له مستندات أبيها بنفسها، وانتحرت حين عرفت أنه مصري وليس اسمه "إيزاك". تحوّلت كل جروح حرق المكواة والتطعيمات وتقشير البطاطس والدق على الإصبع بدل المسمار إلى رصاصات وطعنات، تلقّاها أثناء تأدية الواجب، مرورًا بحادث المنصّة الذي كان الوحيد الذي أردى فيه أحد المهاجمين، حتّى ظهور رأفت الهجّان الذي كان زميله في المخابرات، كما سُمي معهد "جوته" الألماني على اسمه، تيمّنًا به بسبب حُب المُستشار الألماني له في زيارته لمصر، وكلمته الشهيرة له: "يا جوتن يا

أخن أنت فشحرتن لينن كُلنا في جيرمانيا، إيش لبيديش "(*) . . فقط فاته
بعاد تسجيل الرغبة في ارتياد الفضاء وسبقه نيل أرمسترونج، لولا ذلك
لكان أول من هبط على القمر، وليلة أمس عندما كان يتعشّى مع الرئيس
"عبد الناصر" عزم عليه بالطرشي بنفسه وأقسم . .

لو قُدّر لجيمس بوند أن يقابل جودة لغيّر اسمه أدبًا لـ "٠٠٣" بدلاً
من 007 وأعطى هذا الشرف لجودة بدلاً منه . . في ١٩٧٦ تزوّج جودة
أخيراً من بنت جيران عانس، العام نفسه الذي صدر فيه قراراً بتصعيده إلى
رتبة صُول وإحالته إلى المعاش المُبكّر، بعدما رأف به عميد الوحدة خوفًا من
كشف طبي يفضح ما آلت إليه حالته التي تزداد سوءاً مع الوقت، متوهّمًا
أحداثًا وحكايات لم تحدث، ليجد جودة نفسه فجأة خارج نطاق الخدمة . .
مرّت الأيام وجودة يذهب يوميًا في الصباح ولا يأتي حتّى المساء، موحيًا لمن
حوله أنه مازال في الجيش، في حين أن كل وقته يقضيه مع يوسف في أستوديو
هالة، معتمداً على أفراح الخميس والأحد ليجلب قوت يومه، ويرجع
ليكمل حكاياته عن النكتة القبيحة التي حكاها للرئيس فقهقه بصوت عالٍ
وقال له: يخرب عقللك يا جودة . . حتّى لاحت له فرصة من أحد الزملاء
ليعمل في كازينو باريس بشارع الهرم . . وكان . .

بعد شهرين نزل جودة كعادته من البيت قاصداً الكازينو الذي أصبح
ملاذه محاولاً التقاط وسيلة مواصلات ولكن . . "إنسى!" . . تلك كانت
كلمة سائق التاكسي الذي وقف ليعلمه أن شارع الهرم أصبح ساحة حرب
عصابات، فبراير ١٩٨٦، يوم أحداث شغب الأمن المركزي، التي

(*) كلمات بلغة جودة الألمانية . .

استعمل فيها عاملو الكازينو زجاجات الويسكي كمولوتوف للذود عن الرزق والروح، والتي أقيل بعدها أحمد رشدي وزير الداخلية. . ضاقت الحال بجودة الذي تأثرت حتّى حكاياته بحالته المادية والنفسية، حتّى اضطر إلى بيع ثلاث غوايش كانت لزوجته التي توفيت قبل عام، لم تمر ثلاثة أشهر حتّى رجعت المحلات للعمل مرة أخرى، ورجع معها جودة لعادته المحمودة، ورجعت حكاياته ومغامراته التي يعرفها الرواد قبل العاملين في المكان لتزداد سخونة، لم يكن أحمد يعرف عنه كل ذلك، كان يعرف فقط الجانب الطبيعي من جودة، حتّى فطُن من غمزات العاملين ولمزاتهم إلى حقيقة حكاياته التي كان يسمعها بصدر رحب إكرامًا له ومسليًا نفسه. يحب أحيانًا أن ينكشه فيسأله عن أي حادث فيفاجأ بضلوعه الوهمي فيه، حتّى أنه حكي مرة عن حادث مذبحة ڤيرتيجو، وكيف فقد فيه أعزّ أصدقائه، ولكن دون الإشارة إلى أنّه كان حاضرًا في مكان الجريمة، ففوجئ بأن جودة أقرّ بوجوده ساعتها في شرفة أحد الفنادق المطلة على النيل، يصوّر فرحًا بالصدفة والتقط للحادث صورًا بالعدسة الزووم الـ ٥٠٠ ويحتفظ بالنيجاتيف، الذي طلبه منه أحمد أكثر من مرّة، وتعلل بكركبة المعمل وبعثرة محتوياته، وضياع الفيلم وسط الإهمال وخوفه على أحمد من مُحتوى الصّور، علاوة على أن رجلي الأعمال كان أحدهما زبونًا للكازينو فلم يُفصِح عن وجود الصّور معه خوفًا من التورّط. .

إلا أن أحمد أحب جودة كثيرًا، رغم مبالغاته رأى فيه قلبًا كبيرًا، كذلك جودة الذي لو كان قد قُدّر له أن يُنجب لكان له ولد في مثل عُمره، لذا أصبح في فترة قصيرة بمثابة الابن الذي لم ينجبه. . اعتاد أحمد أن ينتظر جودة

مساءً، يمر عليه ليدخلا معًا "النايت كلاپ" ، كما اعتاد أن يكون جودة مرشده السياحي، يطلعه على خبايا ذلك العالم ومريديه وبروتوكولاته، نعم. . بروتوكولاته. .

الكباريه. . كلمة لم نعد نسمعها إلا في الأفلام العربيّة القديمة، عهد يوسف بك وهبي ونعيمة عاكف وغيرهما، في الزمن الذي كان يحتل فيه الدور المحوري في سياق الفيلم؛ فهو ملجأ الحبّيب المهجور والمخدوع أو حتّى المحروق، يأوي إليه متناسيًا حبيبته التي هجرته أو ماتت، وهو أيضًا ملاذ للعربدة ومصادقة الراقصة أو المومس الحنون بديلة الحبيبة ولاجتراع كؤوس النسيان، وأحيانًا ليتشاجر البطل وينكش شعره الأسود اللامع فوق جبينه محطّمًا الكراسي القش قبل لمسها فوق رأس السّكارى الذين لا يقولون سوى: أنا جدع، وكأن كل من بالكباريه من كومبارس محفوظو الشكل في كل الأفلام متفقون على تلك الكلمة كقانون، يقولونها وقت الشرب، خاصة ذلك الرجل الأقرع شرس المعالم الذي يضربه البطل دائمًا في النهاية وذلك الأسمر ذا الوجه المصري الذي يعرفه كل الجمهور ولا يعرف أحدٌ اسمه، أيضًا من كبرى فوائد الكباريه أنه وسيلة للمخرج ينفِّث فيها عن رغباته ورغبة المنتج المحمومة في إشباع نهم شباك التذاكر، فتجد أغلب الأفلام المصرية القديمة تحتوى على رقصات واستعراضات محشورة حشرًا تظهر بمجرد أن يشرب البطل أول كأس، لنراها كاملة مكمّلة في الكباريه، الذي يجب أن يكون اسمه إمّا الوردة البيضاء وإمّا النجوم. . ذلك كانَ عالم الكباريه سينمائيًا. .

أما على أرض الواقع فكان الكباريه يختلف كثيرًا عن السينما، فقد كان ملاذًا لعلية القوم القادرين على دفع الفاتورة، وكانت الدعارة مشروعة بقوانين، يشرف عليها البوليس والصحة برخصة مزاولة مهنة وكشف طبي دوري في مستشفي الحوض المرصود الجلديّة للخلو من الأمراض.. كانت المومس تنزل على الترابيزة بالطلب مثلها مثل زجاجة الويسكي، ولهن غرفة مخصوصة تحت إشراف مدير الفندق وكان ذلك يسمّى "الأنجاچيه"، يدفع الفيزيتا ويأخذها معه، ليستنفع المحل وتأخذ هي نسبتها..

أمراء من الأُسرة المالكة وتجّار وساسة وفنانين وقوّادين وأصحاب كأس ونصّابين ومشاهير..

هؤلاء هُم روّاد الكباريه، يجمعهم أكثر من سبب للوجود في تلك الأمكنة، النساء والخمر والمنافسة واعتلاء الخصوم والمباهاة بالقناطير المقنطرة..

مرّ الزمن واختلفت المسمّيات واللُّب واحد، ظهر قانون إلغاء البغاء في النصف الثاني من الأربعينيات، وتحايل أهل الكباريه على القانون، وأصبحت المومسات يجلسن على ترابيزة مُعيّنة كأنهن زبونات عاديّات يتبادلن الضحكات والعناوين مع الرواد، انضم إليهن لاحقًا الشواذ بأنواعهم، مثليين ومخنثين على الترابيزة نفسها، كامتداد طبيعي لنظريّة العرض والطلب، خاصة في شهور الصيف الساخنة، موسم الوفود العربية، ليتقابل الكل بعد ذلك في الخارج موجب أو سالب ليحدُث ما يحدُث، المهم أنه لا يحدث داخل المحل..

مرت سنين أخرى، تحوّل فيها اسم الكباريه إلى مسرح منوعات، ثم ملهى ليلي، وإذا كان اسمًا كبيرًا صار كازينو. . مثل كازينو باريس. .

كانت أولى محاضرات أ. د. جودة تنصب حول شرح أقسام الكازينو وشعبه والمواد التي تدرّس فيه. .

عشان تاكل عيش لازم تبقى جريء وذكي وما تقفش. .

عشان تاكل عيش لازم تتعلّم تسمع ما تتكلّمش. .

عشان تاكل عيش لازم تتعلّم تقرأ عيون الناس. .

عشان تاكل عيش لازم تعرف إمتى تصوّر وإمتى ماتصورّش. .

هكذا جلس جودة يحتسى سطل الشاي في المعمل، كمن يُزغّط وزة لقّن أحمد بصوت خافت كيف يأكل العيش، مقتربًا من وجهه تفوح منه رائحة السجائر الرديئة المملوءة بالأخشاب والقش التي يتغذّى عليها ولا يشربها، بينه وبين السجائر عشق يجعل من يقترب منه أثناء الحوار كمن يقترب من أدخنة القطار البخاري، مثيرًا سحابة من الأدخنة فوق رأسه تظلّله أينما كان، يسبق كل كلمة بعبارة "بيني وبينك" على سبيل التكتم والسرية، حتى في المواضيع العادية: "بيني وبينك الجو حر" ويهمس مُقتربًا بوجهه من وجه أحمد كأنه حكيم بوذي يُفشي سر المشي على الماء، وبالتفصيل يحكي قصة وراء كل وجه يقابلونه، ملقيًا الضوء عليه كأنه عامل ببطارية في السينما، يُرشد المتفرّجين لكراسيهم. .

كان الكازينو واسعًا من الداخل، أربعة سلالم صاعدة تفصلك عن صخب شارع الهرم، ذلك الشُريان المسدود بالكوليسترول والدهون الذي احتاج إلى عملية توسيع، بضوضائه وميكروباصاته البيضاء الصغيرة، التي

تتصارع فيه يوميًا تصارُع الحيوانات المنوية الباحثة عن البُويضة، ماراً في دخولك على حسن عبده وسيد قدري، تلك الحيتان التي ينقصها فتحة خروج مياه من الظهر وزعنفة، تربض يوميًا أمام الكازينو بأذرعها المنتفخة وصدورها المنفوشة وتلك الفانلة السوداء الضيّقة جداً التي تلتصق بهم كالمعجون على الحائط، لتزيد اختناقه وتورّمه وتلك الكرش المخنوقة بحزام جلدي عريض، لم يتغيّر شكلهم كثيراً عن أباضايات الخمسينيات، فقط لو ارتديا معصم بكبسونات.. محاولين الاحتفاظ بثلاثة مفاهيم أساسية هي: بعث الرهبة منهم ككائنات غير صديقة، وجعل المُرتاد يتخيّل عواقب معارضتهم، وفي الوقت نفسه يحرصون كل الحرص على مصادقة الزبائن مصدر النفحات، يقابلونهم بالأحضان سابغين عليهم حميمية زائدة معناها أن البيت بيتك، فمرتّبات هؤلاء لا تتعدّى مرتب أول تعيين في الحكومة من عينة ١٧٠ و ٢٠٠ جنيه، صاحب الكازينو يعرف جيداً أنّهم يتكسّبون أضعافًا مضاعفة من بسط اليد، ملوّحين بقرون الاستشعار على الداخلين الجدد للمكان، مستبعدين لغير المرغوب فيهم بالخبرة التي أهّلتهم لفرز مُحبّي ومثيري الشغب، وينصب أكبر همّهم على فض النزاعات وتلقين الدروس الخصوصية مجانًا عند حدوث تجاوز من أحد المرتادين، ثم الاختفاء المفاجئ عند ظهور البوليس ليتسلّم المشكلة كلها مُدير الحبس.. نعم مدير الحبس، ذلك القميص الواقي ضد الرصاص الذي يحمي صاحب المحل من المُثول أمام النيابة، كبش الفداء إذا انهارت الأسقف أو سالت الدماء.. كُل شيء قد يُصبح مُباحًا في لحظة بالفيزيتا، بدءاً من المخدرات وحتّى السلاح، فأغلب رُواد المكان الأصليين يحتاجون الحماية.. والمظهرة، يأتون بصُحبة

.رس شخصي يحمل السلاح ويذود عنهم عند الضرورة، فقط يكفي إسقاط خمسين أو مائة جنيه في كف حسن أو سيد لتصطحب معك "RPG" أو حتّى طائرة هليوكوبتر أباتشي استعمال طبيب..

كانت الساعة قد تعدّت الواحدة والنصف عندما ضجّت الصالة في الداخل بالتصفيق بعد أن أنهى "ربيع البدرى" فقرته، مُلوّحًا للجالسين موزّعًا قُبلاته عليهم بيده كأنه مطرب يُطرِب، في حين قام أحد المتفرّجين بالهمس في أذنه، فضحك ربيع وهز رأسه وقال: إتفضّل يا حبيب ألبى..

ابتسم كالكركدن النادر فظهرت أسنانه الناصعة البياض، بينها سواد واضح دليل على جليها طبيًا، وضع يده على كتف المعجب مّوجهًا وجهه لكاميرا التليفون المحمول، مُظهرًا سعادة بالغة يكاد يتشقق لها وجهه، تبعه اثنان وربما ثلاثة من المُعجبين يريدون التقاط لقطة بجانبه، ولأن "ربيع البدرى" كان يصيح ويتشنّج وتنفجر عروقه إذا اقتحم أحد وصلة أغانيه الحزينة، حرّم على بائعي الفستق والورود ومؤجري الشيشة التجوّل أثناء فقرته، بل إنه منع المصوّرين من تسليم الصّور حتّى لا يتشتت أداءه الذي يعتبره مميزا جدًا، وأصبحت عادة في وجوده أو في وجود غيره، خاصة سالي الراقصة التي تكاد تفرض حظر تجوّل على الصالة أثناء فقرتها، ودنيا قبلها التي صفعت بائع ورد عندما وقف ليحاسب زبونًا وفكّ له نقودًا وطالت وقفته أثناء تأدية عملها الرسمي، لذلك يسارع كل هؤلاء المنتفعين إلى الصالة بين الفقرات لالتقاط رزقهم، فباعة الورود والفستق ومتعهدو الشيشة والمصوّرون المؤجّرون للمكان، يحرصون على المكسب لسد الإيجار الباهظ، لا يستفيد من ورائهم أحد، لذلك ينغزهم كل من تتعارض مصالحه معهم، وأوّلهم مِترات الصالة القائمون على خدمة الروّاد، فهم

عبء عليهم، يعتبرونهم مغتصبين حقًا من حصّتهم في جيب الزبون، ولا يتوانى أي أحد عن الفتك بأي منهم عند الحاجة، فالزبون دائمًا على حق، فقد تحدث مشادّة مع زبون وهنا يظهر المتر أو الكابتن كسوبرمان، لُينقذ الزُبون من براثنهم ويصنع من أحدهم أضحية، يسلخها أمام الحاضرين إذا لزم الأمر. . العلاقة الوحيدة خارج نطاق الكراهية هي علاقة المُصوّر مع الراقصات والمُطربين أو المُطربات، الذين يحرصون على التقاط صُورهم مع الزبائن لإشباع الرغبة في الانتشار وحب الظهور وترويج سلعهم الفاترة، ففنانو شارع الهرم بأية حال هم درجة ثانية أو ثالثة لحين حدوث الانتشار السريع الذي يؤمن المُستقبل، لينظروا بعد ذلك إلى شارع الهرم كشارع محمد علي في الأفلام القديمة التي يتعالى فيها البطل على فرقته القديمة وينفي معرفتهم به بعد أن يشتهر، وعندما يقابل أحدهم يقول له "بعدين. . . بعدين مش فاضي دلوقت" . . كثيرون لمعت أسماؤهم فانقطعوا عن الكازينوهات نفوراً، غير راغبين في تذكّر أي ليلة من لياليهم هناك، فشارع الهرم وكازينوهاته هما المحطة الأولى للانتشار. أفراح تليها حفلات تليها كليبات تتراقص فيها أرخص أنواع اللحوم من طافحات الأنوثة، تضمن إقبالاً على السلعة أيًا كانت، ذلك لا يعني أن مكسب شارع الهرم محدود. فعدة رميات من النُقطة حيث لا تقل الرمية الواحدة عن ألف الجنيه من أحد المعجبين تضمن حياة كريمة للفنّان والكازينو بالعاملين فيه، وصلت مرة في فترة أوائل التسعينيات تحت أرجل إحدى الراقصات إلى ٦٠ ألفًا من ثرى عربي واحد، ألقاها ألفًا ألفًا لتختمها قدم ناعمة أصابعها مطلية بالأحمر الصارخ رغبة منه في إظهار التقدير، وعربونًا للمحبة وثمنًا لليلة تجود فيها بما تملك لمن يملك. . إلا أنه المستوى الاجتماعي الذي يجب أن يرتقي به فنّان

الكازينو ليصبح "Style" ، تطارده الفتيات أينما ذهب لاصقات صوره على جُدران غُرفهن ، أو راقصة تغتصبها عيون كل من يراها ، وتصبح قبلة للراغبين ، وتصلح كازينوهات الشارع وملاهيه أيضًا مقبرة للفنّانين الذي مضّى عليهم الزمن وأصبحوا موضة قديمة ، فيرجعوا إليه متمسِّحين فيه بمسّح العقيم في قفل باب سيدنا الحُسين ، ليعيد إليهم الحياة والشهرة مرة أخرى ، أو يوفِّر لهم ثَمَن جنازة لائقة . . يعمل نظام الكازينو كلّه على استحلاب الزّبون كالبقرة حتّى آخر قطرة من جيبه ، باستعداد من داخله المنزف حتّى الموت . فمنذ دخوله يدفع البقشيش كأنه فلاح يبذر البذور في الحقل ، من أول التاكسي الذي ينال مُكافأته على كُل رأس بالعدد مروراً بالسايس فالبودي جارد والويتر والكابتن "مسئول الطلبات" وبائع الفستق اللحوح وبائعي الورد والفل الأكثر إلحاحًا ، حتّى عند دخوله الحمّام ، هناك من ينتظره بالمناديل والكولونيا الرخيصة ، دافعاً إجبارًا ليقف تلك الوقفة داعيًا له بالشفاء ، ينتظر منه النفحة الكريمة ، ثم المُصوّر الذي ينتظر لحظة مناسبة للانقضاض يبتسم فيها الزبون أو يشير إليه مُعطيًا الضوء الأخضر لالتقاط صورة ، وهناك من يدفع بسخاء لكي يتجاهله المصوّر وينسى وجوده ، فلا يلتقط له وضعًا أو صحبة شائنة . . أما عن الخمر فأغلب الزبائن من الروّاد المستديمين يأتون بها معهم ، لأنهم يعرفون جيداً أن المحلات تُقدّمها محلية الصنع مغشوشة ، فيكون الحساب فقط على "أورديف المَزّة" بفتح الميم وتلك الكلمة الفرنسية التي كانت تعنى مُشهّيات " أوردوفر " والتي تحرّكت بفعل تآكُل الزمن إلى أورديف!

أو طبق السلطات والنواشف وبعض الثلج والكؤوس ، علاوة على العصائر المضروبة ، مثل المانجو الذي يصنعونه في الأصل من قرع عسل أو

بطاطا مضروبة في الخلاط، مع كمّية صغيرة من العصير المركّز لتُعطى رائحة طبيعية ولا تكلّف المَحل شيئًا، مُعتمدين على كرم المنافسة بين الزّبائن تحت أرجل الراقصة، فتكفي أربع أو خمس ترابيزات مُعمّرة من أصحاب الوزن الثقيل لكي يبيت كُل المُتنفعين قريري الجُيوب، بِجانب ضَرب الفواتير التي يضاف إليها بنود مثل بند إنزال الطلبات ورفعه من على الترابيزات، خاصة مع الزبون غير المُتمرّس، وإضافة صفر أو صفرين إلى اليمين أو تكرار الجمع وإضافة طلبات لم تنزل للزبون أصلاً وضريبة فتح الزجاجة الخاصّة بالزبون التي يجلبها معه..

أما عن مدير الكازينو فحدّث ولا حرج فكُل تلك البنود تصبّ بين يديه، فهو ليس شخصًا عاديًا، يجب أن يكون خبرة ومُحنّكًا وهادئ الأعصاب؛ فأغلب العقول التي يتعامل معها عقول فقدت كثيراً من اتّزانها.. يملك كثيراً من الحيل التي يطيل بها عُمر الكازينو، ويدفعه إذا تعثّر، فهو يعلم مثلاً أن المنافسة تخلق العناد والعناد يولّد التهوّر الذي يدفع بأصحاب الجيوب العامرة إلى نزيف خارجي حاد لا يصدُر إلا عن ذبيحة العيد، فإذا كانت فقراته لا تُدِر ما ينتظره، يعمد إلى تسخين الجو براقصة لها تاريخ، أو حتّى بواحدة جديدة تبرز المفاتن بجرأة لتصنع اسمها، أو Show روسي ومطربين شعبيين انطلقوا على أكتاف العنب والبلح والمانجو وأحيانًا الحمير.. ومن يعرف ماذا أيضًا قد ينطلق على أكتافه الآخرون لينتشروا انتشار الكليب في الـ T.V، وإن أراد للنار اشتعالاً أخرج من خزينة الكازينو أوراقًا مالية مختومة بختم خاص يسمّونها "كيت"، يلقيها زبون مزيّف في الصالة ليشعل المنافسة في إلقاء البواكي والألوف، منافسة تشبه

..نظر الفلاحين المتجمّعين أمام بيت عتريس في فيلم " شيء من الخوف " ،
..الفون المشاعل ليحرقوه في بيته ويفرّ " إسماعيل العصفوري " ، ليأتي بعدها
..بيان بمقشّات نظيفة وجاروف يجنون بها المحاصيل التي جادت بها الجيوب ،
..دوسون بأحذيتهم على ورقة أو ورقتين من الفئات الكبرى ، تتسرّب بعد
دلك بفعل السحر إلى جواربهم ثم مَحفظاتهم .

تُفحص النقود بعد ذلك ويُفصل عنها ما قد خُتم ، ويوارى الباقي في
الخزينة إلا ما تم تقسيمه على المنتفعين من مُطرب أو راقصة أو عاملين ،
..بقى له عُنصر أساسي لا ينقطع من عناصر الجذب يتمثّل في صديقات
الكازينو المتبرّعات بخدماتهنّ ، يُوفّرن للزبائن متعة مدروسة ، تُعد لهنّ
ترابيزة عامرة تُشبه سلك الكهرباء العاري في حمّام سباحة ، يكهرب كل من
..سبحون حوله ، مضافًا إليهن أخواتهن الشواذ " الأكثر طلبًا الآن " لتراشق
أرقام التليفونات والعناوين ، ويتم التفاهم في الداخل والتنفيذ في المكان
المتاح ، أو تأتي إحداهن بالزبون من الخارج لتأخذ عليه نسبة من الفاتورة ،
وتقتطع منه لتُعطي بقشيشًا لكل من حولها ، حتّى من يفتح لها باب السيّارة
ويضرب لها السلام ويعطيها احترامها . . هناك نوع آخر من البهارات يتمثّل
في لاعبي الكرة وممثلين من الدرجة الثانية والثالثة والممثلات الناشئات ، على
استعداد للقفز في شلالات نياجرا نظير نفحة كريمة تصل إلى سيارات وشقق
تمليك ، بجانب سماسرة وقوّادين وموردّي الأمزجة على كل ألوانها . . كل
هؤلاء على حساب " صاحب المخيل " ، ليجد الزبون ما يسرّه ، ويضمن
بهم رواجًا لا ينقطع . .

بالجو العام وصخب الغناء غير المسموع والرقصة المثيرة والزجاج وترابيزة صاحبات الكرم الزائد رفيقات السلاح وبعض الأصدقاء، تكتمل الطبخة التي يأتي الزبون إليها كما يأتي الجائع لمحل الكباب من مكان بعيد على رائحة دخانه، هناك من يأتي في الشهر مرّة، وهناك من يأتي في الأسبوع مرّة، وهناك من يأتي كل يوم، يعتبر الكازينو قهوته التي يقابل فيها أصدقاءه ورفيقاته ويُنجز صفقاته ويرمى صدقاته على مطربيه وراقصاته.

حتى بعض ضبّاط الآداب لهم حصّتهم من "الأتّة" المحلولة في جيب الزبون، يضمنون مع كل زيارة عشاءاً فاخراً لهم ولأولادهم وكأسًا مثلّجة إذا كانوا من أصحابها، غير العلاقات الواسعة التي يكتسبونها، يشترك أيضًا مأمورو الضرائب بحضورهم إلى الكازينو كل ليلة لإحصاء المكسب واقتطاع ضريبة الملاهي، التي تقل أو تزيد على حسب سُمك الظرف الدافئ المتسلل إلى الجيب، ومسئولي المُصنّفات فاحصي رُخص الفنّانين والراقصات هم وموظفو النقابة للتأكد من أداء الفنّان والراقصة للرسوم، أغلب هؤلاء يقدّمون تقاريرهم اليوميّة أو الأسبوعية لإداراتهم على أن كل شيء على ما يرام وأن الزبائن صلّت العشاء جماعة قبل السهر وقدّموا صدقات للعاملين وهم يحتسون الينسون والنعناع والزنجبيل بالثلج.. خليه تأكل وتشرب وتعيش على حساب شاهبندر التُجّار المتأنّق.. من يشتري كهرمانة ويُلقي بصُرر الدنانير في كل اتجاه..

هكذا أرسى الحكيم "جوذا".. آه أقصد جودة تعاليمه لتلميذه الذي استوعبها في فترة وجيزة، صبّ له ثلاثين عامًا من الخبرة اكتسبها من الزمن، تركت فيه ندبات نفسية تراها بالعين المجرّدة، أيام حلوة ومرّة، قصص

وحكايات أخذها أحمد كمال في حقنة مُركّزة مختصراً عُمراً طويلاً مملوءاً بالمعاناة والشقاء في ذلك المكان البائس. . كان الدويتّو أو ثنائي المصورين سمّي "ويبدو" فكان أحمد "ويبدو" لجودة أي توءمه في العمل، يجب أن يكون في الصالة على الأقل مصوران، أحدهم يذهب بالفيلم ليطبعه والآخر يظلّ في الصالة حتّى لا يُغادر الزبون "الغائب الحاضر" ويترك الصور، فثمن الصُور يُحصّل بعد التسليم، لذا في العادة يذهب جُودة للإشراف على الطبع وعمل مُكررات من الصورة الواحدة لتدبيس الزبون فاقد القدرة على العدّ، ويظلّ أحمد في الصالة لمتابعة الزبون أو تصوير زبائن أخرى. .

هكذا مرّت الأيام على أحمد، نوم بالنهار حتّى الظهيرة وعمل من الليل حتّى السادسة صباحًا، وفترة من وقت الفراغ تتخلّل اليوم كله، من الظهيرة وحتّى التاسعة مساءً. . بداية وصول الزبائن. .

لم يكن العائد سيئًا بالنسبة إليه خاصةً أيّام الخميس والسبت، يكفيه أن يعيش ويتنفّس احتياجاته الأساسية ويدّخر مبلغًا صغيراً يشتري به شيئًا لأخته أو يدسّه في يديها مُساعدةً لهذه البائسة، من وراء زوجها الذي يعتبر كل ما يأتي منه حرامًا ولا يقبله، أو يشتري لنفسه ملابس ويقضي وقتًا مع أحد الأصدقاء القدامى على القهوة، متذكرًا أيام المدرسة، وقت أن كانت الدنيا ترفق بحاله. .

كانت فرقة "ربيع البدرى" قد لملمت آلاتها واستعدت للرحيل إلى كازينو آخر يُكمل فيه فقراته، أو يطوف في جولة على فرحين أو ثلاثة يهد فيها حيل عريسًا وعروسة بأغانيه الصاخبة وعرق يتصبب وفروة رأس مدهونة بالحنّة لتخفي الصلع وفرقة جائعة لا تشبع، وحلّ محلّهم سبعة

رجال يرتدون زيًّا موحّداً من القمصان الساتان السوداء ذات الأساور الدانتيل البيضاء، ويحملون حقائب كثيرة الدورانات مميزة للآلات الموسيقية، وبدأوا في إعداد المسرح لاستقبال سالي . .

٣٦ عامًا هو عمرها، ولكنها تبدو في الثامنة والعشرين، بيضاء كالشمع، شعرها كستنائى طويل ومموّج يصل إلى وسطها، وجهها صعب مقاومته، وجسمها تعوّد من دوام الرقص على الاهتزاز حتّى وهى نائمة، تلمح في عينيها تلك النظرة التي تقول لك: أنا خبيرة أكثر من اللازم، مخلوقة ليلية تشبه في هيأتها الضئيلة وشفافيّة جلدها المُعتنى به جيداً مصّاصات الدماء في أفلام دراكولا . .

في الأصل كانت طالبة في كليّة الآداب، كان عمرها حينئذ ٢١ عامًا، عندما تخرّجت عملت مُضيفة في شركة للطيران التي لم تُكمل فيها عامها الثاني حتّى خرجت بسُمعة وسيرة سبقتها لتفتح أبوابًا أخرى للرزق، لجأت إلى وكالة إعلانات بعدما أخذت عدداً لا بأس به من الصور بأستوديو في شبرا أبرزت فيها نعم الله عليها، لتدخل بعدها عالم الفن من باب الفيديو كليب، ظهرت بعدها في الخلفيّة وراء أحد المطربين مع زميلاتها في المهنة، تتلوّى كأن أحداً وضع لها سم في حاجة صفراء، تشبه حركات الإخطبوط قليلاً لو لبس من غير هدوم، ثم ظهرت كفتاة رئيسية مع مطرب بصدغ عريض ينوح على حبيبته التي ركبت موتوسيكل "هارلى دافيدسون" في الصحراء مع حبيب آخر، وتركته بجانب العمود الروماني الأزرق، عناد عازف الساكس أبو عضلات المرتدي صديريًا مذهبًا على اللحم، دخلت في علاقة أو اثنتين مع بعض المنتجين الذين أصرّوا على اختبار موهبتها بأنفسهم في غرف النوم مما أثبت جدارتها وحسن أدائها . .

ولكنّها وجدت أن تلك الطريقة لـن تعـبر بهـا إلى الـصدارة وسـتظل في الدرجة الثانية، فانتهزت الفرصة في فيديو كليب مع مطرب شهير ورقـصت "بلدي" أمامه كما لم ترقص من قبل، تكلّم عنهـا كـل مـن رآهـا لتـدخل بعدها عالم الرقص من أوسع أبوابه، عالمًا رأت فيـه مـدى براعتهـا، ورأت فيه العيون المُعجبة المتشوّقة وهي تعانقها.. تتذوّقها.. تتخلّل كل خليـة في جسمها وهي ترقص، وتدق على الأرض بأرجلها الصغيرة دقّـات تُدغـدغ القلوب وتنثر سحرها على من حولها، فيلتفّون حولها كالضفادع في موسـم التزاوج حتّى يفوز بها أحدهم، حتّـى اسـتيقظت الـبلاد يومًـا علـى شـريط مسجّل يجمعهـا بِهـشام فتحـي رجُـل الأعمـال المـشهور.. كـان الـشريط حقيقيًا.. من لحمٍ ودم.. انتشر ككُـل فـيلم سـكس مُحـترم علـى أجهـزة الكمبيوتر وأشرطة الفيديو، ونشرت بعض الصُحُف لقطات مأخوذة منه.. انهارت سالي.. ادّعت زواجها العرفي من هـشام وخديعتـه لهـا.. ذهبـت للحج والعُمرة ولو طالت أن تذهب إلى القُدس لـذهبت.. طواهـا النـسيان مدة أشهُر إلى أن رجعت في بِرنامِج لتذرِف دموع النـدم والحـسرة علـى مـن باعوها وتخلّوا عنّها..

عاشت زمنًا في دور الضحيّة، إلى أن قـرّرت الرجـوع مـرّة أخـرى علـى شرط أن لا تحصُل على الأجر نفسه نظرًا إلى فضيحتها الـسابقة.. حـصلت على خمسة أضعاف!! من لا يُحب أن يـرى سـالي بعـدما شـاهدها في أكثـر لحظاتها حميميّة؟؟ أصبحت سلعة غير مشكوك في قوّة بيعها.. بات كـازينو باريس بالنسبة إليها أردأ محطّة تربطها بالماضي.. حاولت كثيرًا إنهاء عقدها لولا علاقة حميمة بصاحب الكازينو الذي تحمّلـها وقـت الـشدّة.. إلا أنّهـا

خفّضت أيّامها إلى ثلاثة أيّام أسبوعيًا بجانب حفلات رأس السنة والحفلات الخاصة وزيارات دول الخليج التي صنعت لها اسمًا لا يُضارعه اسم. . صنعت منها أسطورة. . كان هُناك أيضًا "كريم أبّص" . . مُدير أعمالها، ذلك الرفيع ذو الشارب العريض الذي يكاد يتسبب في سقوطه على وجهه، الذي احتضنها منذ فترة الفضيحة إلى عودتها للأضواء. . لن تنسى جميله ووقفته بجانبها وقت أن تجاهلها الكثيرون. . يرتدي الجينز المتهتّك ذا الرُّقع عند الرُّكَب ويلبس حظّاظة في يده اليمنى، ولا يُنزل تليفونه المحمول لحظة من على أذنه، أصلع قليلاً من الأمام وبأنفه ندبة من أثر خلاف قديم انتهى لغير صالحه، أزرق الشفاه من أثر تدخين كل شيء مزروع عدا الملوخية، وجد طريقه في هذا العالم منذ عهد قديم كان فيه زبونًا تُفتح له الأبواب وتُبعثر أمامه الورود حتّى أدمن وضيّع كل ما كان يملك، وضربه الفقر في مقتل فبدأ ينصُب ويحتال وانتهى بالقوادة، على استعداد أن يرقص ويغنّى في فرح بنت الشيطان البكريّة لو تلقّى المقابل المناسب الذي يرضيه. . تزوّج بسالي بعد فضيحتها لالتقاء مصالحهما، ولم يبخل بها على كُل جوّاد من زبائنه، وإن كانت أغلى سلعه. . تُجّار وأعضاء مجلس شعب وأثرياء عرب، نظير مُرتّب عشرة مُوظّفين في سنة، يُوصّلها بنفسه ويلتقطها في اليوم التالي حرصًا منه على سلامتها ويتقاسمان الغنيمة معًا. . ثنائي غريب تجمعهما المصلحة، وإن كان هناك حب لافت لا يُفسده أو حتّى يُعكّر صفوه أحضان ثرى عشيق يأخذها لفّة كالبيسكليتّة. . تضخّما كثيراً بعد الفضيحة وتغيّر أنواع مُريديها. . غلا ثمنها وأصبحت "سالي الإسكندراني" أكثر النمر طلبًا في الفنادق والكازينوهات وعلى رأسهم

كازينو باريس . . درّة شارع الهرم . .

كان قد مر شهر . . حاول أحمد فيه نسبيًا أن يتعّود على الجو العام للمكان وبياته في غُرفته الجديدة المُتواضعة ، كان يحاول أن يستشعر الزبائن ، من يرغب في صورة ومن لا يرغب ، بعد عدّة مواقف مُحرجَة أشاح له زبونان ، ولوّح ثالث أن ابتعد رفضًا لخدماته ، حاول بعدها أن يتطبّع ، ولكن مسافة كبيرة كانت حائلاً دائمًا بينه وبين تفهّم ذلك المكان ، وحتى بدعم جودة الذي لا يعرف له سببًا سوى أن الرجل طيّب ويشعُر بظروفه ، ظلّ على عدم وفاق مع مكانه الجديد ، فجودة اعتبره ابنه الذي لم يُنجبه ، يُتابعه أينما كان ، يفقّهه في أمور الكازينو وكيفيّة انتزاع الرزق من أفواه روّاده الغائبين عن الدنيا . حكي له جُودة في برنامجه اليومي الذي لا يذاع على القنوات الفضائية عن خلفية معظم المُنتظمين منهم والمشاهير ، وعلى غير عادته في إضفاء بُهاراته السحرية على حكاياته ، لم يُضف منها الكثير في سرده للسيرة الذاتيّة لروّاد المكان ، إلا أنه في النهاية لا يختم حلقاته إلاّ بحكاية أو اثنتين عن ويلات الأسر والعذراء الفاتنة التي انتحرت لأنه رفضها ، وحكاية التمساح الذي ظهر له في مياه البحر الأحمر وضربه بالجاروف البلاستيك في عينه ففقأها ، على أية حال فيما يخص قصص روّاد المكان كانت نسبة الصدق لا تقل عن ٧٠ ٪ وأكمل باقي المعلومات من الآخرين في الكازينو . .

جودة : صحصح يا أبو حميد . . . كان أحمد قد شرد في ترابيزة رُصت عليها ثماني زجاجات بيرة يجلس عليها رجل سمين جداً ، عرف من جودة أنه من تجّار الذهب ، يلعب في شنبه الكثيف بيد وبالأخرى يُداعب أسفل ظهر صديقته التي تُرافقه ويهمس لها فتضحك بصوت مسموع . .

ترك جودة الكاميرا مع أحمد . .

جودة : خلّيها معاك . . وخلّى عينك عليّا . .

اقترب من صهريج النساء الرابض على الترابيزة وفي هدوء أخرج وردة جربانة من جيبه ووضعها في عُروة جاكتته السمينة كغطاء السيّارة، واقترب أكثر وهمس في أذنه ببضع كلمات انفجر الرجل على أثرها ضحكًا، وكاد يطيح بالزجاجات أمامه، ثم انتصب جودة وأشار لأحمد بأطراف أصابعه أن اقترب، وهمس مرة أخرى في أذن السمين الذي أجاب بهزّ وجهه علامة الموافقة، بعدها أصابه أحمد بعدّة لقطات، وبجانبه صديقته بشعرها الأصفر الناري المصبوغ، وصدرها الذي كاد يقفز من مكانه بعدما ضمّها ضمّة الديناصور كأنها علبة عصير فارغة، ضاحكًا يكاد يظهر كبده في الصور، حتّى رفع يده بإشارة أن كفي فأشار جودة لأحمد أن يستمر مع الفتاة وحدها . .

غمز جودة عينه : خُد كام كلوز هنا للهانم لوحدها يا أبو حميد دو أصحاب محل . .

ثم انسحب أحمد ووراءه جودة : هات الفيلم وخلّيك هنا .

أحمد : عايز آجى معاك .

جودة : تعالى .

دخل جودة معمله المتّخم بكل أنواع الكراكيب والروبابيكيا الممكن الحصول عليها، فهو لا يرمى شيئًا، حتّى علب الأفلام البلاستيك الفارغة، يكوّمها في كيس كبير كأكياس الزبالة في ركن من أركان الغرفة، كاميرات قديمة عفي عليها الزمن وماكينات غريبة لا تستطيع أن تميز فيما كانت

عمل ٢ تبدو أحيانًا كماكينات الخياطة، وأحيانًا تبدو كصواريخ سام ٦ . .
وذلك الدولاب القديم . . ليس دولابًا بالمعنى المعروف ولكنها وحدة صغيرة بها ثلاثة أدراج، يحمل جودة مفتاحها الصدئ القديم الذي يحمل رسمه محصورة في جيبه دائمًا . .

أحمد: والدولاب ده حاطط فيه إيه يا عم جودة؟

جودة: ده حبيب قلبي ده . . معايا من أيّام الجيزة يا حمادة . . ياما شلت فيه بلاوي . . أسرار عسكرية وباسبورتات وصور وأفلام وجوابات من عبد الناصر . . ما إنت عارف شُغلنا بقه في المخابرات . . كتم أحمد ضحكته بصعوبة: يا إبن الإيه يا عم جودة . . ده إنت مُشكلة صحيح . . وعبد الناصر كان بيبعتلك جوابات شخصيًا؟

جودة: أمّال . . يا إبني كان منّي ليه على طول . . مفيش سكرتارية ولا حتّى حرس بيننا . .

أحمد: طب ما تورينى حاجة كده . .

جودة: ماينفعش يا حمادة . . الأسرار دي لسّه ما اتكشفتش . . أروح في داهية . .

كان مولعًا بأدوات الصيانة . . مفكّات وكمّاشات تجدها في أي مكان، بجانب علب أوراق طبع وجراكن الأحماض والصور المصفرّة المعلّقة بدبابيس، لا تكاد ترى لون جدران الغرفة منها، أغلبها أبيض وأسود، بينها عدد لا بأس به لجودة في شبابه مُرتديًا النظّارة البيرسول التي لم يتخلّ عنها حتى الآن . . صور لفنّانين وفنّانات وراقصات، لكل صورة حكايتها عند

جودة، فكل راقصة من هؤلاء أحبّته وذابت في هـواه وتركهـا لغيرهـا وكـل مطرب كان صديقًا له، يُسلّفه النقـود ويعزمـه علـى العشاء، يلـهث وراء جودة ليصوّره صورة تفتح له أبواب المجد والشُهرة، حكي له مـرّة أن أغنيـة "عدوية" التي شهرت "محمد رشدي" كانت من تأليفـه وأنـه أوحـى لعبـد الحليم بأغنية "أحضان الحبايب" وكانـت "أم كلثوم" تقـول لـه: "واد يـا جوده، عايزة آخد رأيك في لحن تقوللى حلو واللا وحش" فيقـول لهـا: " تؤمريني يا ست الكل " . . .

بجانب بعض الصور لناس غير معروفين قال: "دول أصدقاء مش هقدر أحكيلك عنهم عشان مخابرات" كان يغوص في قصـصه الخياليّـة كـأليس في بلاد العجائب، لا يشعرُ بحدود الزمن ولا يقدّر عمـره، فهـو صـديق عزيـز لمحمد نجيب ومصور شخصي لعبد الناصر والسادات، ويعرفه الملك فاروق بالاسم، يحكي الحكاية مرتين أو ثلاثًا كل مرة بأسلوب مختلـف وينـسى أنـه حكاها . . حكايات مسلّية لم يستطع أحمد مقاومتها . . يكتم ضحكاته وهـو يهز رأسه في انبهار مَن يصدّق . . كان جودة قد أطفأ النور ولم يضيء النـور الأحمر كالأفلام العربي لأنه يطبع صُوراً ملوّنة، يُمسك بالنيجاتيف بحرص، ويضعه تحت المُكبِّر ليصنع من صورتين للتاجر، عشر صـور، مـرّة بـالطول ومرّة بالعرض ومرّة صورة قريبة، ومرّة بعيدة، وصورة بـداخل قلـب، ثـم صور بورتريهات كثيرة للفتاة وحدها، يذهب بعدها إلى زبـون الـذي نـسى أصلاً أنه تصوّر واضعًا الصور في ألبومات عليها اسم المحل، ليعرضها عليه وعلى صديقته، ليُخرج من جيبه رُزمه مئات مخنوقة بأستيك قد تسدد ديـون مصر . . يسحب منها أربع ورقات يدسها في جيب جودة، فتهمس له الفتـا

بأن يجزل العطاء فيحرر ورقتين أخريين من أسرهما . . تأخذ بعدها الفتاة الصُور وتنتقى صورها وحدها ليأخذ هو الباقي بيده تحت مفرش الترابيزة ويمزّقهم شر مُمزّق!!

أحمد : الراجل قطّع الصور!!

جودة : ما أنا عارف .

أحمد : هي مش عاجباه؟

جودة : لأ عاجباه . .

أحمد : مش فاهم .

جودة : عايز يشوف نفسه بس معاها ، يسجّل لحظة حلوة وبعدين ينساها ، ده متجوّز وعنده عيال قدّك . .

أحمد : بس كده؟

جودة : أه بس كده . . والهانم اللي معاه دى زبونة هنا على طول ، بتجُر معاها كل كام يوم خروف عيد ، ييجى يِدّبح هنا وتاخد عمولتها . . وهو برضه يجيب كل كام يوم واحدة جديدة يتصوّر معاها ويقطّع الصور . . نقول لأ؟ . . طب إيه رأيك أنا مرّة سلّمته صورة ، حاسب عليها وقطّعها وبعد ساعة طبعتها تانى واديتهاله ، حاسب عليها تانى وقطّعها . .

أحمد : !!!

لحظات وتلتقون بنجمة مصر . . . ملكة الرقص الشرقي . . . الفنّانة . . . اااااالى . .

هكذا صاح متعهّد الفنّانين لتبدأ الفرقة التي جلست في وضع الإستعداد في عزف "إنت عمري" . .

انسحب أحمد إلى الوراء سانداً رأسه على الحائط، وأشعل سيجارة ثم ما لبث أن أطفأها بعد نفسين فقط . .

قضت الفرقة ما يقرُب من الخمس دقائق تعزف مقدمة الأغنية، تعيدها مراراً وتكراراً حتّى صفّر أحدهم وزفر الآخر، إلى أن أراحتهم سالي من على يمين المسرح، تتابعها دائرة ضوء تأتي من الخلف، كانت ترتدي بذلة ذهبيّة متلألئة تكشف عن أكثر الرغبات اتقاداً في نفوس البشر، يطير شعرها الكستنائي خلفها حين تدور، تتقصّع وتتمايل برأسها للأمام، تجذب معها الأدمغة كأنها حجر المغناطيس في مواجهة جيوش برادة الحديد، اقترب أغلبهم من المرقص مشدودين لها بخيط غير مرئي، ظهرت تليفوناتهم الغالية بكاميراتها وأخذوا في تسجيل تلك اللحظة الفريدة التي تنثني فيها سالي ببطء ليظهر صدرها الذي يكفي لإرضاع منطقة وسط البلد وعابدين، واضعة سبّابتها في فمّها مثيرة إعصاراً من الخيالات في نفوسهم، يعتقد كل من يتلقّى نظرة أو غمزة أنها ترقص له وحده، في حين يدور "كريم آبّص" من خلف الترابيزات كأنه الدورية الراكبة، يراقب الزبائن كصائد الجاموس الجبلي، ينتقي منهم من يصلح للصيد، حتّى تقع عيناه على بنك صغير متأنّق يجلس على إحدى الترابيزات الملاصقة للمرقص، يُخرج من جيب بدلته رزمة عدّ منها عشرين ورقة فئة المائة ودسها في يد أحد الويترز ودس معها خمسين جنيهاً في جيبه وهمس في أذنه أن أسرع، ليذهب بها الويتر خلف البار ويصنع له عُقداً من البنكنوت بعد أن يخصم منها ضريبته

الماصة، ليعود به للرجُل الذي قام يهتز واقترب من البيست وما إن رأته سالي حتّى اقتربت منه كما تقترب الزرافة من حافة القفص ليطعمها الزوّار، ورقص بجانبها قليلاً ثم وضع العقد حول عنقها، وضرب فلاش جودة جبهته المبتّلة بالعرق ضربتين، مرّة وهو يمسك بيد الراقصة وأخرى وهو يلبسها العُقد، في حين نظر "أبّص" إلى متر الصالة الذي رفع إصبع الإبهام إلى أعلى علامة على خلو الصالة من بوليس الآداب، فأشار إلى سالي إشارة معناها أن الدار أمان، فاقتربت من الرجل المُلتصق بالمرقص الذي أهداها العقد ووضعت رجلها اليُسرى فوق فخذه وأخذت ترقُص على ذلك الوضع، ضاغطة بأصابعها المصبوغة بالأحمر على أعصابه، مُدغدغة غُدّته الحامية حتّى أفرز من جانب ضلوع البذلة الرزم وأخذ يُلقيها تحتها الواحد بعد الآخر، فاحتقن زبون آخر في الجانب المقابل وأخرج من جاكتته العامرة رزمتين متّخمتين صنع منهما دائرة وناداها لترقص بداخلها، فتركت الأول وذهبت إلى الثاني ورقصت في دائرته واختطف جودة لهما المملتين " à laVotre " . . مصطلح يقال عندما يقامر المصوّر على تقبّل الزبون لتصويره من دون أن يأخذ رأيه في التقاط الصورة، وهي خطوة ما كان أحمد يجرؤ بعد على اتخاذها . .

مرّت الأيام رتيبة مكررة، كل يوم تُراق فيه الألوف بلا رحمة على أرضية الصالة، تدوسها أقدام راقصة أو حذاء لامع ثم تجمعها الجواريف البلاستيكية وتُقسّم الغنيمة بعد ذلك على المنتصرين . .

كم تمنّى أحمد أن يحصُل على غرفه جاروف! كم تخيّل تملّكه لغلّة يوم واحد!!

عَرَقٌ معَطّر ورائحة أنفاس كحوليّة، نظرات وتليفونات مُتبادلة، اتفاقات مشبوهة وضَحكات مشوّهة. ليل طويل ونهار قصير، وغُرفة مظلمة بلا مروحة، لقطات بعيون ميتة لا لمعة فيها ودُخّان يعمي الأعيز مسافة شهر، لم يكن أحمد يملك من الأمر شيئًا.. كان يتحمّل لأنه لا يتمتّع بحُريّة الاختيار.. حاول تَجنُّب المتحفّزين قدر استطاعته.. كان يعرف أنه لن يتحمّل الصدام.. لن تسمح به نفسه.. على عكس جودة الذي سُحقت نفسه وأَصبح وجهه مكشوفًا.. يبتسم للقُبح ما دام قد دسّ الورقة المُلوّنة بين يديه.. يلتقط المواعدات والإشارات كالتقاط الراديو

لموجة الـ"FM" غصبًا.. لا يملك إلا سماعها..

كانت الشمس قد توسّطت السماء عندما خرج أحمد كعادته ليأتي بمتطلّبات معدته مصطحبًا الكاميرا..

أو ما تبقّى له من الأهل.. مُتّجهًا إلى ميدان السيدة مارًا بمنظر يستوقفه دومًا حين يخرج، قريبًا من كوبري الجامعة في شارع مراد، يلتقط له صورة أو اثنتين في سرعة، ثم يمضي في طريقه إلى أخته، زيارته شبه الأسبوعية..

....

انبعثت أصوات مكتومة تحمل أثر آيات قرآنية وصرخات مبتورة من شقة كمال إبراهيم سابقًا . . محمود حسيب حاليًا . . استوقفت أحمد تلك الأصوات دقيقة كاملة، حاول فيها أن يستوّعب ما يجرى قبل أن يضرب الجرس ضربًا مُبرحًا حتّى نزف، سكتت الأصوات، بعدها سمع صوتًا يصيح : أنا مش قلت الجرس يتفصل .

ثم سمع وقع أقدام تقترب من الباب الذي انفتح . .

" السلام عليكم ورحمة الله . . " التي فتحت كانت فتاة تلبس النقاب لم يتعرف إليها . .

أحمد : آية؟؟

الفتاة المنقّبة : الأخت آية جوه أقولها مين؟

أحمد : أحمد أخوها . .

ذهبت الفتاة وأتت آية : السلام عليكم . . تعالى يا أحمد . . خش على طول الأوضة اللي في الوش عشان محمود عنده ضيوف .

مر أحمد بالغرفة التي يجلس فيها محمود وضيوفه ولم يستطع أن يستشفّ أيا من الجالسين بسبب الزجاج المُصنفر فجلس في غرفة آية وجذبها من يدها . .

أحمد : فيه إيه جوه؟؟؟

اية : مالك فيه إيه . . . دول ضيوف محمود . .

أحمد : أنا سامع صريخ من بره .

أغلقت آية باب الغُرفة ورجعت : دول ضيوف محمود ومعاهم واحد ربنا مُبتليه بيحاول يساعده، ربنا يعفي عنّك . .

أحمد : يساعده إزاي يعني .

آية : فيه مخلوق سُفلي والعياذ بالله راكبه، جِن كافر .

أحمد : جِن لمّا يركبك إنتي وهو، إيه يا آية اللِي حـصل لـك، أمّال لـو ماكنتيش مُتعلّمة، وبعدين الباشمهندس بتاع الكمبيوتر من إمتى بيطلّع جِن وعفاريت؟؟

آية : وطّي صُوتك . . . الناس هتسمعك ما تحرجنيش .

أحمد : يا آية إيه التخلّف ده، إنتي رايحة على فين إنتي وهو؟!

آية : الجِن مذكور في القرآن والمس كمان وبعدين محمود بيعـالج بـالقرآن مش ساحِر . .

أحمد : وهو من إمتي بيفهم فيه؟!

آية : محمود ربّنا فتح له باب من عنده، ووهبه شفافية وكرامة وبعـدين ده كله لوجه الله، إحنا مابنتقاضاش أجر على ده . .

أحمد : يا بنتي الواد ده مش فاهم حاجة، إنتي عارفة آخرة اللـي بيعملـوا ده إيه؟؟ دي شـقّة أبـوكي وأمّـك إنتـي نـسيتي، عـايزة تقلبيهـا مصّحة للجِن والعفاريت، ده إنتـي كنتـي في كليّـة الآداب يعنـي فاهمة، مش جاية من ورا الجاموسة عشان تـسمعي كـلام عـم " ديفيد كوبر فيلد " ده . .

آية : أحمد لو سمحت ما تتكلمش معايا بالطريقة دي وبعدين إنت . . .

في تلك اللحظة لم يكن أحمد ينظر إلى آية، كان يحدق في مساحة مستطيلة لونها أفتح من لون الحائط كانت عليها صورة زفاف لأَبيه وأمه..

أحمد: فين الصورة اللي كانت هنا؟

آية: موجودة.

أحمد: مين اللي شالها؟ محمود؟

آية: أنا اللي شلتها مالكش دعوة بمحمود..

في تلك اللحظة فتح محمود باب الغرفة بذقنه التي ازدادت طولاً وبعثرةً. السلام عليكم... هو من الذوق إن الصوت يعلا كده وعندنا ضيوف يا آية.. إزيك يا أستاذ أحمد؟

أحمد: إنت بتتكلم عليا أنا طبعًا.

محمود: صوتك جايب لآخر الشارع يا أستاذ أحمد، وأنا عندى ضيوف.

أحمد: الكلام ده ماتعملوش في شقة أبويا يا محمود يا حسيب.

محمود: والله ده بيتى وأنا حر فيه.

إلتفت أحمد لآية: طبعًا إنتى موافقة على الكلام ده..

آية: يا أحمد لازم تقرأ شوية في الدين، الدين مش صلاة وصوم وبس..

أحمد: ومش جن وعفاريت كمان يا آية.. فين صُور أبويا وأُمى..

آية: فوق الدولاب في الصندوق الكبير.

بعصبيّة سحب أحمد كرسيًا وألصقه في الدولاب وصعد، ففوجئ بأكوام من الصور غطّتها الأتربة، كانت تملأ البيت في يوم من الأيام.. مراحل عمره وعُمر أخته، لقطات لأبيه يحمله على كتفه، ولقطة تجمعهم كلّهم وآية

لا زالت في اللّفة ولقطات لآية على البحر، ولقطة بضفائرها على كرسي مر البامبو الأبيض واضعة رجلاً على رجل، وصُورة الطفل الباكي، تلك التي تجدها في كُل بيت محترم مر بفترة السبعينيات، وتمثال خشبي لأفيال إفريقية، وشهادات وأوراق كانت لها قيمة ولم تعد، ذكريات سَجّلها أبوه هي ما تبقّى من رائحته.. من رحلة شقائه..

نفض أحمد التراب: الصور حرام مش كده؟؟

محمود: لو قريت هتعرف إن الجن بتسكن فيها وكُلّها نَجَس..

رماه أحمد بنظرة مُتحفّزة أسكتته، ونظر إلى آية التي اضمحلت في ركن الغرفة: كده يا آية! أنا ماشي..

آية: يا أحمد ربّنا يهديك استنّى وافهم، محمود مش قاصده بس دي الحقيقة، التّصوير حرام وفيه أحاديث كتير أوي بتنهانا عنه، وبعدين أنا مارميتش الصور أنا بس جنّبتها..

أحمد: يعنى الناس هتُعبد الصّور.. وجن إيه اللي ساكن في صورنا ده كمان.. يا بنتي دي كانت شُغلَة أبوكي اللي ربّاكي منها. دلوقتي الجن ساكن فيها..

قالها واتّجه ناحية باب الشقّة دافعًا محمود في كتفه ووقف أمام غُرفة الضيوف وفتح بابها فوجد ثلاثة رجال ريفيين وبنت جميلة في العشرينيات يُبلل وجهها العرق، نائمة على كتف سيّدة عجوز وعيناها تنظُران إلى سقف في شرود، نظر إليهم لحظة، ثم انسحب إلى باب الشقّة في حين هرول محمود إلى داخل غرفة النوم وعاد بظرف أبيض..

محمود: استنّى يا أستاذ أحمد.. ورفع يده بالمظروف..

نظر أحمد إلى آية التي أنزلت النقاب على وجهها عندما اقتربت من الباب فام يقرأ ملامح وجهها: إيه ده؟

محمود: آية ما بتخبّيش عنّي حاجة.. وأنا ما أدخلش بيتي قرش حرام، وفّر مصاريفك..

عرف أحمد ما في الظرف فجذبه ووضعه مع الصّور التي أمسكها بصعوبة لصدرها ونظر إلى آية نظرة أخيرة خالية من المعنى قبل أن يرحل..

مشى أحمد كثيراً حتّى أدركه التعب فركب من ميدان الجيزة إلى الكازينو.. لم يكن يفكر إلا في شيء واحد.. ذكرى رحلة إسكندرية السنوية التي كانت تجمع الأسرة كلّها ومُداعبات أبيه لآية، الآيس كريم والبسكوتا والجري على البحر، رُكوب البدّال وملاهي العجمي.. كان كل شيء مستقراً كالموج الهادئ، كابتسامة أخته وهي على كتف "عم كمال" ترفع يدها بسعادة في وجه البحر..

"كُنت فين يا أبو حميد.."

كان أحمد قد وصل إلى الكازينو.. دخل غرفته.. وضع الصّور بجانب مرتبة السرير وعلّق صورة أبيه وأمه على الحائط.. وغفل حتّى دخل عليه جودة..

أحمد: ولا حاجة يا عم جودة كنت بزور أختي وجبت من عندها شوية صور قديمة لأبويا وأمي..

جودة: والصور عليها تراب كده ليه.

أحمد: كانت مركونة بس.

جودة: وشّك مش مبسوط، فيه إيه؟

أحمد: ولا حاجة يا عم جودة أنا كويّس. . . الساعة كام؟

جودة: الساعة عشرة إلا رُبع، والصالة بدأت تتملى. .

أحمد: خمس دقايق وأحصّلك.

جودة: مش عايز تقوللى مالك برضه؟

أحمد: بعدين يا عم جودة. . . بعدين.

كانت الصالة في ذلك اليوم مُكتظّة مُبكّرًا عن ميعادها، فاليوم خميس وكما يقولون عيد ميلاد إبليس. .

امتلأت الترابيزات، ورُصّت عليها الكؤوس وأطباق المَزة العامرة، صَخَب وضحكات، رائحة عُطور مُتداخلة، ودُخان وملابس مُلتصقة تزحف تحتها الأيدي، قُبل مُختلسة ونظرات جائعة. .

"مين ده يا عم جودة؟"

كان أحمد يشير إلى ذلك الرجل الذي لم يألفه في الكازينو من قبل. .

جودة: قاعد فين؟

أحمد: تالت صف على الشمال.

جودة: ده يا سيدى جلال مُرسى بتاع جرنال الحريّة.

أكله أحمد بنظَره، صلعته اللامعة، سنين عُمره التي أشرفت على الخمسين، عيناه الواسعتان اللتان تبدوان مُكتحلتين وأسنانه ناصعة البياض، أنفه الحاد، أصابعه الرفيعة وأظافره الطويلة، شَعره الذي بدا أَسود فاحمًا من أثر صبغة حديثة، وولاعته البنزين الذي لا يتوقّف عن فتحها وغلقها بعصبيّة وسيجارة وُلد بها بين أصابعه كالعيب الخلقي. .

أحمد: أول مرّة ييجى هنا؟

جودة: لا ده زبون هنا على طول.. بس بييجي كل فترة.

احمد: ومين اللي قاعدة معاه دي؟

جودة: بتسأل كتير.. واحدة زي أي واحدة بتيجي هنا.

احمد: شكله مش باين عليه، اللي يشوف جرناله مايتخيّلش إنه كده.

جودة: الناس هنا حاجة وبرّه حاجة تانية، هنا زي دورة الميّه، الواحد بيعمل اللي يتكسف يعمله وسط الناس، يقلع هدومه، يغنّي في المرايا.. يعمل روايح وسخة.. براحته، المهم إنه يخرج مرتاح.

احمد: أشوفه يحب يتصوّر؟

جودة: إنسى.. ده بالذات مالكش دعوة بيه، ده يقفل لنا المحل كله، مايحبش الصور.. بس بيراعينا..

في تلك اللحظة التقت عينا جلال مرسى مع جودة الذي لوّح له بيده: سعادة الباشا.

لوّح له جلال بإبتسامة فاترة ثم نظر في جيب جاكتته الأيمن قبل أن يشير إليه أن تعال: إزيك يا جودة؟

أخبارك إيه؟ كله تمام..

جودة: يا باشا واحشنا والله المكان مضلّم من غير سعادتك..

جلال: مضلّم بيّا ومن غيرى يا واجل يا بكّاش.. ودس ورقة حمراء داكنة في يده فانحنى وشكره قبل أن يرجع إلى أحمد الذي تابع الموقف من بعيد..

احمد: إيه.. فيه حاجة؟

جودة: ده رجل زى الفُل، زُبون مُحترم.. خمسين جنيه كُل ما يجى من غير ما يتصوّر.

أحمد: عُمره ما إتصوّر؟

جودة: زمان قبل ما يمسك رئيس تحرير.

طُوال الليل لم تتحرّك عين أحمد لحظة عن جلال مُرسى.. يشرب كما لم يشرب أحد من قبل.. بوعي لم يغب وكأنه يشرب عصير القصب، قام مرّتين أو ثلاثًا إلى الحمّام، ومرّة خرج إلى الشارع لعمل مكالمة طويلة لا يبدو فيها صخب الصالة، داعب كثيراً الفتاة بجانبه التي بدت صغيرة السّن أسفل ظهرها الذي أصبح أحمر كالدم عندما قامت لتدخل الحمّام لتُفرغ غيظ الشّعير الذي تجرّعته، وانضمت إليه في آخر الأمسية " قمر " الممثلة نصف الصاعدة، التي أبهرت الناس بتمثيلها الذي جسّدت فيه دور عاهرة مثيرة في مشهدين من فيلم يُعرض حاليًا في السينما، مُرتدية فستان طفلة سن أربع سنين تستطيع بسهولة رؤية حفّاظتها من خلاله.. تصاعدت الضحكات وتبودلت أخبار الوسط والنكات التي بدت فيها لثغته في حرف الراء رغم محاولاته أن يداويها، يأكلها ويخفيها وسط كلماته وينتقى تعبيرات خالية منها حتّى لا تظهر زلّته.. أخرج تليفونه المحمول وبدأ يعرض ملفًا مرئيًا على " قمر " التي ضحكت حتّى أوشكت على السقوط بالكرسي، ثم أخرجت تليفونها وعرضت له ملفًا آخر بدا مُخلاً حين أحاطت الشاشة بيديها، ثم بدأوا تبادُل الملفّات عن طريق خاصيّة البلوتوث.. أضاءت الفكرة في رأس أحمد كالبرق.. التفت أحمد إلى جانبه ليجد سامي البارمان:

أبو السام مُمكن تليفونك دقيقة؟ معلش الرصيد على الأرض..

سامي: أوي يا قمر إتفضّل يا حبيبي..

لم يكُن تليفون أحمد حديثًا.. كان من الرعيل الأول لأجيال التليفونات التي ينحصر في الاتصال والاستقبال، وبطبيعة الحال لم يكُن فيه بلوتوث.. قلب أحمد قوائم التليفون الحديث حتى وجد الخاصيّة..

كان مُتابعًا للموديلات الجديدة لكن العين بصيرة واليد قصيرة.. فكّر قليلاً في اسم قد يُغري "جلال" بالاتصال.. غيّر اسم الجهاز إلى "عايزة".. بدا داعراً.. ضغط على البحث.. انتظر قليلاً حتى انتهى التليفون من التفتيش عن الأجهزة في نطاقه.. ظهرت ثلاثة أسماء.. أحدهما "قمر" والثاني "ليلى" والثالث مكتوب عليه "GM".. اختار أحمد الأخير.. لم يحتج ذكاء ليُخمن أنّها أول أحرُف من جلال مُرسي.. أرسل له دعوة.. صورة صوّرها للقاعة من وجهة نظره..

ما لبث تليفون جلال أن تلقّاها.. ابتسم في زهو ونظر حوله باحثًا عن تلك الـ"عايزة" ولم تعثُر عليها عيناه.. قبل الدعوة وقرأ الرسالة التي حاول فيها أحمد أن يكون صيّادًا.. صيّاداً لا يملُك غير طُعم وحيد..

كتب فيها "لو ١٨ سنة صُغنّونة عليك ماتكلّمنيش على الرقم ده" وكتب رقم سامي..

لم يستطع جلال مُقاومة نداء الغريزة، قام بعدما استأذن قمر في إجراء مُكالمة بحجّة العمل وأجرى اتصالاً بفريسته المُشتاقة.. كتم أحمد أنفاس موبايل سامي عندما أحسّ باقتراب الرنين.. ظهر الرقم.. ضغط على زر إغلاق الخط.. استعجب جلال من رد الفعل.. حاول ثانيًا.. أغلق أحمد الخط ثانيًا في وجهه.. أظهر جلال وجهًا مُستاءً من المزحة الثقيلة، علّها

تُدرك أن دُعابتها لم ترقه . . انتظر قليلاً ثُمّ رجع إلى ترابيزته وهو يتأمّل بعينيه المُكتحلتين إناث الصالة . . أعاد أحمد اسم الموبايل كما كان بعدما أغلق الخاصيّة وشكر سامي بعدما نقل رقم جلال إلى تليفونه ومسحه من عنده، وزيادة في الحرص أغلق التليفون . . فسامي كانت يداه مشغولتين فلم يعره اهتمامًا . . دارت الأحاديث الحميمة مرّة ثانية على الترابيزة مع جلال الذي أخرج من جيبه نوتة صغيرة، وخطّ فيها بضع كلمات قصيرة وهو يستمع لقمر في اهتمام، بدت تحكى له قصة . . حاول أحمد أن يلتقط له صوره، ولكنه خشي أن يُلاحظ منه أو من جودة أو أحد العاملين فيثير الشك في نفوسهم، فانتظر حتّى بدأت سالي فقرتها، واندمج الجمع فيها وأسند كاميراته الخاصة إلى البار موجهًا العدسة ناحية الترابيزة ووضع يده حولها في وضع مسترخ حتّى ألفت العيون وجوده في ذلك المكان وانحسرت عنه، فأطفأ الفلاش وسدد لقطة عشوائية بكاميرته حاول فيها إصابة هدفه، وانتظر لحظة لتظهر اللقطة على الشاشة فبدت غير واضحة، فعدّل من وضعيتها وسدد، فأصاب تلك المرّة هدفه وأطلق أربع لقطات أخرى تأكد من إصابتها لهدفه حتّى أحس بأنه قد يكون موضع نظر، فسحب نفسه ورجع إلى آخر الصالة بجانب جودة مرة أخرى مندمجًا في تصوير الزبائن . لا يغيب جلال عن نظره، إلى أن أعلنت عقارب الساعة الرابعة والنصف صباحًا فقام جلال قابضًا على وسط صديقته وودّع " قمر " بقبلتين على الخد وحضن سريع ودفع حسابه بسخاء ورحل في هدوء تاركًا أحمد إلى الساعتين الباقيتين في هذه الليلة يفكّر فيما رآه وما أدركه . .

ها هو رئيس تحرير جريدة الحُريّة التي اعتقد في يوم من الأيام أنها قد يكون عونًا له في نشر الصّور الركيكة التي أخذها يوم ودّع صاحبه، كان يعرف أنّها لا تفي بالغرض، لكنّها كانت كافية لفتح التحقيق..

لم يؤخذ بالمشهد في الكازينو لمدة طويلة. فعلى كُل حال، رد فعل الجريدة وقت الحادث بنشرها الصور على أنها سبق صحفي خاص بها وضّح اتجاهها، ولكنّها كانت أفضل الجرائد المستقلة في نظره، على الرغم ممّا حدث ظل يُتابعها أسبوعيا، يرى فيها المجتمع عاريًا كما ولدته أمه، كثيرًا من الإثارة وبعض الحقيقة، مؤامرات ودسائس وقصّصًا جنسية مُروّعة أبطالها يُكتبون فقط بالأحرف الأولى من أسمائهم، بعض القضايا السياسية وقليرًا من الفساد ولا نقطة بيضاء واحدة حتّى من الكوريّكتور، غنيّة تُشبع القارئ الباحث عن حجر يُلقى في مياهه الراكدة، أي تغيير يُفرّغ طاقته المكبوتة يصنع موجة تهزّ أفكاره.. تُبلبلها.. تُصححها، تدفعها، تُفجّرها.. يهدأ بعدها كالولية العقيم بعد جلسة الزار المُرهقة، ينام ويستكين بجرعة المورفين التي تجرّعها؛ فتغنيه عن صرخة الآه مكتفيًا بما قرأه.. مُكتفيًا بمُشاغبة جلال مُرسي وتخبيطه في الرؤوس الكبيرة، وكأن الدنيا انصلحت ولم يعُد هناك داع للتدّخل من ناحيته.. فماذا سيقول بعد ما قاله الصفار الأعظم الذي يهاجم ويؤدّب الكبار بلا تردد..

انتهت الليلة وأكملها أحمد أمام الكمبيوتر يُحدق في الصور، يُقرّبها ويبعدها، يُقدّمها ويؤخّرها كأنه يراها كل مرّة لأول مرّة.. حفظها في مكان أمين بجانب صور مذبحة الفندق، وصور أخرى قريبة إلى قلبه كما سجّل رقم التليفون الذي التقطه على تليفونه.. شعر أن هُناك شيئًا يُحركه فيما

يفعله . . كان ذهنه مشحونًا بأفكارٍ كثيرة أخذت تتقلّص حتّى قضى عليها النوم . .

قبل تلك الأحداث بعشر ساعات تقريبًا كانت غادة تقف أمام زُجاج المحل الذي تعمل فيه من الداخل شاخصة ببصرها في الشارع المُزدحم بسيّاراته الفارهة، والمارة يتدفّقون فيه بسرعة كأفلام شارلي شابلن . .

لاحظت انعكاس وجهها على الزجاج بسبب سقوط شمس العصر عليه، فأخذت تتأمل ملامحها كأنها تراها للمرة الأولى . . شاحبة قليلاً ولكنها جميلة، هي تعرف ذلك، خمرية، جبينها مستقيم وأنفها حاد صغير، ابتسامتها تكشف عن أسنان دقيقة رُصّت بعناية بين شفتيها المكتنزتين، عينها واسعة تسبح فيها حدقة عسلية لافتة، وشعرها بني داكن مموّج يصل إلى نصفِ ظهرها لا تظهر منه إلا خُصلة مُتسللة من تحت حجابها المعقود على الطريقة الإسبانيش، مختومة بطابع حُسن أخّاذ يعلو رقبة طويلة تُتوّج جسمًا رقيق الأطراف يشبه كثيرًا ملامح جسم فتاة فرعونية لو تخرّجت في كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان . . شردت كثيرًا حتّى لاحظت ذلك الشاب الذي يمسك بكاميرا يوجّه عدستها نحوها، فما إن أفاقت من شرودها حتى اختفى . . كانت المرّة الثانية التي تلحظ معها ذلك الشاب، في المرّة الأولى شاهدته زميلة لها، وأقسمت أنه كان يصوّرها، وها هي تلاحظه مرّة أخرى . .

"غادة . . غادة . . تليفون . . "

همس ذلك الصوت في أذنها كأنه سر، فمدّت يدها إلى ذلك الشيء الكامن في تجويف أذنها، المخفي بين غابات شعرها بعناية، وتأكّدت أنّ

الإلمر فيه على رقم ثلاثة.. كانت غادة تُعاني من الصمم، وُلدت طبيعية ولكنها أصيبت في الخامسة بالتهاب أضعف عصب السمع لديها كثيراً، يتكلم، لكنّها تسمع الأصوات كالفحيح، يجب أن تتابع حركة شفاه من يكلمها حتّى يكتمل لها المعنى..

"تليفون يا غادة... أختك"

اتجهت غادة إلى التليفون: ألو..

ميادة: أيوه يا غادة إزيك.. هتخلّصي النهاردة إمتى؟

غادة: الساعة خمسة، إنتي فين؟

ميادة: أنا في الكلّية.. هعدّي عليكي أنا وحازم.. هدّيكي ميسد كول لما آجي.

غادة: ماشي..

ميادة: إتغدّيتي؟

غادة: لسه.

ميادة: طيب أنا جايبالك معايا.. عاملة حسابك.. ماشي.

غادة: ماشي.. ماتتأخّريش.

ميادة: ماشي.. يلله عشان بتكلّم من موبايل حازم.. باي.

غادة: باي.

لم تكُن تملك في الدنيا غيرها.. ميّادة.. والد متوفي، وأُم تعمل بكل جهدها لتطمئن على مُستقبل ابنتيها، وأمور الستر والجهاز وغيره..

تخرّجت غادة في كُليّة الفنون الجميلة جامعة حلوان بينما تعثّرت أُختها ميادة في معهدها الخاص بستّة أكتوبر ذي المصاريف الباهظة.. والتحقت

غادة بالعمل في جاليرى أثاث من النوعيّة التي تبيع الكرسي بثلاثة آلاف جنيه، فيلا بشارع مُراد بالجيزة تطُل على حديقة الحيوان، تعلّمت فيها غادة بسرعة وأصبحت من الأيدي القديمة في المكان على الرغم من أنها الأحدث سنًّا، أحبّها كل من في المكان خاصة صاحبة الجاليرى، كانت حياتها تنحصر بعد ذلك في المنزل أو عند وصديقتها عبير..

كانت تعرف أنها جميلة ولكنها تعرف أيضًا أنها منبوذة، حلمت كثيرًا بفتى الأحلام على حصانه الأبيض.. الحصان الذي تعثّر في عتبة البيت وسقط على وجهه حين لمح السمّاعة التي تتخلّى عنها بمُجرد خروجها من العمل لترجع إلى عالمها الهادئ البعيد عن صخب الحياة المثيرة.. أحبّت حُبًّا صامتًا كسمعها لم يتعدّ حدود النظرات أيّام المراهقة وانتهى كما بدأ في هدوء عندما أدركت أنه ينقصها شيء كبير لن تستطيع توفيره. قُرأت فاتحتها مرّة على قريب لها ولم تستمر.. في حين كانت ميّادة سعيدة الحظ الشقية التي تحظى دائمًا بالاهتمام، خفيفة الظّل والعقل التي ينصبّ همّها على جلسات الكافيهات وملابسها الجديدة وصديقاتها وتليفونها المحمول وحازم..

ذلك الشاب الطويل الوسيم لامع الشعر خمري اللون زميلها في الدراسة، وصديقها وخطيبها المستقبلي الذي يضيء الآن رقم تليفونه على شاشة موبايل غادة في جيبها، ليُخبرها الاهتزاز بأن أختها تنتظرها خارجًا. علّقت حقيبتها على كتفها وودّعت زميلاتها والتقت بميّادة وحازم فاندست في كنبة سيّارته وانطلقت إلى البيت..

كان أحمد قد نام ساعتين عندما استيقظ على خبط شديد يكاد ينتزع باب غرفته الصغيرة، قام بفزع ليجد الغُرفة كُلّها مضاءة بلون أحمر قاتم كالمستخدم قديمًا في غُرف تحميض الصّور. يتسلل من تحت باب الغُرفة ومن فتحة تهوية صغيرة في الحائط، قام يتخبّط وفتح الباب ليجد أمامه سيّد قدري بودى جارد الكازينو...

سيد: أبو حميد.. إنت قاعد عندك بتعمل إيه؟

أحمد: فيه إيه يا سيد؟؟

سيد: إنت ما تعرفش.. الكازينو بيتحرق.. ربّنا ستر إني افتكرتك، هات حاجاتك ويللا..

أحمد: إيه اللي حصل.. هي الساعة كام؟؟

سيد: إحنا الفجر.

أحمد: حد حصلّه حاجة.. عم جودة فين؟

لم يتلقّ ردًا... كان سيد قد اختفى... لم يدرِ بنفسه إلا وهو داخل الكازينو الذي تحوّل إلى رماد أسود، رائحة لحم مُحترِق تملأ المكان، جثث سوداء مُتخشّبة، حيطان فقدت لونها وفوضى عارمة..

غاصت رجله في شيء لزج بجانب إحدى الترابيزات، فزع عندما أدرك أنها جثة.. جُثة تمسك بولاعة بنزين.. جلال مُرسى.. أظافره لم تحترق كلها، كان بها أثر طلاء أظافر أحمر!!!

"ده جلال بيه.." كان هذا صوت سيد قدري البودى جارد.. هو سبب الحريقة، ولاعته وقعت على الأرض حرقت السجّادة الكبيرة، وكلت كل حاجة بعد كده..

أحمد: فين عم جودة؟ روّح؟

سيد: لأ.. لما عِرف إن فيه حريقة رِجِع تانى.

أحمد: هو فين؟

سيد: أهو.. عند البيست.

جرى أحمد بصعوبة شديدة وسط الرُكام كتأثير الحركة البطيئة في الأفلام، لم تكُن الفوضى هي ما تبطؤه،

بل كان لديه شعور داخلي بعدم القُدرة على الإتيان بأسرع من هذا الأداء، وكأن ما يجرى في عروقه صمغ عربي وليس دماء: عم جودة!

رأى أحمد أغرب منظر قد يتخيّله، جودة يجلس بجانب البيست يرتدى بذلة عسكرية كاكى نظيفة ومُهندمة، يمسك بطبق جاتوه نصفه مُحترق، ويأكُل في نهم!

أحمد: عم جودة!! إيه اللي بتعمله ده؟ لم يجبه جودة.. عم جودة إنت إيه اللي مقعّدك هنا؟؟ الريحة هنا تُخنُق... قوم نُخرج برّه.

جودة: أكل عِيشنا إتقطعَ خلاص يا حَمادة.. إلحق خُد أي حاجة من هنا بيعها.. إنت جاى معايا شقتي هتسكن معايا..

أحمد: بس أنا عمري ما روحت الأميرية دى.

جودة: بُكرة تتعوّد.

كانت عين أحمد قد تسمّرت على جثة لفتاة بيضاء عارية تستلقي على وجهها، تشبه في هيئتها سالي الراقصة، حين انقطعت الأنوار فجأةً.. عم جودة.. تعرف تقوم؟؟ أنا مش شايف حاجة.. عم جودة..

عم جودة.. رُد عليّا..

جودة: إخرج إنت يا أحمد أنا مستنّى لمّا النهار يطلع..

لم ير إلا ولاعة جلال التي لمعت بضوء فسفوري خافت في الظلام، لم يعرف ما حمله على أخذها..

انتزعها بصعوبة من يد انصهرت أصابعها، ركض إلى الخارج ليجد نفسه أمام باب شقته في السيّدة زينب، أخرج مفتاحه وأولجه في الباب الذي لم ينسحب حين فتحت الباب أمه..

بُهت أحمد ولم يتمالك نفسه من البكاء حتّى انتحب، احتضنها وشهق، شم رائحتها التي افتقدها منذ زمن: ماما إنتي عايشة.

الأم: آه يا حبيبي.. أنا مش قلت لك إني راجعة.. تتغدّى يا حبيبي؟

أحمد: الكازينو إتحرق وأنا جعان أوي..

الأم: خش إغسل وشّك الأول وبعدين نتكلّم..

دخل الحمّام ليغسل وجهه حين نظر في المرآة، فرأى شيئًا داكنًا يظهر من خلف ستارة الحمّام الشفّافة التي أزاحها ليجد أخته آية مستلقية في البانيو، ترتدي نقابها إلا أنه تسلّح فكشف حتّى فخذها.. كانت تغُطّ في نوم ثقيل وتنخّر في عُمق، لم يُحاول إيقاظها إلا أنه غطّاها، وعاد إلى الحوض حين وجد كاميرته.. عاد يغسل وجهه فلمح دودة صفراء مُمتقعة تتلوّى بجانب الكاميرا عند الصبّانة، أمسك بورقة مناديل ليرميها في المرحاض حين رأى واحدة أخرى، تملّكه التقزز حين اكتشف ثالثة تخرج من جانب الكاميرا التي حملها بعيدًا عن الحوض، وفتح مكان الديسكات، ليفاجأ بكمية مهولة من الدود والخنافس السوداء تتصارع داخل الكاميرا.. رمى بها في فزع على الحوض وخرج من الحمّام ليجد فتاة معرض الأثاث تجلس بجانب أمه في

حديث بدا وديًا، تلك الفتاة التي لم يجد ما يقاومها به سوى تصويرها وتكديس صورها في مكانه الآمن على الكمبيوتر . .

عرق غزير علا جبهته اختلط بشعره فعبث به في كل اتجاه، تشمّرت قدماه إلى الرُكب والتف الغطاء حوله عدّة مرّات. كان نائمًا على وجهه، مكتوم النفس مخنوق الصدر، قام في نصف جلسة يلتقط أنفاسه المتلاحقة، ينهج في عُنف، ناظرًا إلى بُقعة اللعاب التي ظلّت تسيل من فمه لأكثر من ساعة صانعة بركة متّسعة على ملاية المرتبة . . قضى لحظات محاولاً جمع أشتاته، كان كابوسًا غريبًا، شعر معه أنه نام أسبوعًا، نظر في ساعة التليفون بجانبه فوجد أذناب العقرب تلدغ الساعة الثانية والنصف من بعد الظُهر. لم يتذكّر أنه رأى من قبل حلمًا يحمل كُل تلك التفاصيل، يحفظها كأنه عاشها بنفسه . . الحريق، جلال، جودة، الفتاة العارية، أمه وأخته. الديدان. . . وفتاة معرض الأثاث . . أشعل سيجارة وأخذ ينظُر في دُخانها يسأل نفسه : أين أنت يا سيّدنا يوسف عليك السلام؟؟

مر اليوم برتابته المُعتادة . . رحلة البحث عن مطعم جديد لإرضاء تلك المعدة التي أُنهكت من الكشري والسندوتشات والبقالة ليلاً، تلك الرحلة اليوميّة التي تشبه الروتين اليومي "لبروميثيوس" سارق النار الذي عاقبه "زيوس" كبير الآلهة في الدراما الإغريقيّة، مُعلّق بين جبلين يأكل النسر كَبده الذي ينمو كُل يوم من جديد لينتظر العذاب نفسه مرّة أُخرى في اليوم التالي، تاقت نفسه كثيرًا لطبخة منزلية من يد أمه . . تراوده أحداث الحلم كل خمس دقائق . . يشعُر أن هناك رسالة ما مخفيّة بداخل ذلك الحلم، فمنذ فترة لم تأته مثل هذه الرؤيا . .

تمشى حتّى وصل إلى جاليرى فتاة الجاليرى . .

وضع حقيبة الكاميرا بجانبه على دكة في الرصيف المُقابل، وأخرج وجبته وأخذ يأكُل . . يتمنّى أن تظهر حتّى عَبرت من أمام الزُجاج . . كم هى هادئة . . جميلة، ابتساماتها التي تكشف عن نُغزتين في وجنتيها . . مشيتها . . راقبها حتّى اقتربت من التليفون، فأتته فكرة جعلته يقوم ويُخرِج كارت المناتل ويتّصِل من كابينة بِجانِب الدِكة بالرقم المكتوب أسفل يافطة الجاليرى . .

سَمِع جرس الهاتف يدُقّ في أذنه، قلبه يرتجف وأنفاسه تتلاحق بسبب الأدرينالين الذي انطلَق مُنذ قليل من غُدّته فوق الكلويّة مارًّا بأعضائه كُلّها يوقظها ويُحفّزها . . سلّك حنجرته بكُحّتين وأخذ يُراقِب هدفه، كانت تقف بجانب التليفون وكأنها لا تسمعه حتّى اقتربت فتاة أُخرى ورفعت السمّاعة . .

" كيرييشن جاليرى ألو . . . ألو "

كان أحمد قد أغلق السمّاعة قبل كلمة ألو الثانية . . هدأت أنفاسه قليلاً ورجعَ إلى دكته . . قام مرّة أُخرى ووَضع الكارت وضرب الرقم . . لم يُكمله . . أخرج الكارت . . وضعه ثانيًا . . سمِع الجرس . . لم تتحرّك رغم أنها تجلس بجانب التليفون . . كيرييشن جاليرى ألو . . كان ذلِك صوت الفتاة الأخرى . .

أحمد : آه ألو صباح الخير . . . كيرييشن جاليرى؟

الفتاة : أيوة يا فندم صباح الخير أتعرّف بحضرِتك؟

أحمد: مم.. أنا مُهندس كمال إبراهيم.. والله أنا كُنت عايز أعرف مواعيدكم.. أصل أنا جيت مرّة ولقيت الجاليرى مقفول..

الفتاة: حضرتك إحنا فاتحين كُل يوم من الساعة ٩ صباحًا لـ ٩ مسا ماعدا يوم الجُمعة.. وفيه بريك نُص ساعة من خمسة لخمسة ونُص.. حضرتك عميل عندنا؟

أحمد: لأ أنا جيت مرّة واتفرجت على شوية حاجات كده بس بسرعة. قابلتنى آنسة بس مش فاكر الإسم بصراحة، ورّيتنى شوية كاتالوجات حلوة أوى، هى صغنّونة وعندها طابع حُسن كده.. للأسف مش مُتذكّر الإسم خالص..

الفتاة: لازم حضرتك قابلت غادة..

أحمد: يمكن.. طيب هى موجودة؟ أقدر أكلمها؟ عشان أسألها على شوية حاجات يمكن تفتكرنى؟

الفتاة: شور.. خلّيك معايا ثوانى حضرتك..

ضغطت على زر العذاب الذي يبعث تلك الموسيقى الرتيبة على سبيل تسلية المُنتظر، في حين تصبّب جبين أحمد بعرق غزير وأخذ قلبه يخفق كدقاق الإسفلت "هيلتى دقّاق".. لم يكُن يعرف ما يقول، في حين اقتربت الفتاة من غادة وأخذت تشرح لها الموقف فوضعت يدها على أذنها ثُم أخذت السمّاعة..

غادة: ألو

أحمد: ...

غادة: ألو...

أحمد : صباح الخير . . آنسة غادة؟

غادة : أيوة . . أتعرّف بحضرتك؟

أحمد : أنا كمال إبراهيم اللي جيت من شهر ونصف وإتكلمت معاكى . .

غادة : أهلاً بحضرتك . . . يا ريت لو تفكّرني أكتر .

أحمد : ما أظنّش هتفتكريني . . لكن أنا كنت عايز أشترى شوية حاجات لشقّتي . .

غادة : حضرتك شفت أو حجزت حاجة عندنا؟

أحمد : في الحقيقة لسّه ما حجزتش لكن شفت كام حاجة كويّسة . . آه . . أنا كُنت هستأذنك إني أبعت أحمد ابنى يشوف شوية حاجات علشان بحب آخد رأيه برضه . . إنتى بتكونى موجودة كُل يوم؟

غادة : كُل يوم لغاية الساعة خمسة ما عدا الجُمعة .

أحمد : على العموم هو لمّا ييجى هيسأل عليكى .

غادة : تحت أمرك في أي وقت .

أحمد : شُكراً يا آنسة غادة . . واللا مدام غادة؟

غادة : آنسة غادة .

أحمد : مُتشكّر أوى . . مع السلامة .

غادة : مع السلامة .

لو كانت هناك موسيقى تصويرية لسمعنا تترات مسلسل " رأفت الهجان " التي تضع حداً لتوتّر المُشاهد بعد الحلقة الساخنة التي كاد فيها " الباهو جادوسكى " أن يكشف حقيقة رأفت . . اسمها " غادة " . . وغير

مُتزَوّجة. . وترحل في الخامسة. . شعَر أحمد بفداحة خسارة الْمخابرات لأنـه لا يعمل فيها. رحل وهو يعرف في قرارة نفسه أنه على مِيعاد مع تِلـك الـتي أسرت حواسّه. .

. . . .

قبل أن يُقبل المساء، كان أحمد في طريقه إلى المنيل حيث يعمل صديقه عُمر في أحد فروع كوداك إكسبريس، صديق أيّام الطفولة، وجاراً لأحمد في السيّدة زينب، من ذلك الطّراز الوفي الذي يرقص كثيراً في فرحك، ويعرق ويخرج قميصه من بنطلونه ويطفح الكوتة، وقد يُفجّر نفسه بسعادة لخدمتك..

خرّيج حاسب إلى وعبقري في مجال الكمبيوتر، يلجأ إليه أحمد كُلّما مال عليه الدهر وساعده الوقت ليبث همّه وحُزنه، ويتسلّى بما عنده من مخزون صوتي ومرئي في حاسبه الذي لا يخلو من الأفلام الإباحيّة التي تحتل الكم الأكبر منه. يسعد بصُحبته، بدمه الخفيف الذي ينسى معه أحمد كُل مشاكله، بدانته وطيبته ونظّارته العجيبة ووجهه الذي لا يعرف التكشير وضحكته الصاخبة.. بعد الحُضن الحار الذي اعتاد أحمد فيه أن يفقد أحد ضلوعه، ويصاب بارتجاج خفيف وبعض الكدمات والساحجات، استأذن عُمر صاحب الأستوديو وخرج بصحبة أحمد إلى كورنيش "عبد العزيز آل سعود" بعد أن حصل كلٌ منهم على بسكوتة الآيس كريم المُعتاد من محل لارين كما اعتادوا مُنذ أيّام الصبا..

عُمر: إيه يا إبنى العكّ اللي حصلّك ده كُله؟ وبعدين أنا كُنت فين، مش قادر تكلّمنى؟

أحمد : يابني كُل حاجة حصلت بسرعة، زى الأفلام العربي، ماكانش فيّا دماغ أكلّم نفسي حتّى.

عُمر : طب وآية.. كدة خلاص؟

أحمد : أديك سمعت.. فيه حاجة أقدر أعملها؟

عُمر : إنت لأ.. أنا مُمكن أكلّمها وأفهّمها إنك زعلان أو حتّى أخلّى أمي تروحلها إنت عارف إنها بتحبها ومتربّية على إيديها.

أحمد : يا إبنى هيّا مش هتقابلك إنت عارف، وكمان مش عايز أمّك تتبهدل معاها.. الحيوان اللي هناك مُمكن يعمل معاها مُشكلة.. ده واد واطى وأنا عارفه ومش عايز أضطر أضربه..

عُمر : وإيه موضوع الشُغلانة اللي إنت فيها دى كمان، ما كلّمتنيش ليه لمّا سبت الفُندق وسليم.

أحمد : أهو.. اللي حصل.

عُمر : عمومًا أنا عندي صرفة، أستاذ وحيد صاحب الأستوديو هيفتح فرع تانى في الشارع اللي ورانا هكلّمه عشانك.. الراجل جدع أوى ومايرفضش طلب.

أحمد : طيب والسكن، لو مشيت من باريس مش هقدر أفضل في الأوضة دى.

عُمر : حتقعُد معايا.

أحمد : في البيت عند أمّك؟ يستحيل...

عُمر : يا إبنى مش في البيت ولا حاجة سيبنى أنا أتصرّف بقه مالكش دعوة.

أحمد: ماتشغلش بالك بيا.. شوف إنت حالك بس.. صحيح.. لسّه مفيش حاجة كده ولا كده؟

عُمر: يا إبني البنات عَلى قفا مين يشيل المُهِم النفس.

أحمد: نفسها هي طبعًا؟؟

استغرقَا في الضحك الذي أصبح شحيحًا بمرور الزمن، أخرج كلٌ منهما ما في جُعبته من أسرار حتّى أصبحت السادسة والنصف...

أحمد: بقولّك إيه كفاية عليك كده قوم شوف شغلك عشان أنا كمان إتأخّرت لازم أروح لجودة، زمانه جه.

عُمر: إلا جودة ده كمان... ده نِمرة إنت إزاى ماسِك نفسك من الضحك وإنت معاه؟

أحمد: بس راجل طيّب.. وبيحبّني.. بقولّك إيه صحيح لو جبتلك صور على "CD" تقدر تطبعهالى من غير ما حد يشوفها؟

عُمر: والله على حسب.. لو فيها مُزز أنا تحت أمرك.

أحمد: لأ بجد تعرف تطبعها لي بنفسك؟

عُمر: وأطَبعلك أبوها.. يابني إنت مش عارف إنت بتكلم مين؟

أحمد: ماشي هبقى أكلّمك قبل ما أجيلك.. وافترقا إلى لقاء قريب.

في الطريق مرّ أحمد على بائع جرائد يفترش الرصيف، قريب من سينما فاتن حمامة، التقط عنوان الصفحة الرئيسية لجريدة الحُرّية.. اشتراها.. في المُنتصف كانت صورة "خالد عسكر" وهو يبتسم تصنع حواجبه في مَسكنة رقم ثمانية ليبدو على ملامحه الورع الشّديد، كأنه يبكي من الإيمان، تحتها عُنوان أحمر صارِخ يقول: "الداعية خالد عسكر يفتح النار على عمرو

حامد" ثُمّ ببُنط أسود على لسان خالد عسكر "عَمرو حامد داعية من منازَلهُم. . لا يحفظ كَلمة من القُرآن. . يُقيم في فُنادُق "خمس نجوم" ويُدافع عن البُسطاء. . واجهته مَرّة بحقيقته أعطاني ظهره وهرب. . أما آن الأوان لوضعه على القائمة السوداء في مطاراتنا" . . ثم على يمين الصفحة، صورة كبيرة لـ" قمر" المُمثّلة الصاعدة تحتضن مخدة بين رجليها العاريتين، وتلبس قميص نوم لا ترتديه زوجة لزوجها ليلة الخميس أو حتّى الجُمعة، مكتوب تحتها "بُرج المُتعة" فيلم جديد لقمر ثُمّ يقول الموضوع: "وقع اختيار المُخرج أكرم وحيد على المُمثّلة الصاعدة "قمر" لتجسيد دور زوجة تُعاني الحرمان الجنسي فتلجأ إلى ساكني عمارتها لتروى ظمأها. . كما جرت اتصالات مُكثّفة بين قمر وشركة إنتاج أجنبية للاستعانة بها في فيلم تاريخي عن صلاح الدين. . "قمر" تُمارس حاليًا تمارين اليوجا للمُحافظة على رشاقتها، وقالت إنها تنتظر حدثًا سعيدًا في آخر الشهر الحالي و. . . مرّت فجأة سيّارة مُسرعة كادت تطيح بأحمد وهو ينزل من الرصيف شاردًا في جريدة الحُريّة. . أغلق صفحاتها في فزع بعدما تلقّى سيلاً من الشتائم من سائق ميكروباص كاد يهرسه هرسًا فتمالك نفسه وأخذ طريقه مُسرعًا إلى باريس. .

في تلك الليلة، لم يكُن المكان عاديًا، كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة. . توسّطت القاعة ترابيزة طويلة تسع حوالي خمسة عشر شخصًا امتلأت بما يفّك أزمة الصومال. .

أحمد: مين اللي جاى النهاردة يا عم جودة؟

جودة: ده فتحي العسّال. . أكبر تاجر مواد غذائية فيكى يا مصر.

أحمد: ده بتاع شركات العسّال؟

جودة: آه.. عارف اللي إنت هتشوفه ده كانت مراته بتجري ورايا، حفيت يا حمادة، كانت زى القمر، عود فرنصاوى وشعر لغاية الهانش، حتّت ألماظيّة، أنا اللي ماوافقتش.. الله الغنّى يا عم.. هيّ كبرت آه بس لسّه بخيرها، الدهن في العتاقى، مش زى جيلكم المخستك ده، طب عارف ساعة الزنزال بتاع ٩٢، كنت معاها في الشقة، كنت خلاص هخلّص معاها، بس الواحد يعرف ربنا برضه يا حمادة، لولا أن رأى إيه؟؟ برهن ربه، مش كده، وبعدين في المخابرات حذروني عشان جوزها ده مش تمام، ماشى مشي مش صح، إنت عارف أنا تحت العين على طول.. بالك... إنت محمولك إتراقب لما جيت هنا، بس أنا قلتلهم خلاص ده تبعي.. لازم تبقى مصحصح كده يا أبو حميد.. حبيبى والله يا حمادة.

حاول أحمد السيطرة على عضلات وجهه كي لا تنفجر ضحكًا: يا عم جودة إحنا هنا عايشين بنَفَسَك، بس الراجل اللي جاى ده ماله بقه مش تمام ليه؟

جودة: الراجل ده بيلعب في كُل حاجة، هو اللي بيرفع الأسعار وينزّلها، عنده مزارع ياما.. بهايم وزرع، خير كتير، بيشتغل في اللحوم والفراخ.. بيض وزيت وسُكّر ودقيق وألبان.. ده حاجة.. كمان أكبر مُورِّد عسل وجلوكوز لكُل بتوع الحلويات اللي في مصر، ومن الباطن ماخفي كان أعظم.. عنده تلات

رجّاله ولاده.. حيتان برضه.. بييجو كلّهُم هنا.. كُل واحد ماسك مصنع.. إمبراطوريّة يا حمادة.. فوق كُل ده وده قريب الوزير عبد الرحيم العسّال.. يعنى هوّ اللي بيأكّلنا المَم من الآخر..

أحمد: وإيه اللي بيجيبه هنا؟

جودة: اللي بيجيب غيره.. كُل شهر ليه واحدة زى شهريار، عايز يُقعُد قاعدة حلوة.. يشرب ويعزم ويدفع، وساعات بيجيب ناس مليانة معاه عشان يمشّي شُغله، رجال أعمال وتُجّار.. حبايبه كتير.. أصله حاتي.. شبعان.. بيرُش جامد..

أحمد: بيرضى يتصور؟

جودة: ما بيهمّهوش وبيوجّب مع الكُل وبيتصوّر بس صوره معايا أنا بس.. ما يرتاحش غير مع العبد لله عشان أعرفه من زمن..

في تلك اللحظة، التفت الأدمغة مثل غيط عبّاد الشمس عندما دَخَل فتحي العسّال إلى الصالة..

دخَل في مَوكب من أصدقائه ومُعاونيه يحملون زادهم وزوّادهم من الزُجاجات، يُحَيي في مروره هذا، ويربت على كَتف هذه، ويرفع يده بالسلام لبعيد لن يستطيع الوصول إليه، حتّى "سَعد صدّيق" المُطرب الشعبي هدّأ غناءه الصاخب الراقص، وأعطاه ترحيبًا يليق به في الميكروفون هو وفرقته..

كان ضخمًا مُمتلئ الجُثّة، يتكدّس لحم لُغده تحت ذقنه، يرتدى بذلة بيج فاتحة ورابطة عُنُق بنيّة، يعلو جبهته وتحت عينيه سواد من أثر مُضاعفات في

الكبد، صابغًا البقيّة المُتبقية من جوانب شعر رأسه فتبدو صلعته الواسعة كالطريق الصحراوي، تنتشر فيها بُقَع السنّ البُنيّة، يرتدي خاتمًا في خنصر يده اليسرى التي تُمسك بسيجارة ملفوفة بعناية. . بعد خمس دقائق من الاضطراب، عادت الصالة إلى ما كانت عليه، واندمج الكُل في شأنه الذي جاء من أجله، وبدأت الكؤوس تصطك مرّة أخرى. .

على ترابيزة فتحي العسّال الذي توسّطها كانت تُجاوره نادية. . سيدة جميلة تبدو في العقد الثالث من العُمر، شرهة للسجائر يُلقّبها أصدقاؤها المقرّبون "نانى". . بضة يتدلّى لحمها الأبيض من كُل شقّ في فُستانها الأسود البرّاق. تبدو رفيقته من طريقة إمساكه ليدها، ومُداعبته لها في خصرها. اصطف على يمينها وشماله أصدقاؤهم المُقرّبون، رجال ونساء وكؤوس. . ضحكات وقفشات وجودة يصوّر بلا حساب. يشير إليه فتحي العسّال من حين إلى آخر أن صوّر هؤلاء وهؤلاء. يناول جودة الفيلم بعد الآخر لأحمد الذي وقف بعيداً يُصوّر باقي الصالة ليذهب به ليُحمّضه ويُطمئن جودة، حتّى أعلنت الساعة الثانية والنصف حين جاء كابتن الصالة ومعه اثنان يحملان تورتة شيكولاتة كبيرة كُتب عليها بالكريمة "نانى". .

"هابى بيرث داى توو يو. . سنة حلوة يا جميل" صواريخ ورق مُلوّن وبالونات، ونفخت "نانى" الشموع، في حين أخرج فتحي علبة كُحليّة نامت فيها قلادة ماسية ما إن رأتها حتّى صرخت ووثبت كالطفلة، ثم أعطته ظهرها ورفعت شعرها المُموّج ليُسلسل فتحي عُنقها المرمري العامر. .

ثمّ بدأت نمرة "سالي" التي أصابت فتحي بالأرتكارية، فأخذ ينزف البواكى كما تنزف الشاه، ينافس نفسه ويتغلّب عليها، ألقى بثلاثين ألفًا أو

يزيد كأنه يرمى الحصى في البحر، رقصت سالي على شرفه ونقوده وترابيزته . .

كانت الساعة قد تخطّت الثالثة والنصف عندما دخل جلال مُرسي إلى القاعة . . كان يبدو في عُجالة . . أنيقًا مُبتسمًا حاملاً علبة مُغلّفة بورق أحمر، بدت هديّة ثمينة، اتجه مُباشرةً لترابيزة العسّال الذي قام يحتضنه احتضان الفقمة لوليدها، قبّل يد "نانى" وأعطاها الهديّة فهلّل وجهها وهي تشير إليه أن: "ميرسي أوي يا جلال . . تريه چونتي والله . . "

تبادل حديثًا سريعًا مع فتحي على إنفراد قبل أن يضحك معه بصوت مسموع ثُمّ سلام ووداع . . رحل جلال مُسرعًا كما جاء في اللحظة التي أشار جودة فيها إلى أحمد أن يأتي خلفه . .

جودة: حمادة خلّيك هنا . . خلّي عينك على فتحي العسّال، لو شاورلك روحله ولو سأل عليّا قوله إني بَطّمن على الصور، ماشي . . . أنا في المعمل .

أحمد: ماشي يا باشا .

مشى جودة خطوتين ثُم تذكّر: أحمد ماتصورش غير لمّا يقولّك .

أحمد: حاضر يا عم جودة .

اختفي جودة ورجع أحمد إلى الصالة . . تمشّى مُبتسمًا للترابيزات آخذًا صورة هنا وصورة هناك، مُستعيدًا مُكالمة التليفون مع غادة، مُتحمّسًا لمقابلتها والتحدّث معها . . كم أسَرته صافية الوجه، لا تتوه عن باله، يتخيلها كلّما خلا بعقله بعيدًا عن دوّامة العمل . . حتى أخرجهُ من شروده

صوت طقطقة أصابع تُناديه من ترابيزة بعيدة تمامًا عن ترابيزة فتحي المسّال. . في أقصى الصالة. . في الظلّ. . رجل يجلس وحيداً. .

اقترب أحمد مُركّبًا ابتسامته المعهودة رافعًا كاميرته باستغراب داخلي للذلك الذي يطلُب أن يأخذ صورة وحده. .

نظر إلى يمينه ويساره فلم يجد واحدة تقترب أو حتّى تطلع من تحت ترابيزته. .

أحمد: صورة يا باشا؟

كان فمه مشغولا بسيجارة يُشعلها فتأخّر عليه قبل أن يُجيبه: اسمك إيه؟

أحمد: أحمد كمال يا باشا!

أشار على كرسيًا خال بجانبه: تعالى أقعُد يا أحمد.

سحب أحمد كرسيًا ووضع كاميرته على الأرض بين رجليه قبل أن يجلس بجانب ذلك الرجل الغريب، مُتذكّرًا مشاهد خالد الصاوي في فيلم "عمارة يعقوبيان" عندما كان يُغرِّر بالعسكري البسيط. .

فتح الرجُل علبة نُحاسية وسحب منها ورقة رقيقة، رصّ التبغ فيها بمهارة الجرّاح ولفّها قبل أن يناولها لأحمد. .

كانت المرّة الأولى لأحمد التي يُدخِّن فيها سيجارة حقيقية ملفوفة. . عدا بعض المرّات التي جرّب فيها قراطيس من الأعشاب قد تكون سبانخ أو ملوخية القلقاس وقليلا من الحشيش مع عُمر صديقه البدين، على سبيل أنّ المعرفة تُغني عن السؤال. . في أدب حذر تلقّى السيجارة بعد أن ألقى نظرة إلى العاملين علّه يجد مَن يَغمزه أو يَلمزه: شُكراً يا باشا.

قدح الرجُل ولاعته الذهبية فأحاط أحمد بيده النار ناظرًا إلى ذلك الخاتم الفضي الذي يحمل حرف "G" لاتيني . . كان الرجُل يبدو أجنبيًا في أواخر العقد السادس من عُمره، وسيمًا يُذكّرك بالبارمان اليوناني الوحيد الأوحد "ينّي" الذي احتكر فترة الخمسينيات في الأفلام المصريّة، نظيفًا ومُهندمًا يرتدي بذلة كُروازيه، وعلى الرغم من أنها لم تعُد موضة فإنّها تبدو مُناسبة عليه تمامًا كأنّها موديل السنة، مع عينيه الزرقاوين وشاربه الرفيع ورشاقة جسده وشيبة فوديه المُنمّقة بدا هاربًا من بوبينة فيلم عربي قديم وزميل لإستيفان روستي في الإعدادية، إلا أنّ لكنته العربيّة لم يكُن يشوبها شيء فالرجُل مصري ومن شبرا الخيمة كذلك . .

الرجُل: تاخد مليون جنيه وتيجي تقضّي معايا ليلة؟

قلب أحمد الترابيزة، ولكم الرّجُل اثنتي عشرة لكمة غيّرت معالم وجهه ثُمّ أمسك بزُجاجة كانت أمامه وكسّرها على رأسه أعقبها خمسين شلوتًا في بطنه . .

" و لو فلوس الدُنيا كُلّها تحت رجلي يا واطي يا ابن الكلب" ثُمّ أشار إلى البودي جارد بإصبعه: شيلوه . .

فصفّق الحاضرون بحماسة شديدة . .

كُل تلك الفوضى لم تستغرق من مُخيّلة أحمد أكثر من ثانيتين؛ أفاق بعدها على صوت: إنت منين يا أحمد؟

لم يكُن ذلك سوى الرجُل الذي تخيّل أنه ضربه مُنذ قليل: أنا من السيدة زينب عند شارع قدري كده .

سأله: متجوّز يا أحمد؟ . . لم يعجب أحمد ذلك السؤال . .

أحمد: لسّه والله.

إنت شاب بابن عليك كويّس.. لم تعجب أحمد تلك الجُملة أيضًا..

أحمد: سيادتك مستنّي حد هيتصورّ معاك؟

الرّجُل: أنا مستنّيك إنت..

أحمد: أنا؟؟

هز الرّجُل رأسه من دون أن ينظُر إليه: أنا شُفتك المرّة اللي فاتت وإنت بتصوّر جلال مُرسي..

انزلقت بصعوبة طُوبة حمراء من مصانع "الحاج عبد اللطيف أبو طاجن" للطوب بقرية طُوخ طنبشا مركز بركة السبع المنوفية في مرّيء "أحمد كمال" واستقرت في فُمّ معدته.. عرق غزير كسا جبهته، وسخونة انطلقت من خلف أذنه التي حولّها الدم المُندفع بداخلها إلى قطعة كبده نيئة..

حاول أحمد أن يبتلع الطوبة: جلال مرسي! ده زبون عندنا هنا؟ مش فاكر إني صورته..

الرّجُل: يا أحمد إنت ليه عايز تلعب مع راجل عجوز؟

وضعت الآن فوق الطوبة كُتلة أسمنت..

أحمد: أنا لسه جديد ومش مُتذكر الشخص اللي حضرتك بتتكلّم عنه؟

الرّجُل: كُنت حاطط الكاميرا على البار.

حاول أحمد كبح جماح القولون الذي أخذ يصرخ: حضرتك مين؟.. أنا ماتعرّفتش بيك.

الرّجُل: يا أبوحميد مش مُشكلة أنا مين..

أطفأ الرّجُل سيجارته، ووضع رِجلاً على رِجل مُبتسماً ابتسامة غريبة
عارف يا أحمد أنا باجي هنا ليه؟

هز أحمد رأسه بالنفي؟؟؟

الرّجُل: باجي هنا عشان أتفرّج على الناس..

ظل أحمد يُحملق في الرّجُل بلا تعليق..

الرّجُل: كُل واحد هنا ليه قصّة.. إنت كمان ليك قصة..

تخيّل أحمد للحظة أن الرّجُل سَيُخرج محفظته الآن ويُبرز كارنيهًا عليه طائر ذهبي مكتوب عليه بخط ديواني مُنمّق: اللّواء فُلان الفلاني أمن الدولة.. ثُمّ يقول له في لهجة فيلم عربي: إتفضّل معايا..

أحمد: مُمكن أعرف حضرتك مين؟

الرّجُل: يا أحمد مش مُشكلة أنا مين.. كُل الموضوع إني باجي هنا من زمن، وأول مرّة أشوفك كان الإسبوع اللي فات.. إنت مُختلف يا أحمد عن الناس اللي هنا.. لمّا شُفتك بتصوّر جلال مُرسي عرفت إن فيك حاجة مُختلفة.. فيه حاجة بينك وبينه.
لو عايز تعرف أنا مين قوللي الأول ليه كُنت بتصوّره؟

و ماتنكرش لأني متأكد إني شفتك..

نزلت الطوبة الحمراء إلى الجهاز الهضمي لأحمد..

أحمد: أنا كُنت بس بصوّره لأني بقرأ جُرناله وأول مرّة أشوفه..

الرّجُل: وده يخلّيك تصوّره؟

أحمد: يعني.. عادي.. مش قصدي حاجة مُعيّنة..

الرّجُل: إتصدمت لمّا شُفته هنا مش كده؟

أحمد: يعني. . بس ده حاجة وجرناله حاجة. . دي حُريّة شخصية. .

الرّجُل: ده رأيك؟

أحمد: يعني. .

الرّجُل: إنت خايف تقول إنّك متغاظ من الراجل ده وبتصوّره عشان تورّطه. .

في هذه اللحظة، أصبحت الطوبة الحمراء تضغط على مثانة أحمد ومصارينه الغليظة بعُنف. . انتشر العرق على جبينه حين شعر بالـ ٢٢٠ فولت اللذين مرّوا للتو في أطرافه فانتصب شعر رأسه ويده: حضرتك كبّرت الموضوع أوي. . كُل ده لمُجرّد إني صوّرت زبون؟؟ وبعدين أنا في الآخر مُصوّر وده شغلي. . ثُمّ أنا مسحت الصّور دي ساعتها. .

كان أحمد يلهث داخليًا وهو ينتظر رد فعل ذلك الشيطان الذي جاء له من أسفل سافلين، مُرتديًا أفخم الثياب مُتأنقًا يُلقي بالسؤال وراءه سؤالاً لا يعطي أحمد مساحة من الفكر ليستوعب. .

داعب الرّجُل ذقنه المحلوقة جيداً: إنت ليه قلقت كده؟ أنا بدردش معاك. . تشرب حاجة. . أنا عازمك.

حاول أحمد أن يبدو هادئًا: مش أتعرّف الأول على سيادتك؟

الرّجُل: جميلة سالي. . كان الرّجُل ينظُر إلى سالي التي أخذت تلفّ وسطها ببطء وتنحني كحية بيضاء.

أحمد: ؟؟؟

كان قد أدرك أن الرّجُل لا يريد الإفصاح عن نفسه. .

الرّجُل: صوّرتها يا أحمد قبل كده؟

أحمد: أكيد. .

الرّجُل: لوحدها؟

أحمد: لأ مع الزباين. .

الرّجُل: ماتمنيتهاش في أحلامك؟

كان أحمد قد وصل إلى الذروة فرّد بعصبية: لأ.

الرّجُل: كُل الصّور اللي كُنت بتصوّرها ومفيش مرّة صوّرتها عشان إنت عايز تصوّرها. .

إنت مش صريح يا أحمد. . جِسم بالجمال ده مِش مُمكِن يعدّى على مُصوّر زيَّك. .

وقف أحمد وحاول ضبط كلماته: استأذنك يا باشا عشان أشوف شغلي. .

و مد يده في الهواء فلم تتلقفها يدّ الرّجُل الذي نظر إلى أحمد بابتسامه ساخرة وغمز له بعينيه: هشوفك تاني يا أحمد.

انسحب أحمد في هدوء تتنازعه الهواجس حول ذلك المخلوق القديم الذي سدد له لكمة بين ضلوعه، ورحل في سكون الذئب بعد أكل فريسته. . عاد لصخب الصالة ثانيًا وحاول تجاهُل تلك البُقعة المُظلمة في الخلف التي يجلس فيها هذا المعتوه. . كُلّما أسقط من ذاكرته الدقائق العشر الماضية عادت إليه كالبُقعة لا يُزيلها المسحوق. .

" كابتن. . يا كابتن يا مصوراتي. . " كم كره أحمد تلك الكلمة. . كان النداء من ترابيزة فتحي العسّال. .

" تعالى يا حبيبي. . إنت مالك نايم على روحك كده؟؟ "

ثرى ثمل مُتوسِّط الجسم، شاربه مُنمّق وأنفه معقوف طويل يتحدّث منه بصوت مملوء بالغرور: تعالى..

حاول أحمد الحفاظ على هدوئه وهو يقترب من تلك الترابيزة التي تكدّست بالكؤوس والمزّات لمعرفته بأخلاق المُرتادين وخاصةً في تلك الساعة التي تتساقط فيها أقنعة الوقار، فاكتفي بالضغط على فكّه السُفلى مُبرزًا كُرة من الغضب في أسفل صدغه: حضرتك بتنده؟

رد عليه الرّجُل بابتسامة صفراء: إنت سمعك تقيل؟

تقلّص وجه أحمد ورد من بين أسنانه: لأ يا باشا الصوت بس عالي مش سامع.. أؤمُر.. صورة؟

التفت إليه الرّجُل بجسمه، وناوله ورقة صغيرة مطويّة يُمسكها بالوسطى والسبّابة، تحتضن ورقة فئة العشرين جُنيهًا وابتسم له ثُمّ غمزه بعينه..

التقطها أحمد وفتحها، فقبض الرّجُل على يد أحمد بقوة: أنا قلت لك تفتحها؟!

اقترب أحمد من الرّجل: فيها إيه الورقة دى مش فاهم؟

أشار إليه الرّجُل بسبّابته أن اقترب: شايف الترابيزة اللي هناك دى على اليمين؟

كانت رائحة فمه تكفي لإشعال سبرتاية، وصنع كوب من الشاي الكشري. أدار أحمد رأسه ناحيتها، ولكن الرّجُل ضغط على يده: ماتبصّش. بقول الترابيزة اللي وراك يمين.

كان أحمد قد لمح فتاة تبتسم من ثلاث يجلسن مُتجاورات: مالها؟

" البنت اللي على الشمال.. إدّيها الورقة دى

شعر أحمد لأول مرّة بشعور كوبري قصر النيل: الورقة دى فيها إيه.. مُمكن أعرف؟

رد عليه الرّجُل في عصبية باردة مُنخفضة الصّوت: فيه إتنين في الصين ماسمعوش صوتك، مُمكن تعلّي صوتك أكتر من كده.. إيه يا بني آدم بقول وصّل.. الورقة.. دى.. للبنت.. اللي قاعدة هناك اللي لابسة إسود.. فيها مُشكلة دى؟ مالك إنت ومال الورقة فيها إيه!!

لم ينتظر أحمد وفتح الورقة، رقم من عشرة أرقام مكتوب تحته: "افتحي البلوتوث" وتحتها "حبيب أمين.."

حاول أحمد أن لا يثير زوبعة، ففتح يد حبيب الحبّيب، وأعاد إليه الورقة..

أحمد: أنا ماليش في الكلام ده شوف حد يوصّلهالك، وإستدار تاركا الترابيزة..

قام حبيب والشرر يتطاير من عينيه: خُد يا حبيبي، إنت بطّلت والا إيه؟.. إعتزلت؟

تحرّكت كُرة حمراء من الفحم داخل صدر أحمد: أنا ما إبتديتش أصلاً. حد قال لك إني إيريال؟

ارتفعت نبرة صوت حبيب: خُد تعالى هنا.. إنت بتتكلّم معايا إزاى كده؟

أحمد: زى الناس.. ولم الدّور وبلاش عشان منظرك ما يبقاش وحش.

التفت الرؤوس ناحية الصوت، ووقف اثنان أو ثلاثة من الترابيزة على رأسهم فتحي العسّال..

رمى حبيب بكأس على الأرض فانكسر : يا حيوان يا إبن المره، إنت مش عارف إنت بتكلّم مين؟

اهتز عصب يد أحمد اليسرى : إنت بتشتمني . . أنا أنضف منّك ومن اللي خلّفوك كمان . .

اقترب منه حبيب وأحاط به ساكنو الترابيزة : إنت قليل الأدب وهحبسك النهاردة . .

انفلتت الأعصاب خارج سيطرة أحمد، وأخذت يده اليسرى في الاهتزاز : تحبس مين . . إنت فاكرها سايبة .

اقترب فتحي العسّال من أحمد، وجذبه من يده : في إيه يا حبيبي ما تتكلّم بأدب . .

أفلت أحمد يده في عصبية حين اقترب كابتن الصالة موجّهًا حديثه إلى فتحي العسّال قابضًا على كتف أحمد بقوة : إيه يا باشا خير حد زعّلك؟

حبيب : الواد ده قليل الأدب . . وأمسك بتليفونه المحمول . . وهيبات في القسم النهاردة .

كابتن الصالة : يبات في القسم يا باشا . . بس مُمكن طيب نتكلّم برّه؟

أحمد : يا كابتن الراجل ده عايز يشغّلني إيريال . . ترضاها إنت؟؟

فتحي العسّال : إنت برضه بتقل أدبك؟

حبيب : ده واد زبالة . . أنا هعرّفه أنا مين . .

أحمد : أنا زبالة يا واطي . .

دفع كابتن الصالة أحمد في صدره : إيه يا أحمد . . إنت مش عارف الباشا ؟ . . إتفضّل برّه دلوقتي لغاية ما أجيلك . .

في حين ظهر البودي جارد وإتّجه إلى مصدر الصوت وتوقّفت الفرقة عن العزف وانسحبت سالي غاضبة تُتابِع الشجار من خلف الستائر . .

فتحي العسّال مُوجهًا كلامه إلى كابتن الصالة : إندهلي يا إبني المدير . يلله . . أنا مش هستنّى لما أشوف حمار مشغّلينه يشتم ضيوفي .

انكمشت ذقن أحمد، وسرى تيّار كهربي في ركبتيه؛ وشعر بتنميل في وجهه : أنا حُمار يا حمار؟؟؟

احتقن حبيب : وإبن كلب واطي كمان . . وأعقبها بصفعة دوت على صدغ أحمد أطاحت بنظّارته وما تبقّى من كرامته، وأسكنت ذلك النّمل الذي كان يرعى في وجهه . . اختفت تفاصيل كثيرة على إثر إقلاع النظّارة من على وجهه . . شعر أنه يُصارِع وسط مياه البحر . . ولم يشعُر بيده التي طارت فجأة بلا تحكُّم مُحاولة الاستقرار في وجه حبيب الذي ابتعد إلى الخلف لتستقر اللّطمة غير الموجّهة في يد سيد قدري، ويُطوّقه والبودي جارد الآخر من وسطه : إيه يا حمادة صلّي على النبي مش كده . .

تعالى بس برّه . . صلّي على النبي . . الله . .

هاج أحمد وصرخ ولوّح : يا إبن الكلب . . أنا مش هسيبك . والمصحف لأوريّك . .

كان حبيب ينظُر إليه في ابتسامة المُنتصر : يللّه يا حبيبي على أمّك . ماتخلّينيش أخيطك بتليفون .

أحمد : تخيطني أنا يا زبالة؟؟

دخل جودة من الباب: حمادة.. فيه إيه؟.. سيبني يا عم جودة..

الراجل الوسخ ده عايزني أبقى إيريال ولما مارضيتش أضّرب؟؟

أضّرب على وشّي يا عم جودة؟؟

جودة: طب تعالى بس بره.. إهدا إهدا بس.. وانحنى ليلتقط نظّارة طارت مُنذ قليل عدستها اليُمنى..

كان حبيب قد جلس ووضع سيجارة، وبدأ يصفّق في الهواء لفرقة سالي، لكي تبدأ من جديد، في حين انحنى عليه كابتن الصالة وبدأ حديث ودّي من نوعية: "يا باشا أصله لسه جديد.. إمسحها فيّا أنا.. ده واد لطبان مش واخد على الشُغل.. اللي إنت عايزه.. أنا هبهدله معلشّ يتيم والله.. بالمُناسبة يا باشا البنت اللي هناك دي سألت على سيادتك.. أبلّغها حاجة.. حاضر.. يا باشا تيجي لغاية هنا بنفسها يا سلام بس حضرتك لهدّي فتحي بيه إحنا مش عايزينه يتعكّر مزاجه النهارده.. كمان عيد ميلاد نانى هانم.."

صاح فتحي العسّال: هات لي يا إبني مُدير الصالة؟

التف كابتن الصالة حول الترابيزة في لحظة ليصل حيث جلس فتحي العسّال..

كابتن الصالة: يا باشا مفيش داعي.. الولد ده هيتأدب ويتخصم منّه ولو سيادتك تحب نمشّيه خالص يمشي المُهمّ سيادتك تنساه وسيب الموضوع عليّا.. وبعدين يا باشا البروجرام النهاردة لسّه هيبتدي وسيادتك لازم تروق.. بالمُناسبة يا باشا سالي عملالك هدية عشان مدام نانى..

وغمز لسالي ثم أشار للفرقة فبدأ العزف مرّة أُخرى . .

أشـاح فتحـي العسّال بوجهه : إنـت عـارف حبيـب أمين والـلا مـا
تعرفوش . . عارف ابن مين؟

أبوه بتليفون واحد يقفل شارع الهرم باللي فيه مش الكازينو؟

كابتن الصالة : يا باشا حبيب بيه غنى عن التعريف . .

فتحي العسّال : يعني ينفع ضيفي يتشتم؟ أنا ضيفي يتشتم؟ وبعدين مـن
مين؟ . . حتّة مصوّراتي لا راح ولا جه . . الـواد ده شغّال مـع
جودة؟ فين جودة؟ . . هو كُلّ مـرّة يهبش خمسين وميّة ده غـير
الصّور وفي الآخر واد ما يساويش مـن عنـده يهزأنـا . . أنـا ليّـا
تصرُّف مع المُدير بتاعكو . .

الكابتن : يا باشا امسحها فيا أنا . . ده مقام حضرتك كـبير أوى هنـا . .
ماتكسفنيش وطلبات حبيب بيه كُلّها مُجابة وهينبسط أوى عندنا
وحساب الطلبات النهاردة كومبليمون مـن المَحل . . يـا فنـدم
كفاية حضرتك منوّرنا والله . .

اندمج فتحي في حديث مع نانى ، وترك الكابتن مُتعمّداً لإشعاره بمـدى
استيائه مما حدث ، فانسحب الأخير بهدوء ولوّح لأحـد الـويترز أن يـأتي في
سُرعة : نزِّل كُل حاجة ، وأي حاجة يطلبوها يلاقوها فاهم . .

قام فتحي وسحب كرسياً وجلس بجانب حبيب : إيه يا قمر مـاتعكّرش
دمّك . .

حبيب : لا ده عيّل وسخ ، أنا مش عـايز أشـدّه بـس عـشان نـانى ، والله
عشان عيد ميلادها . .

فتحي: أنا هتصرّف معاه بس مش دلوقتى.. هو إيه اللي حصل؟
حبيب: كُنت عايزُه يوصّل ورقة كده.. بديِّلُه عشرين جنيه مش عاجبُه، طمع باين عليه..
فتحي: ولا يهمّك..
حبيب: خرّجنى الزبالة ده من المود..
فتحي: دى عيال أصلها حاقدة ولاد كلب.. بيبُص برضُه للى في إيدك.. ما إنت عارف بيئة وسخة مش لاقية تاكُل..
حبيب: نفسي البلد تنضف من العيال الزبالة اللي جايبينها ورا دول.. أجيال خره..
فتحي: البلد دى عُمرها ما هتنضف.. يستاهلوا كُل اللي بيحصلّهُم.. قولّى.. شريف باشا عمل لنا إيه في الموضوع بتاع التصاريح والموضوع التانى..
ضحك حبيب: في خلال يومين الأرض دى اعتبرها بتاعتك قبل ما تخّش كردون مباني بشهر..
إنت قلقان ليه؟ اعتبر التصاريح معاك.. الموضوع التانى لسّه شويّة..
بس في خلال يومين هتحصل حملة جامدة على شركة "نوتريمينتال"..
التليفزيون والجرائد مش هيسكتوا.. مسألة وقت..
فتحي: أخبار الانتخابات إيه؟ الوالد عايز أصوات؟
حبيب: يمكن نحتاج منّك شويّة أصوات في كام دايرة كده..
فتحي: رقبتى..
حبيب: شكليّات ما إنت عارف..

كان فتحي ينظر إلى ترابيزة خلف حبيب: حبيب.. فين البِنت اللي كُنت بتلاغيها؟

حبيب: ليه؟

فتحي: أصل فيه واحدة بتضحكلك أوى..

التفت حبيب إلى ترابيزتها: هى اللي على الشمال دى..

أشار لها فتحي أن تعالى.. قام لها يُقابلها في وسط المسافة.. أحاط وسطها برِفق واقترب من أذنها وهمس: "اسمك إيه؟"

البِنت: هالة..

فتحي: هالة بتعرفي تعملي إيه؟؟

عضّت على شفتيها في خُبث: يعنى إيه.. مش فاهمة؟؟

أخرج فتحي من جيبه عشر ورقات فئة المائة ودسّها في الحقيبة التي تحملها: بُصّى أنا عايزِك تنسّى حبيب بيه اسمه.. وبعد ما تخلّصي فيه زيّهُم تانى.. ماشى؟

ابتسمت هالة ولم تُعلّق.. أغلقت حقيبتها وحامت بِجانب حبيب قبل أن يدعوها لتجلس وتتصنّع حديثًا.. انسحب فتحي بعدما وفّق رأسين في الحرام إلى حيث كانت تجلس نانى: إيه.. عملت إيه؟

فتحي: خلاص.. روّقتُه..

نانى: موقف وحش أوى بصراحة.. إزّاى الولد ده يعمل كده.. إنت هتسيبُه؟

فتحي: مش عايز أكبّر الموضوع عشان الليلادى عيد ميلادك، أنا ليّا كلام مع المُدير بعد كده..

ناني: حبيب مش زعلان..

فتحي: المود بتَاعُه مقلوب شوية بس البِت دي هتروّقُه.. شكلها شاطرة، خدآمة سريرها..

ناني بميوعة: وإنت عرفت منين إن شاء الله؟

فتحي: ناني أنا خبير يا ناني.. أشوف النتاية، أعرف دي تعمل إيه وآخرها إيه..

ناني: طب وإنت قُلت عليّا إيه بقه لمّا شُفتني؟

فتحي: قُلت إن الفرس ده لو فلت منّي يبقى مش هشوف نسوان تاني أبدًا..

ناني: قُلت كده على مراتك لمّا شُفتها؟

فتحي: أهي دي المرّة الوحيدة اللي إضّحك عليّا..

في تلك اللحظة، هرول جودة إلى ترابيزة فتحي العسال وانحنى محاولاً لثم رأسه: يا باشا حقّك عليّا..

فتحي: لا يا جودة.. المرّة دي ماتعدّيش، إنت بتهـرّج.. الواد ده أنا مش هسكتله..

جودة: تصدّق وتؤمن بإيه يا باشا، الواد ده أمه ماتت محروقة الإسبوع اللي فات، معلش امسحها فيا..

فتحي: إنشالله تكون أمه ممسوكة آداب، هو مش عارف بيكلم مين؟ أنا مايتعملش معايا كده وإنت عارف، ومش من حتة مصوراتي لا راح ولا جه.

جودة: عيل ما يعرفش.. إمسحها فيا.. حقك عليا.. الواد جديد وخام.. مش هتشوف خلقته تاني هنا يا باشا، بس سيادتك هدّي حبيب بيه.. سيادتك ما تعرفش إنت محبتك عندي أد إيه.. ده المحبة ما بتتشريش يا باشا..

فتحي: خلاص خلاص ماتصدعنيش..

جودة: الله يبارك لنا فيك يا باشا، جميلك على راسي..

في الخارج كان حسن وسيّد يحيطان بأحمد في مُحاولة لإبعاده عن الكازينو وإخماد ثورته.. حتّى خرج جودة واحتوى أحمد وابتعد به عن الصالة..

جُودة: إيه يا حمادة.. روّق بقه مش كده..

كان أحمد يبكي ممسكًا بعدسة نظّارته المخلوعة يُحاول إرجاعها إلى مكانها: ده يرضيك يعني؟

جُودة: لأ طبعًا دي عالم بنت قحبة ماتعرفش ربّنا.. بس أنا عايزك تهدا عشان نعرف نتكلّم..

تعالى نتمشّى أنا خلاص مش راجع النهاردة الصالة تاني..

أحمد: لأ إرجع إنت، أنا عايز أمشي لوحدي شوية..

جُودة: والله ما أنا سايبك.. يغور الشُغل.. يا نهار أبيض إنت عند أغلى من أي حاجة يا حمادة ولثم خدّه بقُبلة مبللة.. بس أنا د حمادة عاتب عليك.. الناس دي إنت عارف إنهم مليانين أو ومنفوخين على الآخر ومش بيبقوا في وعيهم لمّا يتقّلوا العيار وإنت لازم تبقى هادي.. شُغلتنا صعبة وعايزه سياسة.. أنا

عارِف إنه بني آدم واطي بس لازم تبقى صبور. . دي لُقمة عيشنا. .

أحمد: أي حاجة إلا كرامتي يا عم جودة. . أنا عُمر أبويا ما رفع إيده عليّا. . وتغور لُقمة العيش اللي تيجى بالإسلوب ده. .

جودة: معلش إنتوا أصلكم جيل ماشافش الحرب ولا حس بالمهانة اللي بجد. . ده أنا في ٦٧ لمّا اتأسرت. . أنا حكيت لك مش كده؟ حكيت لك كانوا بيعملوا معانا إيه. . والله كانوا بيسيّبوا الكلاب تجري ورانا ويضربوا علينا نار. . استحملت عشان أعيش يا حمادة. . وبعدين فتحي العسّال ده خيره عليّا وعلى المحلّ كُله. . ده راجل جدع أوي. . إنت عشان بس لسّه ماتعرفوش. . ده راجل سُكّرة. .

لم يكُن أحمد في مزاج يسمح له بالاستماع إلى قصص جودة في بلاد العجائب، خاصة قصته مع سيّدة القلوب وجزيرة فقاقيع الصابون. .

نظر إلى السقف وزفر: عم جودة في عرضك أنا تعبان ومش ناقص. .

عادت دموعه تُغرق عينيه مرّة أُخرى، اعتصر صدره وضاقت عليه نفسه من مهانة لم يعهدها. . تذكّر لحظات موت أبيه وأمه، تذكّر آية، تذكّر نظرة حسام الأخيرة إليه، تذكّر كُل ما أحزنه وكأنه حدث مُنذ ساعة، تذكّر هادة، شعر للحظة أنها كانت حاضرة الموقف، تراه عاريًا، حتّى إنه استعر من ألفاظه وسبابه في لحظة غضبه وكأنّها كانت تسمعها. . كأنّه يعرفها. . شعر في تلك اللحظة أنه يُحبّها كثيراً. . حنين إلى كُل شيء افتقده. . هاج وماج وصرخ وشتم. . . ثُمّ هدأ. . . سكت ولم يسكُن. .

عندما تمالك نفسه كان جالساً على ترابيزة خشبية في محل كشري العريس، وأمامه دورق مياه ستينلستيل وطبق كشري وزُجاجة دقّة . .

وجودة: سَمّي بقه بسم الله وكُل . .

أحمد: ماليش نفس يا عم جُودة . .

جُودة: كُل عشان خاطري . .

أحمد: مش قادر أنسى اللي حصل . . أنا عمري ما حد بهدلني بالشكل ده . . أنا ابن ناس يا عم، إنت فاكر إني عشان بشتغل في المكان ده أبقى مصوّراتي بنكلة . .

شعر أحمد أنه قذف حجراً في وجه جودة . . خاصةً حين نظر جودة إليه بابتسامة عتاب . .

أحمد: ما أقصدش يا عم جودة . . أقصد إني متربي وأبويا الله يرحمه كان راجل فنّان . . علّمني في مدرسة كويّسة ومعايا بكالوريوس تجارة . . أي نعم مالوش قيمة في البلد دي بس أعمل إيه . . أروح أشتغل بميّة وسبعين جنيه؟ طب والمهنة اللي علّمها لي أبويا؟ حتّى أختي ما رحمتنيش بتقول لي حرام وكُل فلوسي حرام . . أنا عارف إنّها حرام بس أنا مش لاقي حتّى مكان أنام فيه غير هنا ومش حرام برضه إنّها تقاطعني من آخر مرّة كُنت معاها . . وبعدين هو أنا لقيت وقُلت لأ . . يا عم جودة أنا متعبي أوي . . تعبان أوي . . الراجل الوسخ ده ما ضربنيش على وشّي . . ضربني في قلبي . . خرّج كُل حاجة سودة علّمت فيّا . . أنا إزاي أسكُت؟ ودمعت عيناه مرّة أُخرى . . أنا هسيب الشُغل

ده.. ما ينفعش أكمِّل في مكان زى ده ومش هقضّى عُمرى كُلّه أصوّر في موامس وسكرانين.. أنا آسف يا عم جودة بس دى هيّ الحقيقة.. إنت نفسك مش قادر تواجهها.. إحنا بنصوّر الناس الغلط في المكان الغلط..

جودة: يااااه يا حمادة ده الموضوع مش خناقة والسلام!!

أحمد: لا يا عم جودة.. إلا كرامتي..

جودة: أنا معاك يا أحمد إن شُغلنا فيه مهانة بس ده أكل عيشنا.. حياتنا..

أحمد: حياتك يا عم جودة..

جودة: آه حياتي ومابستعرّش منها، لو حد سألني هقوله أنا بشتغل إيه وفين..

أحمد: يعنى إنت مبسوط بحالك ده؟؟

جودة: الحمد لله.. هو حد لاقى وبعدين أنا قابلت مواقف أكتر من كده واستحملت.. عشان لُقمة العيش يا أحمد.. الزمن علّمنا كده..

أحمد: أنا مش زيّك.. إنت عوّدت نفسك على كده.. قبلت ده وإعتبرته نعمة.. أنا بشوفك لّما حد بيشخُط فيك.. بتسكُت.. بتضحك.. بتصهين.. يا عم جودة أنا مش كده.. مقدرش أكون زيّك..

كان الكلام ثقيلاً كخزينة حتّى بالنسبة لوجه جودة المكشوف الذي تعوّد على عدم الحرج.. كان يُدرك أن أحمد على حقّ.. ويُدرك أنه وضع يده في

نسيج الجرح . . لكنّه قرر أن يدافع عن موقفه باستماتة : أنت مش فاهم حاجة ومش هتفهم . . ربنا بعت لنا الناس دي سبب يا عم أحمد . . إحنا مش مُشتركين معاهم في اللي بيعملوه، إحنا بنصوّر بس، لا إحنا بنسقيهم خمرة ولا بنقلّع لهم النسوان . . وبعدين هوّ إحنا ضربنا حد على إيده . . إيه يعني شوية نرفزة واللا حتّى قلة أدب . . سكرانين . . في الآخر بنسلخهم وناخُد حقّنا واللا لأ؟ وكُل مهنة فيها متاعبها . . برضه إنتوا جيل مدلّع . ماتعرفوش إن اللي إنتوا فيه ده نعمة، والأيام دي دلع بالنسبة لزمان . ماشفتوش حرب ولا موت . . بوس إيدك وش وضهر إن فيه ناس زي دي بتراعينا وتيجي تنفّعنا، طب والله فتحي العسّال ده مرّة إدّاني خمسين جنيه من غير ما أصوّر ولا صورة، وحبيب أمين ده تنك حبيتين بس جدع وحاتي . . أبوه إنت عارفه، شريف أمين . . راجل تقيل أوي . . اللي يلاقي الدلع وما يدلّعش يا سيدي . . حقُّه . . معلش ابن عز وواخد قلم في نفسه، نستحمله . . فيه غيرك قاعد في البيت من ساعة ما اتخرّج مش لاقي شُغل وبعدين يا حمادة إحنا مش قد الناس دي ولا قد مشاكلهم دي ناس واصله لفوق أوي وإيديهم طويلة أوي أوي . . نيجي إحنا إيه فيهم . . يا أحمد أنا عارف إن كرامتك فوق كُل شيء بس برضه دول اللي بيأكلونا . . لازم نطاطي عشان نعيش يا حمادة . . سيّد درويش قال كده . . واللا إنت عاجبك صحابك اللي قاعدين في البيت؟ فووق . . إصحى . . إنت في ويلكم تو إيجيبت . .

أحمد : يعني إنت شايف إن المفروض أسكُت وأبوس إيدي وش وضهر على النعمة اللي عايش فيها؟

جودة: لأ . . بقولّك إن وضعك ده فيه ناس كتير تتمنّاه وبُكرة تنسى وتتعوِّد تبقى دماغك أكبر من كده . .

أحمد: مش هيحصل يا عم جودة . . إنت مابتشوفش نفسك لمّا زبون مايسواش يزعّق فيك؟

عُمرك ما حسّيت إنّك ماتستحقِّش ده . . ترضى مراتك تشوفك في وضع زى ده؟ أنا مش عارف إنت ليه مش شايف اللي أنا شايفه . . زى ما أكون بشتغل في مكان تانى . . مش معاك . .

جودة: لأ شايف بس الحياة عودتنى أبقى ناشف . .

أحمد: ناشف واللا ساكت . . مبسوط باللي إنت فيه . . نعمة الذّل للأوساخ والحرامية اللي بيرموا كُل يوم تحت رِجل سالي سبعة راكب قد اللي كسبته وهتكسبه طول عمرك . .

جودة: كلامك صح . . حلّها إنت؟

أحمد: مش هكمِّل . .

جودة: طب والسكن؟

أحمد: هتصرّف . . عندى واحد صاحبي هروح أسكُن معاه لغاية لمّا تتدبّر . .

كانا قد خرجا معًا ومشيا مُصمتين حتّى اقتربا من الكازينو . .

جودة في مُحاولة أخيرة لكبح جِماح أحمد: يا أحمد أنا أكبر منّك وشُفت في الدُنيا دى أكتر منّك . .

إنت لسه عودك أخضر . . إسمع كلامي وما ترفسش النِعمة اللي في إيدك حاول تنسى وإهدا . .

مفيش داعي لكُل ده . . ده أنا لو حكيتلك على اللي حصلّلي في حياتي، هتقول على الدُنيا السلام، طب إنت عارف أنا مرّة وأنا في المُخابرات أيام الحرب، واحد رُتبة كبيرة يعني حب يرسم نفسه معايا . . عارف سيبته ومشيت وبعد يومين جه وإتأسّف لي بعد ما كرفته، لمّا عرف إن عبد الناصر ده حبيبي، وبعدين إنت مش عارف . . إنفجر أحمد كغطاء الحلّة البريستو يا عم جودة كفاية بقه . . إنت مش حاسس بنفسك . . مش حاسس إن كُل اللي حواليك بيضحكوا عليك . . فوق بقه من الدُنيا اللي إنت معيّش نفسك فيها دي ومعيّشنا معاك . . إنزل على الأرض . . كفياك حكايات أنا زهقت من هروبك في الخيال . . إنت جودة مش رأفت الهجّان . .

مفيش حاجة معملتهاش؟؟ لمّا إنت بطل كده شغّال هنا ليه وهابل نفسك . . ده يبهدلك وده يعطف عليك كأنك شحّات . . مانفسكش مرة تتعامل بإحترام . . مانفسكش الناس ماتضحكش في ضهرك وتستنّاك عشان يتسلّوا عليك؟؟ دول بيشتغلوك . . فوق بقه . . بيشتغلووك . .

كثيرًا ما كان يفعلها أحمد . . مع أخته وأبيه وأمه وحتّى أعزّ أصدقائه صفة أساسية في بُرج الدلو . . عصبية شديدة جدًا وانفجار يُطيح بمن يحاول تهدئته . . ثورته التي تكون أحيانًا بلا قضيّة . . يتبعها الندم الشديد وإحساس بالذنب يزيد من حدّة غضبه وسخطه على من أمامه . .

أطرق جودة برأسه إلى الأرض . . لم يتكلّم . . لم يصرُخ . . لم يُدافع عن نفسه . . كأنه كان ينتظر من يقولها في وجهه صراحة : إنت كدّاب . كان يعرف أنه كذلك . . كما كان يُدرك أنه لا ينبغي أن يشعُر أنه يعرف . . كان يخدع نفسه قبل أن يسرح بالآخرين . . ابتسم وهز رأسه . .

ابتسامة جودة أشعلت غضب أحمد: إنت كمان هتزعل منّى.. أنا عارف إن كلامي ده هيزعّلك..

بس أنا خايف برضه عليك.. لو زعلت منّى تبقى مش فاهمنى.. أنا الكسفتلك.. أضحك معاهُم عليك؟؟ حاولت.. معرفتش.. أنا بعتبرك أبويا..

جودة: أنا مازعلش منّك أبدًا يا حمّادة.. وإنت كمان ابنى اللي ماخلّفتهوش..

كانوا قد وصلوا أمام الكازينو..

أحمد: أنا آسف.. بجد آسف لو كُنت إتعصّبت عليك وقُلت كلام مش مظبوط.. أنا لمّا بتعصّب ببقى أعمى.. أمسكه من كتفه وضغط عليه.. ماتزعلش هه..

جودة: أنا مبسوط إنّها جت منّك إنت.. لو كُنت أتمنّى حد يكلّمنى ماكنتش أتمنّى غير حمادة..

أحمد: حقّك عليّا يا عم جودة..

جودة: ماحصلش حاجة.. أنا مش زعلان.. يلله تعالى معايا..

أحمد: أنا مش هدخُل دلوقت..

جودة: هتروح فين الساعة دى؟

أحمد: هاتمشّى شوية.. عايز هوا، مش هيجيلى نوم..

جودة: على كيفك.. أنا هتكلّم مع كابتن مُحسن عشان أسوى المُشكلة معاه.. راجل جدع..

أحمد: مش هتفرق..

جودة: لغاية بس ما نلاقي صرفة أو حتى سكن ليك..

شعر أحمد أن جودة على حق في أمر السكن ولكنه خجل أن يبوح بأنه يحتاج يومين لترتيب أوراقه فاكتفي بهزّ رأسه وطواه شارع الهرم، لا يدري أين تأخذه رجلاه.. كميّت يصرخ من نعشه فيمن يحملونه..

....

٩ صباحًا . .

"ألو . . أيوه يا عُمر . . إزيّك . . إنت في الشُغل؟ طب بقولّك إيه فـاكر الموضوع اللي قلت لى عليه . . بتاع الشغل يا أخي . . آه . . آه . . أقدر آجي اتم الأيّام دي؟ طب رُدّ عليّا وحياة أمّك بسرعة . . لأ يومين تلاتة إيه اول تنجز . . مش هينفع في التليفون . . هحكيلك لمّا أشوفك . . بُص ان بتكلّم من الشارع . . ماشي . . آه فيه حاجة كمان . . شوفلى مكان ب . . إن شالله أوضة حتّى . . لأ مش هقعُد معاك . . يا عم أمّك بتشخّر الليل . . لا والله هرتاح يابني طبعًا ده بيتي أنا بهزّر . . بس شوفلى حاجة ك عشان أبقى على راحتي . . خلاص هظبّط حالى وأكلّمك . . سلام .

على الرصيف المُقابل، وقف تاكسي عتيق ونزلت منه غادة أمام الماليرى . . لم تلحظ ذلك الكيان الرابض الذي استقرّ مُنذ الخامسة صباحًا على الدكّة في انتظار ظهورها . . أخذ يُتابعها بعينيه . . تُنظّم العرض . . سح الكمبيوتر . . تضع لمسة هنا وأخرى هناك ثُمّ تقف تلك الوقفة في الزجاج كأنّها تمثال ينظُر ناحيته . .

قام من مكانه وتوجّه إلى كابينة التليفون : ألو . . ألو . .

وضع أحمد السمّاعة . . لم يرد على غادة التي وصلت مُبكّرًا بعدما نظر إلى حاله فوجدها لا تصلُح حتّى لتسليك البلاعة . . قررت كُل شعرة من رأسه شقّ طريقها وحدها . . نظّارة بعين واحدة . . قميص فرمه قطار علاوة

على رائحة عرق مُعتّق . . كان يجب أن يُغلق السمّاعة . . على بعد خمس
دقائق كان هُناك محل زهور . . اتجه إليه . . وابتاع صُحبة ورد صغيرة،
واستعان بابن بوّاب العمارة المُجاورة للجاليرى بعدما رشاه بجوز جُنيهات،
وأخذ عليه عهداً أن يوصِّل الورد لغادة بعدما كيّله بكارت صغير اشتراه
وكتب عليه : صباح الخير . . أحمد كمال . .

اتخذ احتياطاته وغيّر مكانه وراقب الموقف من بعيد . .

وقف الصغير الأسمر النحيل على باب الجاليرى يسأل زميلة لها عنها .
أشارت إلى غادة التي اقتربت وتحدّثت بجملتين ، ثُمّ أخذت الورد وبدأت
تقرأ الكارت ، في حين حاول الولد الصغير الانسحاب . . استوقفته
سألته عن شيء . . أشار بعدها إلى الشارع مُحاولاً العثور على الشخص
المُرسل . . يا له من وغد . . ألم يقبض الثمن؟ ذلك الخائن الصغير
الجاسوس المزدوج الذي وقف يشير إليها بيده إلى فوق مُحاولاً وصف طول
مُرسل الورد ، ثُمّ لفّ سبّابته علامة على الرُفع ، ثُمّ أشار إلى عينيه يعنى أنه
يلبس نظّارة . . "كفاك خيانة ! ! " قبل أن ينسحب الخائن . . كم تمنّى أحمد
لو معه بندقية قنّاص وهو يُتابع ذلك الشيطان الذي يتحنجل في براءة عائداً
إلى عمارته وكأنّه طفل . . نظرت غادة إلى الورد ثُمّ إلى الكارت ورجعت إلى
الزُجاج شاخصة ببصرها إلى الشارع ، باحثة عن شخص يُتابعها ويرصد
حركتها ، تمسك بوردة انتزعتها من البوكيه تعبث بها بين أصابعها . . لم
تلحظ ذلك المُنهك الذي انسحب ناظراً خلفه كُل خمسة أمتار حتّى اختفى
من مرمى بصره . .

. . . .

نزلت عباءة الليل سريعًا . . عباءة سوداء كالحة مملوءة بالأتربة لكنّها كافية لإضفاء جو من الغموض على ليل القاهرة . . ليلها الصاخب . .

كان أحمد قد توجّه إلى كازينو . . مرّ بكابتن الصالة . . تلقّى كلمتين مضمون مُرتخية وصبر حاول به عدم الرّد ، حفظًا لمقام جودة ، مُستمعًا بلا آذان لنصائح الكابتن في تمشية الحال . . إننا لا نشترك في شيء نحن فقط نُسهّل بدلاً من أن يفعلها غيرنا ، ولو ما سهّلنا لوقف حال المكان . . نُحاول دفع البنية التحتية لتصل لمُعدلات أفضل ، ونسعى لرفع مُعدلات التنمية وزيادة فرص العمل . . ولم ينس إضفاء كرمُه وجوده في إنقاذ حياة أحمد من براثن الكبار ، وتحذيره بلهجة شرسة من مغبّة العبث مع الزبائن مرّة أخرى . . كُل ما كان يدور بخُلد أحمد ، كان الحفاظ على الغُرفة المؤجّرة حتّى يُرتِّب حاله مع عمر . . استحم في المعمل كما تعوّد وغفي ساعة ثُمّ قام وجلس في انتظار عودة جودة بمفاتيح أورشليم . .

كان صدره مشحونًا . . شعوراً بالذنب ورغبة في رأب صدع أحدثه في جودة . . كرامة مهتوك عرضها ، وهواء يدخُل الرئة ولا يخرُج . . تخطت الساعة الثامنة والنصف . . لم يكن جودة ليتأخّر بهذا الشكل . . التاسعة . . التاسعة والنصف . . صوت خبط على الباب : لو جودة مجاش اطلع إنت عشان الناس إبتدت تيجي يا أحمد . . يلله . . ؟؟؟

لم يفعلها مُنذ رُبع قرن.. جاء ليفعلها اليوم.. يوم لن تتحمل قدما أحمد حمله.. كأنه يريد عقابه على ما فعل.. أصبح غريبًا عن المكان بعدما هيّأ نفسه لتركه.. لم يكن يملك أي رغبة في حمل الكاميرا.. لم يكُن مستعدًّا لتحمُّل نظرات الآخرين.. تلك النظرات التي تغتصبك من دون فُرصةَ للمقاومة..

"أين جودة؟؟ أنا آسف بس إنت اللي إضطرِّتنى أقول كده.." رقم بيته لا يُجيب وتليفونه المحمول الذي يصدح بصوت أم كُلثوم مع جرسه يصل لآخر رنّه بدون رد.. لم يغب عن المكان إلا يوم وفاة زوجته، ويوم كُسرت رجلَه جاء بالجبس ليعمل في اليوم التالي.. "يلله يا أحمد" "حاضر.." اضطر أن يدخُلَ الصالة مرّة أُخرى.. مرّت الساعات ثقيلة وهو يعمل وحده..

يُصوّر ويُحمِّض.. يشرُد ويتخيّل.. لم يدر ما تلك العاطفة التي جعلته يختلس نفسه لأقرب كابينة تليفون هاربًا إلى خارجِ الكازينو: ألو. كان يطلُبَ آية أخته: السلام عليكم.. مين؟

أحمد: أيوة يا آية.. أنا أحمد..

آية: أخيرًا إفتكرت صلة الرحم؟

أحمد: والله أنا معايا تليفون مُمكِن تكلِّمينى في أي وقت.. يبقى أنا بقى اللي مقصرّ؟

آية: بس أنا أُختك يا أحمد.. أختك الصُغَيرة.. أنا عارفة إنّك زعلان من آخر مرّة.. جيت في وقت غلط وتريقتك على محمود. وعارفة إنّك زعلان من موضوع الفلوس كمان.. والصور..

قاطعها أحمد: الكلام ده مش في التليفون يا آية.. أنا بتكلّم أطمن عليكي وبس.. مش عايزة حاجة؟ غير الفلوس طبعًا عشان عارف إنّها حرام..

آية: ربّنا يهديك..

لم يتوقّع ذلك الرد الجاف في هيئة الدُعاء: ماشي يا آية.. إبقي طمنيني..

آية: إتّصل إنت يا أحمد..

لم يتمالك نفسه: مين اللي المفروض يزعل بالضبط؟ آخر مرّة ماشي وأنا زعلان ومارضيتش أعمل مُشكلة مع عم الشيخ عشانك.. فلوسي رماها في وشّي، وصُور أبوكي وأمك لمتها من التُراب، وآل إيه مابتخبِّش عليّا حاجة.. بديكي سلاح نووي أنا من وراه؟ وقلبتي بيت أبوكي مُستشفي الجن والعفاريت التخصصي.. كُل ده ومأموصة.. وإتّصل إنت يا أحمد؟؟؟

انفجرت بدورها: لو فضلت تتّريق عليّا أنا ومحمود مش هرُدّ عليك، إقرا الأول في دينك وبعدين إبقى إتكلّم، الزوجة الصالحة ماتخبِّش حاجة عن جوزها، وفلوسك حرام يا أحمد، طول ما إنت بتمشي ورا الرقّاصة فلوسك حرام، وبعدين موضوع الصّور ده محسسني إنّي طعنتك في الشرف، مش عيب لمّا أقول إن أبونا كان غلطان، غلط في اختياره لشُغله، وربّنا يغفرله لأنه كان مُغيّب، أنا مارميتش صوره، أنا جنّبتها بس وبعدين المفروض ما أزعلش لمّا تهين جوزي وتتّريق عليه؟ وبعدين بلاش تريقة بجد

على موضوع الجن ده بالذات إنت ما تعرفش حاجة عنّه وربّنا يعفيك إنت مش قد العالم السُفلى يا عم أحمد . . ربنا يهديك . .

أحمد : منا عارف جوزك واصل وله معارف كتير هناك . . فيه لواء حتّى في مرور الجن حبيبه . .

بقولّك إيه يا آية ورحمه أبوكي وأمّك أنا إطّمنت عليكي ومفيش داعي للكلام اللي يزعّل . .

لو عايزة تسألي عنّي . . تليفوني معاكي . . سلام . .

آية : سلام . .

لم يكُن سلامًا ولا حتى مُبادرة فاشلة . . تغيّرت آية . . أصبحت إنسانة أخرى . . ليست تلك التي أكل وشرب ولعب وبكى معها . . كانت نفسه تصرُخ : " ماذا جعلني أتّصل بها " . . إحساس بالذنب . .

بالالتزام . . بالضعف . . جرّب رقم جودة من جديد . . لا رد . .

وقف أمام كابينة التليفون أكثر من خمس دقائق، حتّى كسر السكون سيّارة مرسيدس سوداء بستائر اقتربت من مدخل الكازينو، ونزل منها جلال مُرسى . . لم تكُن سيّارته، كان أحدهم يوصّله، امتدت يده تُصافح مودِّعه . . شخص معروف . . يراه أحيانًا في الجرائد . . وجهه مألوف . . لا يتذكّر اسمه . . تبادل جلال مع الرجُل الذي لم ينزِل من السيّارة حديثًا بدا وديًا إلى أقصى الحدود، انتهى بسلام انسحب بعده جلال إلى الكازينو، فانطلق وراءه أحمد إلى الداخل . . كان مُتأكّدًا من أنه يألف وجه الرجُل في السيّارة . . رآه عن قرب وهو بجانب باب الكازينو قبل أن ينغلق الزجاج الكهربي وتختفي السيّارة . . جلس جلال يُكدّس الزُجاجات أمامه كأن

ملعب البولينج . . يتكلّم في التليفون . . يُحيِيّ سالي وسعد صديّق وهيام المطربة الجديدة . . يكتب في نوتته . . حتّى دخلت الصالة فتاة صغيرة . . شيء ما فيها يقول إن سنّها لم تتعد الثامنة عشرة، تتنكّر خلف المساحيق والرموش الطويلة والسواد الذي يحيط عينها كأن البابور قد هب فيها، وأحمر الشفاه الدموي كأنّها أكلت طفلاً رضيعًا لتبدو في أواخر العشرينيات . . ترتدي جيبًا طوله حوالي خمسة عشر سنتي وبلوزة شفّافة سوداء . . مسحت المكان بعينها قبل أن تستقر عينها على جلال الجالس في الصف قبل الأخير، لمحها وأشار لها فاقتربت ليلثم يدها بقُبلة أودعها كثيرا من الرسائل لتصل إلى دمِّها عن طريق الجلد، ثُمّ يُفسح لها بجانبه على الترابيزة المُحاطة بالظلام بعد أن يُغلق نوتته، ويزيح تليفونه ليتوجّه إليها كُليًّا . . تابعه أحمد . . يشرُد عنه لحظة ليلتقط صورة ويعود إليه ثانيًا . .

كم تضخّمت كُل أحاسيسه الآن . . وكأنه يرى العالم بصورة أوضح . . تلاشت فواصل الزمن . . تزداد كراهيته لتلك الشخصيّة مع عقرب الثواني . . وكأن ما حدث مُنذ أكثر من عام إلى الأمس ومُكالمة آية الآن قد انعكسا في وجه جلال . . كم خذلته تلك الشخصية . . تلك التي لو بحثت في حقيقة الصور لعرفت أن هُناك شيئًا خطأ في كُل ما حدث . . لماذا ساير الجرائد الرسمية في نسب الحادث لتراشُق نيران ناتج عن خلافات شخصيّة؟ أين اعترافات مُحيي ذنّون؟ لماذا تدخّلت العناية الجنسية في الموضوع لتبريره؟ حتّى نظرية المؤامرة بدت ركيكة مُصطنعة . . كان من المُمكن أن يعرف الناس حقيقة المجزرة . . هل كان هُناك سبيل لم يطرقه . هل قصّر؟ تنازعته تلك الأفكار كالضباع الجائعة فأخذ يحوم حول ترابيزة جلال المُختفية عن

الأنظار في الخلف. . حتّى اقترب من البار فاستند واندمج مع سامي في حوا
ليس له معالم، ثُمّ وضع كاميرته وبدأ يُسدد لقطاته. . يتدرّب على ما فشا
فيه من قبل. .

تلك المرّة كانت أكثر دقّة. . سدد ولم يرحم. . ثلاثون لقطة تسجيا
تُمثِّل موسم التزاوج لذكر الصحافة الصفراء مع أنثى مجهولة. . ينهل شفتيها
ويداه تعبثان في كُل خليّة من جسدها بالعدد. . صغيرة هي عليه. . صغ
على كُل ذلك العطاء. . لقطات مؤثّرة لا تحتاج إلى ترجمة. . إلى أن لاحظ
ذلك الطيف خلف ترابيزة جلال في الصف الأعلى. . كانت يد تُلوِّح. . .
فيها خاتم فضي. . لم يأخُذ وقتًا، ليدرك أنه يحمل حرف ال "G". .

قطعة من اللافا البركانية سقطت على رأس أحمد أطفأها العرق الغزير
أسرع صُداع أصابه في حياته. . يالهذا الشيطان. . دقق النظر. . نعم، إنه
هو يشير إليه. . يبتسم ويغمز. . رفع كأسه إلى أعلى دعوة لمشار
الترابيزة. . تجاهله أحمد وشد حزام الكاميرا على كتفه وابتعد عن مرمى
بصره. . هل رآه مرّة أخرى وهو يُصوّر "جلال". . كيف جاء، ومتى؟!
يلحظ وجوده حتّى لوّح. . لعلّه لم يلحظ شيئًا وكان مُجرّد سلام عابر
لو أنّه مباحث لكنت في السجن الآن. . سأذهب إليه. . أيًا كانت النتائج
كان ذلك صوت هواجس بداخله أخذت تسعل من الانفعال. .

وصل أحمد إلى ترابيزة الصُداع النصفي، ولم يمُد تلك المرّة يده بالسلام
مساء الخير يا باشا. .

الرّجُل: اتفضّل. .

أحمد: اعفيني يا باشا. . عشان مُدير الصالة واقف. .

تجرّع الرّجُل كأسه: اقعُد يا أحمد . .

جلس أحمد بعدما وضع كاميرته على الأرض وأعطى ظهره للصالة، ملافيًا للفت النظر، مُعطيًا ظهره لترابيزة جلال، دافعاً بالاتهام المُتوقّع من ذلك الكائن الليلي الذي سيمتص دمه . .

الرّجُل: سيجارة؟ كان قد أخرج عِلبة أنيقة مرصوصًا داخِلها السجائر بعناية طبيب القلب . .

أراد أحمد مد جسور الوفاق والتعاون، وحرص على تدعيم ودفع عجلة السلام فإجتذب سيجارة بإبتسامة: شُكرًا يا باشا . . شايف سعادتك غيّرت اللف وبدأت تشرب جاهز!! . .

بدا سخيفاً وهو يتملّق ولا يتلقّى ردًا؛ فأخرج ولاعته البلاستيك ذات البطّارية والموسيقى، المطبوع عليها صورة فتاة بمايوه: إتفضل يا باشا . . ومد يده للرّجُل الذي اقترب واقتبس من النار الرخيصة: ولاعة شيك . .

أحمد: صيني . . بنُص جنيه . .

الرّجُل: أخبارك إيه؟

أحمد: الحمد لله ماشية . . أنا ماتعرّفتش بسيادتك برضه . . إمبارِح ماكانش فيه فُرصة . .

و بعدين حصل مُشكلة الصراحة كده فإتشغلت شوية . .

الرّجُل: كان قلم جامد أوى . .

أحمد: ياباشا والله أنا لو راجل لراجل كان يبقى فيه كلام تانى . . وبعدين ده خبط في دقنى مش قلم قلم يعنى . . أنا كُنت هبهدله . . بس إنت عارف اللي بيحوشوا وكده يعنى . .

شعر أحمد بإحساس من حاول سد الشرخ الناتج عن اصطدام جبل الجليد في جسم التيتانيك بسولي تيب . .

لم يبد مُقنعًا . .

الرّجُل : ولو جه النهارده؟

لماذا يعقمون الإبرة السامة لقتل المحكوم عليهم بالإعدام؟

أحمد : لو راجل لراجل هعرّفه شُغله . .

هزّ الرّجُل رأسه بابتسامة ساخرة قبل أن يُخرِج من جيب جاكتته ورقة صغيرة يخُطّ فيها بقلم باركر بضع كلمات لم يتمكّن أحمد من قراءتها : تقدر توصّل الورقة دي لجلال مُرسي؟

تأزمت ملامح أحمد وظهر رقم مائة وإحدى عشرة على جبينه . . لم يكن يعلم أنه فتى توصيل البيتزا الجديد : اعفيني يا باشا . . الموضوع ده عملي مشاكل . .

الرّجُل : مش قد المشاكل اللي هيعملها لك جلال لو عرف إنّك بتصوّره . . وصّل له الورقة بطريقتك . .

قام . . انسحب إلى خارج الصالة، وفي لحظة كان قد اختفى . . لم يدفع حسابًا . . لم يُلق سلامًا . .

تأمّل أحمد الورقة قبل أن يفتحها وهو يواريها بين أصابعه . . خير الكلام ما قلّ ودل . .

كانت الورقة فارغة . . أكان يمزح أم نسى أم يتلاعب ويسخر . . حاول أحمد اللحاق به . . خرج من الكازينو . . نظر يمينه وشماله . . اختفي وكأنه

لم يكُن . . رجِع أحمد إلى الداخِل وجلس إلى البار بمواجهة سامي البارمـان : ابو السام . .

سامي : حمادة عامِل إيه . . أمّال جودة فين النهاردة؟

أحمد : والله فكّرتني هكلّمه أهه . . تليفونه مابيردّش أصله من بدري . .

سـامي : تلاقيـه نـسيه في المُخـابرات والـلا عنـده ميـشن إيمبوسـيبول في إسرائيل . . وضحك فبانت سنّته الذهبية فبدا بارمان حقيقـي . . الغريـب أن أحمد شعر بضيق لأوّل مـرّة مـن الاسـتهزاء بجـودة في غيابه ، تطوّر لقلق أخـذ يتـصاعد ، خاصـةً لمّـا لـم يتلـقّ ردًا مـرّة أخرى : ربّنا يستر عليه يا سامي أنا قلقت والله . .

سامي : يا ابنى ده قِرد . . هتلاقيه داخِـل دلوَقـت وصـحّته أحـسن منّـى ومنك . .

أشعره ذلك الجواب بالشؤم أكثر فحـاول تغـيير الموضـوع : بقولّـك إيـه صحيح . كان فيه واحد من شوية كده قاعد ورا الحبـوّب اللـي هنـاك ده " يقصُد جلال " خدت بالَك منّه؟ راجِـل كـبير كـده وزبـون بـاين عليـه مـن زمان . . شكله ريتش وستايله أجنبي شوية . .

سامي : ماخدتش بالي . . طلب إيه من عندي؟

أحمد : ماعرفش . . هو زبون على طول . .

سامي : مش فاكر إن فيه حد قعد هنا . . لمّا ييجى تانى قـولّى عليـه وأنـا أعرفهولك . .

لم يُرِد أحمد إثارة الشكوك فإكتفي بالـسؤال ، ومـضى إلى المعمـل ليطبـع بعض الصور التي إلتقطها نيابة عن جودة الذي كان يتـولّى تلـك المُهمـة . .

أضاء النور ووضع الصور في ألبومات، وهم أن يرجع إلى الصالة قبل أن
يضع يده في جيبه لا إراديًا ليتذكّر الورقة الفارغة التي أعطاها له مستر
إكس . .

تأمّلها كثيرًا قبل أن يبحث بسُرعة في المعمل عن قلم ووجد نفسه يكتب
طبّاخ السم هيدوقه . .

لم يجد أسخف ولا أكثر ارباكًا من تلك المقولة التي سمعها في فيلم عربي
لم يتذكّر اسمه . . لم يكُن يُدرِك ما كتبه . . كان فقط يريد أن يُلقي حجرًا في
البئر . . البئر الهادئة . .

رجع إلى الصالة . . سلّم الصّور . . تأكّد من وجود جلال على
ترابيزته . . خرج من الكازينو . . رفع سمّاعة تليفون سوبر ماركت على
الرصيف المُقابِل وطلب رقم جلال المطبوع في ذاكرة هاتفه . . انتظر حتّى أتاه
صوت جلال . . كان هُناك شيء يُحرّكه . . شيء أكبر منه . . فكرة مبتورة
لم تكتمل . . ألو . . ألو . . صوت فقرة المُطرِبة هيام يبدو عاليًا جدًا في
الخلفية : ألو . . مساء الخير يا جلال . .

جلال : مساء النور، مين؟

تصنّع أحمد ضعف سماعه للصوت : جلال . . ألو . .

جلال : أيوة . . ألو مين؟

أحمد : مش سامعك يا جلال . . اللواء حامد عايز يكلّمك . . وطّي
الصوت شوية . . هحوّلك بيه . . إستنّى . .

جلال : لواء مين . . ثانية واحدة معايا . . وبدأ صوت الموسيقى
يخفت . . كان يتحرّك خارجًا . .

حتّى ظهر أمام باب الكازينو . . ألو . .

أحمد : خليّك معايا هحوّلك بسيادة اللواء . . ولم ينتظر ردّه . . كان قد ضغط على زِر الانتظار في تليفون السوبر ماركت ، ولم يضع السمّاعة في موضِعها الصحيح . . دفع حق المُكالمة ورحل في سُرعة . .

عبر الشارِع ، ومر بِجانِب جلال المُنتظِر ، ودلف إلى الصالة ينظُر وراءه . .

بالداخل ، كانت فتاة جلال الصغيرة التي فقدت ضفائرها تعبث بتليفونها المَحمول . . اقترب من خلفها . . تأكّد من انشغالها وعدم مُراقبة أحد من الصالة له ، وبحركة سريعة دسّ الورقة تحت زُجاجة كانت أمام كرسي جلال ، ولا يعرف ما دفعه للاستيلاء على تلك الولاعة البنزين . . تلك الولاعة التي لا تُغادِر يد جلال . . ثُمّ اختفى . .

لحظات وظهر جلال من الباب . . اتجه في هدوء ليجلس بجانبها مرّة أخرى . . اندمجا في الحديث . . ضحكات ونغزات . .

مرّت خمس دقائق قبل أن يأتي الساقي بزُجاجة جديدة بعد أن أشار إليه جلال أن هل من مزيد . .

رفع الويتر الزُجاجة فظهرت الورقة المطويّة . . لاحظها . . فتحها وأخرج نظّارة القراءة . . سأل رفيقته فأجابته بالجهل . . أخفي الورقة عنها . . لم يُرِد أن تُدرِك مُحتواها . . سألها ثانيًا . . تذمّرت وظهر التوتّر على وجهها . . سكتت . . نادي الويتر الذي يخدمه . . استجوبه وأدرك أن لا شأن له . . مرّ بنظره على الترابيزات القريبة . . أخذت عيناه تتجوّلان

كسيّارات الدورية الراكبة إذا أتقنت عملها . . لا أثر لمن ألقى الطوبة على
الزُجاج . . حتّى أنه مرّ بعينه على أحمد الذي انخرط في حديث ضاحك على
البار مع سامي البارمان، بدا طبيعيًا فلم ينشغل به كثيرًا . . ابتسم ابتسام
الذي اكتشف سر شويبس، كأنه يقول لمن راسله : "لعبة جيدة" حاول به
أن يُظهر هدوءه وعدم جدوى العبث معه ولكنّه سرعان ما استسلم للعصبية
وأخذ يضغط على أسنانه . . نادي الويتر . . دفع الحساب . . شد الفتاة من
يدها ورحل بعد أن وضع الورقة في جيبه ناظرًا نظرة أخيرة علّه يجد من
يتبعه، أو يضحك بسخرية، أو حتّى يناديه ليُخبره أنها مزحة، قبل أن يختفي
غير مُنتبه أيضًا لفُقدانه ولاعته . . نشوة عارمة ألّمت بأحمد من جرّاء ما فعله
في جلال . . شعر بشعور "علي الزئبق"(*) في مُغامراته مع "سنقر
الكلبي" . . بشكلٍ ما شعر براحة غريبة تتسللّ إليه لتُضيّع أثر ما حدث ليلة
أمس . . مكافأة من القدر في شكل نصر معنوي على شخصية تدين له
بالكثير من الاعتذار على ما بدر منها من استهانة وتلفيق . .

شعر لأوّل مرّة في حياته أنه إيجابي . . كسر حاجز الجمود والاستسلام
رفع يده بالتحيّة في الفراغ . .

كان يُحيي "حسام" . . صديقه . . رآه على باب البار . .

لا لم يره . . تخيّله يبتسم ويُشير إليه قبل أن يختفي . .

بقي له خُرّاجًا من نوع آخر بدأ يحتقن . . جودة . . أين ذلك الرّجُل ؟
فقط أراد أن يطمئن أنه قد صالحه، وأنه نسى له ما تقيأ به ليلة أمس . . هل
من المنطقي أن يُصارحه بأنه كذّاب ويسرح بخياله مع الآخرين؟ فقط كان

(*) سيرة شعبية شهيرة عن بطل يقاوم فساد السلطة المتمثلة في سنقر الكلبي .

دمن يُنظِّف مسدسه، وخرجت طلقة في صديقه.. تفريغ لشُحنة غضب أطاحت به، ولكن لا بأس، فأحمد عنده قُدرة أيضًا على الإقناع والصُلح، ولكن أين هو؟ جرّب تليفونه مرّة أخرى وفي تلك المرّة استجاب.. لم يكُن جودة مَن رفع السمّاعة: ألو..

أحمد: عم جودة؟؟

الصوت: حضرتك قريبه؟

اقشعر جلد أحمد: أيوة.. فيه إيه هو فين؟ حضرتك لقيت التليفون ده؟ أنا بتكلّم فين دلوقت؟

الصوت: إحنا في مُستشفي الحُسين الجامعي.. الأخ جودة وصل عندنا من ساعتين و... خفت الصوت بَغتةً في أذن أحمد.. لم يكُن يُريد أن يسمع المقطع القادمِ الذي اخترق طبلة أذنه كالسكينة في قالب الزبد..

مرّت ساعة قبل أن يقف التاكسي أمام مُستشفي الحُسين.. نزل منه ذلك الشاحب الضائع مُسودّ الوجه الذي ركض على السّلم وكاد يقع بعد أن الهى بالأجرة إلى السائق الذي تذمّر وتلفّظ بلفظتين على سبيل العادة المسحة.. ركض إلى الاستقبال وسأل عن اسم جودة فأشارت إليه المُمرِّضة بدور الأم المُرضعة أن اصعد إلى الدور الثاني.. أكل السلّم أكلاً حتّى وجد بالطلة مكتوب عليها بخط يد رديء "المشرحة".. دمعت عيناه وهو يدخُل مع التومرجي الذي هبش ثمانية جُنيهات ليسمح له بالدخول من دون إذن الطبيب حين رأى بطاقته وعرف أنه ليس من أقارب الدرجة الأولى..

كانت المشرحة ضيِّقة. . خانقة. . تفوح منها رائحة فورمالين حاول منع التعفّن ولكنه فشل. تتقطّع الإضاءة المنبعثة من اللمبة النيون الوحيدة التي تعتم المكان أكثر من أن تُضيئه. رُصّت الثلاجات التي ملأها الصدأ بداخل حيطانها وتآكلت مقابضها وتقشّر لونها الأزرق الباهت. .

مشى التومرجي يقرأ اللافتات ويقفل بعض الثلاجات المواربة مُحللاً الجنيهات التي حصل عليه من أحمد، ماراً بثلاجة نصف مفتوحة كانت تظهر منها سيقان لأنثى بدت شابة بجانبهما زُجاجة مياه، تناولها الرجُل وأغلق الباب على شبابها فصنع صوت فرقعة مكتومة، وفتح الزُجاجة التي كان يثلِّجها وتجرّع منها قبل أن يتوقّف أمام ثلاجة أخرى: يا قوي. .

زمجر الباب في صرير مُرتفعٍ قبل أن يستسلم وينفتح كاشفًا عن قدم بائسة عارية مُعلّق فيها ورقة صفراء، مكتوب عليها: جودة السيد رجب. .

تاريخ الدخول: ١٣ مايو ٤٥ ,٩ صباحًا. .

و في خانة الملحوظات: جرح طولي في الفص الأيمن أدّى إلى نزيف داخلي وهبوط في الدورة الدموية. . كان رف الثلاجة قد أكتمل فتحه حاملاً جودة الذي ازرق لونه، نائمًا على ظهره وقد ظهر جرحه الكبير في رأسه الذي لم يُخف بركة الدم المُتجلِّط تحته. . دموع ودموع. . انقباض ولهاث. . نظرة يتبعها تدفُّق للدم في عروقه. . تبللت نظّارته. . سال أنفه وإختنق صدره. .

جلس القرفصاء بجانب الجثة التي كانت. . كانت تتحمّله. . جودة. من يُصدِّق أنه رحل. . هكذا في سهولة. . لم تكُن تلك لتكون نهايته

التومرجي: تعيش وتفتكر.. باين عليه كان راجل طيِّب.. هو مالهوش حد؟

لم يستطع أحمد أن يرد..

التومرجي: ده خاتمته مسك، عارف ده خبطه الموكروباظ فين؟ قدّام سيدنا الحُسين.. وهو بيعدّي الشارع خارج من الجامع.. يعني في الجنّة إن شاء الله.. دي موته حلوة ربِّنا يكتبها لنا..

ثُمّ بدّل وجهه وكأن مفعول الجنيهات الثمانية قد نفد مثل كارت شحن التليفون المحمول: يلله بقه يا أستاذ عشان الدُكتور لو جه هيعملنا حكاية.. البقاء لله..

أغلق التومرجي الثلاجة بعدما ودّع جودة بنظرة أخيرة.. أصيب بخرس وقت.. أمسك بيده الباردة وضغط عليها قبل أن يندس جودة في غياهب الثلاجة..

التومرجي: تحب يا باشا تشوف الحاجات اللي كانت معاه.. وغمزه في إشارة إلى عقد صفقة جديدة.

همّ أحمد أن يرحل.. فلم يكُن في نيّته ما يحمله على تفقُّد أغراض جودة.. ثُمّ تَذكّر أن لا أحد له غيره قد يكون يحمل ما يرشده إلى أي سبب.. عاوز كام؟

التومرجي: كارتّة.. في إشارة إلى ورقة العشرين جُنيهًا المرسوم عليها رمسيس على عجلته الحربية التي تحوّلت بقدرة قادر إلى كارتّة: يمكن يكون فيه حاجة مُهمّة كده ولا كده..

لم يجد أحمد في جيبه غير خمسة عشر جُنيهًا فناوله عشرة: مفيش معايا فلوس تانى.. عشان أروّح..

التقط التومرجى الورقة الحمراء بعد أن رماه بابتسامة سخيفة: ماشى يا باشمهندز..

فتح دُرجًا من دولاب صاج قديم، وقلّب بعض المُحتويات قبل أن يُخرج محفظة جِلد مُهترئة ومنديلا كبيرًا وسلسلة بها ثلاثة مفاتيح وتليفونه المحمول..

فتح أحمد المحفظة فوجدها خاوية كما ولدتها أمّها إلا من بعض الأوراق المُبعثرة التي كان يهوى جودة جمعها، تحمل أرقام تليفونات وعناوين وتذاكر أتوبيس وكارنيهًا قديمًا بائدًا عليه صورته منذ حوالي أربعين عامًا مضت، كان مبتسمًا رافعًا رأسه في كبرياء وعظمة كأنه المشير، وبطاقته الجديدة التي يبدو فيها وجهه كفطيرة مشلتتة، بهتانًا لا نرى عينيه من انعكاس الإضاءة على نظّارته يبتسم كأنه جثة وجدوها في البحر بعد عشرة أيّام من الغرق.. طبعًا كانت النقود قد تم تأميمها مع الولاعة والسجائر والساعة..

لم يكن في حالة تسمح له بفتح لجنة تقصّى حقائق.. بدأ التومرجى يجمع مُمتلكات جودة عندما استوقف نظر أحمد مفتاح قديم يملأه الصدأ.. مفتاح أصفر عليه رسمه عصفورة.. لم يكُن عليه التفكير كثيرًا.. مد يده إلى السلسلة وأخرج المفتاح الأصفر فيما صاح فيه التومرجى: لأ لأ ما إتّفقناش على كده..

أمسك أحمد بيده من عند الكوع بقوة: الراجل ده كان معاه ساعة وولاعة ومابيمشيش من غير فلوس والمحفظة فاضية والراجل ده إتقلّب وإنت كانت

ندك سلسلة مفاتيح . . مُمكِن يبقى فيها مُفتاحين بس وحلال عليك الباقي ماشي . .

لم يُعقِّب التومرجي، فقط حدجه بنظرة حادة واستدار ليُغلق باب المشرحة: ماشي يا زميل إتكل على الله . . نهارك أبيض . .

مشى أحمد كثيرًا . . لم يدر أين قادته رجلاه إلى أن وجد نفسه في السيدة زينب . . مر أمام منزله . .

فكّر أن يصعد فلم تُطاوعه نفسه . . تخبّطت أفكاره كدجاجات في محضور الثعلب . .

الكازينو!! ماذا سيقول لهم؟ هل يستمر؟ لن يستطيع . . بكى كثيرًا . . شعور خانق بالذنب يحيط به . . أمات جودة وهو يحمل له ضغينة أم سامحه؟ يجب أن يتّصل بعُمر . . الآن . . ليس الآن . . من سيتسلّم الجثة؟ هل يتركه هكذا؟ بكاء بدأت تخف حدّته بعد أسبوعين . . بعدما بدأ مفعول النسيان يسري في عروقه . . وإن ظلّ الألم في مُخيِّلته لا يغيب . .

تخللت هذان الأسبوعان أحداث كثيرة . . علم الكازينو بوفاة جودة المفاجئة . . لملموا من بعضهم حق الخارجة، وجاءت من صاحب الكازينو منحة هزيلة لا تليق بالعشرة الطويلة . . تم دفن جودة في مقابر باب النصر . . لم يحضر الجنازة الكثيرون . . جمعٌ صغير من أهل الحي وبعض العاملين في الكازينو وصديق أو اثنان . . معارف بعدد شعر رأس جودة . . لأنه أصلع . . ذلك كان كُل ما جَمَعَه طوال سنين عُمره التي تعدّت الستّين . . كان هُناك أيضًا ذلك الورم الخبيث . . متّى جاء؟ . . ذلك الكيان الذي ظهر فجأة من العدم كأنه الكونت دراكولا إذا قرر أن يعمل صباحًا في

مقابر باب النصر.. الأناقة القاتمة نفسها والسيجارة الملفوفة بعناية.. يقف بعيدًا مُرتديًا نظاّرة شمس.. أخرَج منديله ومسح دمعة بدت حقيقية.. أشار إلى أحمد بعدها بأصابعه وبابتسامته المستفزّة التي قابلها أحمد بتجاهُل وأشاح بوجهه إلى العمّال الذين أخذوا يُهيلون التراب على القبر ويرشّون الماء ليهدأ الغبار.. بعدها نظر أحمد إلى المكان الذي كان يقف فيه ذلك الصُداع النصفي ذو الخاتم الغريب فلم يجده، كأنّه تبخّر.. هل من المُمكن أن يكون صديقًا لجودة.. لم لا، فجودة كان زميلاً لغاندي في مدرسة الهند الثانويّة بنين، وصديقًا شخصيًا للرئيس جمال عبد الناصر، ومُلهمًا لعبد الحليم حافظ وناقدًا لأم كلثوم، وراعيًا لرأفت الهجّان ومُحررًا للعبيد وراضعًا على "سبارتكوس".. سيفتقده كثيرًا..

مر يومان لم يعمل فيهما أحمد في الكازينو.. قضى أغلب وقته مع عمر لترتيب أمر عمله الجديد والمُشكلة الأكبر.. السكن.. بحثا حتّى عثرا على شقة صغيرة ستين مترًا في دور ثالث من عمارة قديمة متهالكة، تصلح تربة بإيجار ١٣٠ جنيهًا في الشهر.. لم يكُن يملك أي رفاهية للاختيار.. أخبر مدير الكازينو بعزمه الاستقالة.. طلب منه الانتظار يومين حتّى يأتي من يحل محله وكان..

استقبل أحمد الرجل الجديد.. عرّفه المكان وبروتوكولاته.. لم يتعب معه كثيرًا لأنه كان مُتمرّسًا ومُحترفًا في كازينو آخر من قبل.. بدأ يحزم أمتعته لينقلها للسكن الجديد حينما اصطدمت يده في شيء معدني في جيبه.. كان مفتاح جودة.. تذكّر الدولاب.. دولاب الأسرار

العسكرية . . دولاب أليس في بلاد العجائب . . دخل الغُرفة وهم أن يفتحه عندما دخل الساكن الجديد : أشيل معاك حاجة يا أحمد؟

أحمد : آه والنبي كنت هنسى الدولاب الصغير ده . . شيل معايا وحياة أبوك . .

هلل المصوّر الجديد كثيراً وكاد يُقدِّم القرابين عندما حمل أحمد ذلك الحمل الثقيل ليخفف عليه الوطأة قليلاً . . كفاه مخزن الخُردة الذي ورثه عن جودة الذي لو رآه ابن الحاج "عبد الغفور البُرعى" لأكل جلباب أبيه . . استقل أحمد السيّارة ربُع النقل بَعدما وضع أغراضه . . حاسبه وكاميرته ومكواته ومرتبته وهمومه . . ودولاب جودة . . رصّ أشياءه كُلّها داخل الشقة وغيّر قفل الباب . . استحم واستلقى على المرتبة في أرض غُرفته الجديدة . . كان يُدرك في قرارة نفسه شيئًا واحدًا فقط . . أنه على شفا حدث كبير . . حدث قد يُغيّر مجرى حياته . . عندما جذب نظره عنكبوت يمشّى على سقف الغُرفة يُرتّب خيوطه ليصنع بيتًا . . أو فخًا . .

. . . .



أسبوعان . .

استغرقهما أحمد في تجميع نفسه . . الشقة صغيرة لكنّها مُناسبة لشاب لا ملك ما يخسره . .

ليلة أو ليلتان في أرق من الأصوات المُريبة . . مروحة السقف القديمة والشبابيك كثيرة الشقوق وأفرُع الشجرة التي تدغدغها ليلاً . . الأثاث البالي الذي يتناقش يوميًا حول الساكن الجديد . . زيارتان رسميّتان للسبّاك ومباحثات موسّعة شملت الوضع في الحمّام والأراضي المُبتلّة . . تغيير بعض اللمبات المحروقة ورحلة البحث عن مطعم قريب . . تلك الرحلة التي حففت حدّتها المعونات الغذائيّة التي تأتي من "أم عُمر" الذي بدأ يبيت في شقّة أحمد أكثر ممّا يبيت أحمد . . ذلك الكائن المكلبظ الملظلظ العرقان المتفاني الذي طالما أدخل السرور في نفس أحمد . . كان حقًا يُحبه . . طوّر له الكمبيوتر وغذّاه بما لذّ وطاب من أفلام وبرامج، وبعض "السيكوسيكو" من مكتبته الخاصة التي تضُم أفلامًا إباحيّة تعود إلى نشأة السينما، لزوم كسر الملل وتسلية عزوبيته، وإيمانًا عميقًا منه بأنّها شفاء من كُل داء . .

حاول بشتّى الطُرُق إخراج أحمد من حالة الجمود والسكون التي أحاطت به . . نكات وقفشات وبيات معه إذا لزم الأمر؛ بشخيره المُنتظم ورائحة جله التي قد تُستعمل لفض مُظاهرات الطلبة . . مُحاولات للتأقلم مع الوضع الجديد . . استلم أحمد عمله الجديد . . أصبح مُصوّرًا في أستوديو،

وأحيانًا يخرُج لزيادة دخله. . أفراح مُتنوّعة. . فنادق ونواد، خطوبة في بيت وزفّة في الشارع. . وقفة على كوبري الجامعـة وركـوب فلوكـة، ولا ننسى صورة النافورة الشهيرة في ميدان الجامعة أمام حديقة الأورمان. .

كان أحمد قد نسي تمامًا أمر الدولاب الصغير. . دولاب جودة. . عـلاوة على عُمر الذي احتل بكراكيبه نصف الغُرفة تقريبًا فلم تكُـن حالتـه تـسمح بعد باجترار ما يُذكّره بجودة، وتحديدًا مـا حـدث معـه الليلـة الـتي سبقت وفاته. . كان يعرف جيدًا أنّ القدر كُتب مُسبقًا إلا أنه لم يستطع أن يتقبّل أنه تركه يموت وهو يحمل له شيئًا في صـدره. . هـل سـامحه؟. . لعنـة الله على حبيب أمين. . لولاه لما انقلبت الدُنيا ولن تعـود كمـا كانـت. . حتّـى جاء اليوم الذي وجده أمامه. . قديم هو تكثُر عليه الخدوش. . بنّي داكن ألصق عليه جودة كُل ما جادت به نفسه من مُلـصقات لأنـواع أفـلام انـدثرت ولم تعُد. . ساكورا. . تيودور. . أورفو وفورتي. . وصورة بهتت ألوانها لبنت يابانية تحمل شمسية. .

جذب الدولاب الصغير وربّع جالسًا على أرض الغُرفة قبل أن يولج في المُفتاح الذي وضعه في سلسلة مع مفتاح التربة. . أقصُد الشقة. . وفتحه.

كان الدُرج الأول يحوى بجانب بعض فتافيت الطعام والمسامير الصغيرة ملفًا به أوراق صفراء. .

شـهادة مـيلاد جـودة. . مواليـد أكتـوبر ١٩٤٠. . الأميريـة. . بطاقة القديمة. . شهادة وفاة زوجته. .

و تقاريرها الطبية . . عقد شقته . . ساعة حريمي قديمة ودبلة عتيقة وبعض الصور لزوجته تبدو في فترة الستينيات وصور لهما معًا أبيض وأسود وبالألوان . .

الدُرج الثاني والثالث كانا مُكتنزين بعُلب الأفلام . . عُلب سوداء وشفافيات . . كُل عُلبَة لُصقت عليها ورقة صغيرة . . "سالي" . . كانت مكتوبة على أكثر من علبة . . "كريم أبّص" مُدير الأعمال والزوج المرن، كانت له علبتان . . "جلال مُرسى" كانت له ست علب . . "فتحي العسّال وحبيب" أكثر من ثمان علب . . وفي جوف الدُرج الثالث أربع علب عليها اسم "هشام فتحي" . . تلك البذلة السمنية التي سجّل سقوطها في حادث الفندُق . . كان يسمع كثيرًا عن ماضيه الفاسد . . أسماء شبّه على أكثرها وسمع عن بعضها همسًا وآخرون احتلوا مساحات على صفحات الجرائد أغلبهم فنّانون وفنّانات وبعض السياسيين . . ورتبتان أو ثلاثة لم تتعدّ حدود المقيد غير بعض العلب من دون أسماء، وفي جوف الدُرج علبة واحدة ملفوفة بورق أبيض ومُغلقة بعناية مكتوب عليها كلمة "الفرح" . . كان الدولاب يحوى حياة "جودة" . . أرشيفه . . زوجته . . عملاءه وزبائنه . . كان بالطبع أكثر ما استرعى انتباه أحمد نيجاتيف "جلال مُرسى" . . فتح إحدى العلب . . فرد الفيلم . . لم يتمكّن من استكشاف تفاصيله في ضوء الغرفة الأصفر الباهت . . أضاء تليفونه المحمول ووضعه في خلفية الشريحة علّه يستنبط شيئًا من نوره الخافت . . كانت الشريحة تحوى صورًا لأشخاص على ترابيزة في الكازينو، ميّز من بينهم خيال "جلال مُرسى" . . صور له مع ذكور وإناث لم يتبيّن معالمها . . فتح علبة لسالي . . صور لها ترقُص،

وصور أخرى تجلس على ترابيزة مع شخص. . كذلك "كريم أبّص" صوره بدت مشبوهة، وعدد لا بأس به من صور فردية لبنات يتقصّمن أوضاع تبدو مُثيرة. . فتح علبة "هشام فتحي". . تسجيلات مُنتظمة لزيارات الكازينو. . لم تبد حالة النيجاتيف جيدة علاوة على ضعف الرؤية، فاكتفي أحمد ورتّب محتويات الأدراج كُلها من الأفلام قبل أن يسمع صوت مفتاح يدور في الباب، وصوت تكريعة عرف من خلالها أن "عُمر". .

أحمد: صحّة يا وحش. . سيد إشطة جاى يزورني. .

عُمر: حموءة. . كان ذلك هو النداء الشعبي لأحمد. .

إنت صاحي؟

أحمد: لأ. . نايم. .

عُمر: طب قوم هزّها كده وتعالى شيل معايا. .

قام أحمد وتوجّه إلى الباب فوجد عُمر يحمل شاشة كمبيوتر: إيه يا باض؟

عُمر: الكمبيوتر بتاعى. .

حمل معه أحمد الشاشة، وخرج عُمر وأحضر باقي الجهاز: إيه يلله أمّك طردتك ولا قفشتك بتتفرّج على حاجة سيكي ميكي؟

عُمر: يا عم لا كده ولا كده. . هنعمل " Net Work ". . هعيّشك اللحظة يا إبن عم كيمو. . هناخُد خط من النت كافيه بتاع الواد كوكو اللي جنب العمارة. . هنأضيها Games حتى الصباح. .

قاطعه أحمد في لهجة جادة: بقولّك إيه . . البتاع ده سكانر[*]؟؟

كان يشير إلى جهاز أتى به عُمر مع أغراضه الأخرى . .

عُمر: آه . . أنضف من اللي عندنا في الاستوديو كمان . .

تأمّل أحمد الجهاز: مُمكن أعمل سكان لنيجاتيف عليه؟

تململ عُمر: أيوة يا إبنى فيه إيه؟ هو تحقيق؟ إنت عايز تشتغل دلوقتي؟ إعمل اللي إنت عايزه في الشُغل بُكرة . . أنا عندي تظبيط كتير هنا مع كوكو . . بُص نام إنت وأنا هخلّص وأبقى أحكيلك، ماتعطّلنيش ورحمة أبوك . . انسحب أحمد واسترخى على المرتبة تاركًا عُمر الذي انهمر عرقه وأخذ يشدّ في الأسلاك والوصلات حتى تدلّت كرشه الشبيهة بالعوّامة البطة إذا ارتداها أحد من تحت القميص، وكُلما انحنى بان لباسه العريض الذي يصلُح غطاء سيارة نصف نقل . . ينفُخ وينفر . . يسّب ويشتم ويركل كأنه يعيد تركيب قمر صناعي سقط من مداره . . كان كالونش الشوكة إذا فقد الشوكة . .

أشعل أحمد سيجارة سارحًا في فكرة بدأت تغزو عقله . . تُسيطر على ذهانه وتحتل حواسه . .

عندما فتح عُمر الشبّاك على مصراعيه وتدلّى منه: ولا يا كوكو . . احدف السلك . .

في صباح اليوم التالي قام أحمد على صوت جرّار زراعي يحرث أرض الغرفة . . كان ذلك صوت عُمر الذي فتح فمه كالتمساح النيلي نائمًا

(*) ماسحة ضوئية.

مُشخِّرًا بجانبه، مستحوذًا على ٨٠٪ من أسهُم المرتبة.. قام في هد،
ووضع نظّارته على وجهه ليطالِع وكالة ناسا الفضائية التي صنعها عُمر أثنا
نومه..

أوصل الجهازين ووضع بجانبهما شيء أسود يضيء.. وصلا
وأسلاك بعدد أفاعي المامبا السوداء في إفريقيا.. كان اليوم أحدًا.. إجا
الأستوديو.. مُواتيًا تمامًا للخروج في مشوار أهمله للظروف الأخيرة
مواتيًا تمامًا للمرور على الجاليري..

غسل وجهه، وغمس أصابعه في علبة الجيل التي لا تُفارقه.. صفف
شعره وتأكّد من لمعته.. لبس الحتّة اللي على الحبل.. كتب ورقة لعُم
الغارق في غيبوبة: شوفلنا حاجة ناكُلها..

أنا نازل ومش هتأخّر.. إبقى نضّف اللي إنت عملته ده.. ملحوظه
إغسل رجليك..

ألصق الورقة على إحدى شاشات الكمبيوتر، ورحل غالقًا الباب ب
هدوء.. ولم ينس حكم إغلاق دولاب جودة بالمفتاح وزحزحته بعيدًا ع
أغراض عُمر، فهو لا يضمن فيما قد يستعمله..

أمام الجاليري، وقف أحمد نصف ساعة مُحاولاً ترتيب أفكاره.. ل
يكُن قد رآها بعد عندما وقفت سيارة أمام الجاليري يقودها شاب وسيم
انفتح بابها ونزلت منه غادة.. كانت جميلة بحق.. يتهادى شعرها الممو
على ظهرها.. شعرها؟؟!!

ألم تكُن مُحجّبة؟؟ قرصت الشاب الوسيم في خدّه وقفزت في رشاقة إل
الداخل.. لم تكُن الكاميرا معه اليوم.. لو كانت معه لصوّر القاضي وهـ

مكم عليه بالإعدام علنًا، وأمام النـاس في سـاحة الجـاليرى. . أخـذ أحمـد
أمل ذلك الوسيم الذي أطاح به بالضربة القاضية. . لا مجال للمُقارنـة بـين
امر وذكر الجمبري. . جلس علـى الدكّـة وقـد سـرت قـشعريرة بـاردة في
صدره حين نزلت غادة ووراءها غادة في اتجاه السيّارة. .
اتخذ الأمر من أحمد ثواني ليُدرك مدى سعادة أرشميدس عنـدما اكتـشف
قانون الطفو. . كانت غادة توءمًا. .
توءمًا شديد الشبه. . هلل قلبه وأطلق أعـيرة ناريـة وزغرطـت شـرايينه
ووزّعت الدم على كُل أعضاء الجسم، ابتهاجًـا بـالخبر الـسعيد. . انزلقـت
التوءم بجانب صديقها في السيّارة، ورجعت غادة الأصليّة إلى الجاليرى بعدما
سلمت على فتى الشاشة الوسيم. . التفت أحمد حوله باحثًـا عـن مكتبـة أو
محل خردوات حتّى لمح واحـدًا لـيس ببعيـد. . ابتـاع قلمًـا وأوراقًـا وظرفًـا
أبيض، وجلس مثل الكاتب المصري يُدوّن الكلمات على الدكّة. .
انقضت ساعة وهو جالس يكتب، صنع خلالهـا كومـة أوراق قـد تُـثير
ثورة بين جامعي القمامة. .
طبّق الورقة ووضعها في ظرف، وعبر الشارع متّجهًا إلى الجاليرى متخفّيًا
حصان طُروادة. .
كان الجاليرى من الداخل غاية في الذوق. . سـلعته الأساسـية. . أثـاث
مودرن فاخرًا. . ألوانًا مُبهرة ورائحة ذكيّة وورودًا في زُهريات شـفّافة كـبيرة
وأشعّة شمس تتخلّل الزُجاج.
كانت غادة تتكلّم مع عميلة تبدو ثرية. . لم يكُن قد رآها بذلك القُـرب
قبل. . كانت جميلة بحق. .

صوتها . . لم يكُن قد سمعه . . عندها لثغة صغيرة رائعة في حرف الس
لا تُرى بالأذُن المُجرّدة، تجعل كلمة "Selection" أو حتّى "بسبوسة"
كأغنية أنت عمري لأم كُلثوم . .

صباح الخير . . مع حضرتك عبير حجّاج أتعرّف بحضرتك . .

كانت تقف أمامه فتاة جميلة تصلُح موديلاً لبيت أزياء . .

حاول أحمد التركيز واسترجاع الدور الذي حفظه : صباح الخير . . وال
أنا كُنت مستني الآنسة غادة . . أنا جاى لها من طرف المُهندس كمال
حاول أن يأكُل الاسم علّها ترحل في سلام . .

الفتاة : مُهندس مين يا فندم؟

أحمد : أنا هستنّى آنسة غادة لما تخلّص . . ميرسى أوى . .

الفتاة : تحت أمرك ! ! خُد راحتك . .

أخذ أحمد يدور في دوائر حول غادة وعميلتها . . يُتابع شفتاها وه
تتكلّم . . يسمع صوتها الرقيق . . يتأمّل يديها وهى تتحرّك . . أصابع
الصغيرة . . لون إيشاربها . . عينيها التي بدت تحمل حُزنًا خفيًا . .

انتهت غادة وودّعت عميلتها عندما لفتت زميلتها نظرها إلى من
انتظارها فتوجّهت إليه مُبتسمة . . هوى قلبه على الأرض وتدحرج تح
إحدى الكنبات . .

غادة : صباح الخير . .

أحمد : صباح الخير . . غادة؟

هزّت رأسها في ابتسام . . أنا جاى من طرف المُهندس كمال . . هز
رأسها مرّة أخرى وهى مُحافظة على ابتسامتها : أهلاً بيك . .

أحمد: المُهندس كمال كان عايز ييجي بنفسه بس ظروفه ماسمحتش..
على العموم هو شارِح كُل حاجَة في الظرف ده وبيوصّيكى تقريه بإهتمام..
مد يده بالظرف.. التقطته: سورى أنا مش فاهمة..
هو مستر كمال باعت معاك مواصفات مُعيّنة.. أنا مش مُتذكِّرة.. هو كان كلمني بس أنا..
قاطعها: هو شارِح كُل حاجة في الظرف ده.. مُتأسِّف أنا لازم أمشى دلوقت.. أرقام التليفونات موجودة في الظرف.. أرجوكى فكّرى كويس الموضوع صعب وعايز تركيز.. ميرسى مرّة تانية..
انسحب وتركها تتّجه إلى أقرب مكتب وهى تفتح الجواب حينما تذكّرت وسألته: ماتعرّفتش باسمك؟
بوند.. جيمس بوند.. الله يمسّيك بالخير يا شون يا كونرى..
أجابها: كمال.. أحمد كمال.. واختفي قبل أن تفتح جوابه.. قبل أن تربط بينه وبين بوكيه الورد الذي ذيَّله باسمه.. ركض مُسرِعًا.. قفز السلالم وخرج إلى الشارِع ينظُر خلفه كأنّه لص.. مدّ مُسرِعًا حتّى وجد نفسه وجهًا لوجه أمام الخائن.. كان الصغير يلعب مع أقرانه في وداعة وكأنه منهم..
لا يعرف أحدهم أنه باع أسرار البلد من قبل ويعمل جاسوسًا مزدوجًا يملك جِهاز استقبال وإرسال مُتطوّر أيضًا.. لم يكُن الوقت يتّسِع للحساب.. كان وقت الفرار.. إلا أنّ ذلك لم يمنعه من مدّ رِجله أمام

الخائن الذي كان يجرى في اتجاهه يلعب الاستغماية، ليصطدم بها ويطير على الرصيف.. درس صغير حتى اللقاء في حلقة أخرى..

مأخوذة وشاردة جلست غادة على المكتب.. فتحت الجواب.. كانت طريقة غريبة من عميل أن يرسل رسالة بدلاً من أن يأتي بنفسه ليختار أثاثه.. وذلك الأحمد كمال الذي أتى في عجالة ساعي البريد..

كُل شيء كان غامضًا إلى أن قرأت أول سطر في الجواب...

بسم الله الرحمن الرحيم..

بُصّى يا ستّى.. أنا أحمد كمال اللي بعت لك بوكيه الورد قبل كده.. أيوة والله العظيم.. إصبرى عليّا بس عشان أفهّمك.. أنا متابعك من فترة كبيرة أوى.. كُل ما بعدّى هنا بشوفك واقفة سرحانة.. أنا مُعجب بيكى.. ومش عارف أوصّلك ده إزاى.. وخايف تكسفينى.. وعشان أنا مش عارف إنتى مُرتبطة والا لأ؟ قررت أكتبلك جواب.. لو فيه أمل هستناكى الساعة خمسة وربع الأسبوع اللي جاى زى النهاردة عند بتاع الورد اللي جنب الجاليرى.. ولو مفيش أمل ولازم نضحّى بالأم والجنين متروحيش.. سهلة دى مش كده.. ما تسأليش بعد كده على الشاب اللي رمى نفسه من فوق السجادة واللا دلق على نفسه عصير جوافة.. أنا بشتغل مُصورٌ في كوداك إكسبريس شارع المنيل... خُدى وقتك وفكّرى، وخلّى بالك، أنا لما بحب حد بيقى لزقة..

أحمد كمال

كان الخط رديئًا . . نكش فراخًا مُصابة بجنون البقر تجرّعت كوبًا من ماء النار . . انفجر الدم في وجنتي غادة للمرّة الخامسة التي قرأت فيها الجواب الباغت من ذلك النحيل الذي اقتحم حياتها عنوة . . لم تُصدِّق تلك الطريقة البائدة في إظهار الإعجاب . . طريقة لو اتبعها روميو لاتهمته جولييت بالتخلّف العقلي . . ولكن سُرعان ما ظهرت تلك الابتسامة الخافتة من جانب الشفاه علامة على إرضاء غرورها . . ها هي تشعُر مرّة أُخرى بتلك القشعريرة الباردة التي تثلج صدرها . . لم تكُن تنتظر مثل هذا الحدث وبتلك الطريقة الرومانسية . . أخذت تستعيد ملامحه، صوته، ذلك الذي راقبها، باغتها وانقض عليها، كم هو جميل الاستسلام لذلك الشعور . . ولكن غادة لم تكُن فتاة الإعدادية التي تقع على صف أسنانها من أول إشارة . . علاوة على إحساسها الفج بنقص الاتصال بالآخرين ونظرات خيبة الأمل لها عند اكتشاف نُقطة الضعف فيها . .

كانت ميّادة تُمثِّل بالنسبة إليها حقل التجارُب الحي التي ترى من خلاله الحياة بمنظور تلك الشقية السياميّة . . نافذتها على العالم . . أغلقت الجواب ووضعته في حقيبتها . . وأخذت تنظُر إلى العيون من حولها راجيةً ألا تجد من يُراقبها . . بالطبع كانت هناك واحدة . . عبير . . صديقتها المُخلصة وبئر أسرارها . . لم ترفع عينيها عن غادة طوال قراءة الجواب . .

ظلّت تُراقب انشغالها وإخفاءها للغنيمة في حقيبتها فاقتربت منها قائلة: غادة . . مش فاهمة؟

سحبتها غادة من يدها إلى جانب الزجاج: مش هتصدّقي . .

قاطعتها عبير: بوكيه الورد؟؟ مش كده؟؟

نظرت غادة لحركة شفاه عبير لتُكمل قراءة كلماتها جيداً: تعالى. هحكيلك. .

اندستا معًا في زاوية بعيدة. . رؤوسهن قريبة. . تتبادلان أسرار الإناث. . سر أحمد كمال. .

. . . .

مر اليوم مرور السحاب . . يتخيّل أحمد ألف سيناريو لأوراقه التي أعطاها لغادة . . أخذت الاحتمالات تتضاءل حتّى توصّل إلى بعض النتائج ، بعضها مُشجّع ويُمثّل حوالي ٨٪ والباقي يدخُل ضمن قائمة أفلام الرُعب . . ناقش عمر نقاشًا طويلاً . . ذلك اللسان السليط الذي عاب عليه نثرًا طريقته الرخيصة في إظهار الإعجاب من دون أن يستشيره باعتباره "خبيرًا في مُعاملة الجنس الآخر" . .

كانا يجلسان على قهوة لياليتا بالمنيل . . الساعة العاشرة والنصف . . كوبان من الشاي وشيشة تُفّاح لعُمر الذي أخذ يُمارس دور بُركان "فيزوف" الغاضب نثرًا دُخانه . . صخب الدومينو والضحكات المدوية . . حديث الأهلي والزمالك . . مُتابعة الفتيات على الرصيف المُقابل . . خرطوم مياه التكييف الذي يرشح على كُم القميص . .

عُمر : يا إبني دى مش طريقة . . البتّ هتقول عليك عيّل شنكوتى . .

أحمد : اللي يشوف كده يقول الواد مقطّع وجارر الحريم وراه جر . .

عُمر : جااااهل . . يا إبنى أنا شغّال في إستوديو ، وعارف البنات بتفكّر إزاى . . دى شُغلتى . .

أحمد : يا إبنى إنت علاقتك الوحيدة بأنثى كانت مع الحاجة أمّك والأفلام السكس ، والبت نحمدُه أم ودن واحدة بتاعت الإعدادية . .

عُمر: بُص يا عاجز.. أنا هلخّصلك الليلة كلّها في شوية احتمالات.
إنت غالي وأنا ما أبخلش عليك بتحليل للموقف اللي إنت فيه
ده.. واحد بمنظرك ده آخره أربع احتمالات..

توقّف للحظة سحب فيها نفسًا عميقًا من الشيشة.. كركرت زُجاجتها بعُنف كأن بها ماردًا والتهب الحجر وسُمعت طقطقته.. انطلق بعدها دخان أبيض كثيف من شكمان ميكروباص موتوره مفوّت وهو يصعد مطلع المُقطّم: ممكن تكون البت شافت الورد الجربان اللي إنت جبته وعرفت إنّك إيحة.. خدت الجواب.. قرأته زى جوابات "مارسيل موريا" بتاعت رأفت الهجّان من روما، ولّعت فيه وكان الله بالسر عليم.. ده غير إن خطّك هيلوغريفي عايز "زاهي حوّاس" يفك لها رموزه.. فيه احتمال كمان إن البنت ما فهمتش حاجة خالص وقطّعت الجواب.. وأخيرًا كُل ما تفتكر شكلك بنضّارة البحر اللي إنت لابسها دي، حقّها تولّع فيك الصراحة.. عرفت إنّك واد تعبان وهفتان وزمانها هي وصحباتها بيقطّعوا في ليّتك مش فروتك.. إصرف نظر وكبر دماغك، دي نصيحة من أخت مرضّعة قبل كده..

وختم خطبته بنفس عميق صرع الحجر، وأصاب الشيشة بإسفكسيا الخنق قبل أن يردف: تصدّق بإيه، الكلام ده مايطلعش غير للغالي اللي زيّك.. طب والله أنت عندي في مقام شاكيرا يا أحمد.. شوف المعزّة.. شاكيرا..

أحمد: الله يطمّنك يا فانتوماس.. عارف إنت مكانك مش هنا.. إنت المفروض تتعبد زي بوذا في الهند.. إيه الحكمة المدلدلة دي يا واد.. شاكيرا!! الله يبارك لك..

هز عُمر رأسه بامتنان: ميرسي.. الله يخلّيك..

في الأفق البعيد لاح حسين.. حسين عبد الهادي.. يعبُر الشارع بصلعته الباهرة التي تآكلت بفعل الزمن.. قصير.. مدكوك الرأس بلا رقبة تقريبًا.. جاحظ العينين.. طويل اللِّسان فيزيائيًا وأدبيًا..

أحمد: جالك الموت يا تارك الصلاة..

نظر عُمر إلى حيث يشير أحمد: يا دي النيلة.. مش هيتغيّر..

سلامات وأحضان.. قرصات شقيّة في كرش عُمر، وضحكات صاخبة وشتيمة أو اثنتان على سبيل التمجيد وذكرى الأيّام الخوالي من صديق دراسة أصبح مُدرّسًا للأحياء في نفس المدرسة التي نشأوا فيها..

أحمد: إصلعّيت يا حُس.. القرعة نوّرت خالص..

حسين: من الجواز والعيال يا حبيبي، بكرة تشوف.

عُمر: إنت خلّفت كمان؟

حسين: معايا سارة كده قدّك.. سنتين ونُص..

أحمد: ومراتك عاملة إيه؟

انقبض وجه حسين: ماتفكّرنيش ورحمة أبوك.. ماتقولش مراتي.. ده كائن حي وحيد الخليّة سكن معايا في البيت زي البلهارسيا.. الإسكارس.. الدودة الشريطية.. ذُبابة الفاكهة.. تصحي الصُبح كده على صوت حاجة فاتحة التلاجة وبتأربع الميّه فشر الخرتيت اللي قاعد معانا

ده " يُشير لعُمر " ، وبعدين ترقع تكريعة ماتجيبهاش إنت بعد أكلة كشري . . مين اللي أنا متجوّزه ده؟! تصدّق بإيه يا أحمد، أنت فيك أنوثة عنها . . أنا إضّحك عليّا . . ده غير بقه الأصوات في الحمّام . . واحد صاحبك وبياكُل تبن يا ريّس . . إيه يا إبني ده! هي دي نسوان؟ . . يوم القيامة هناخود الحور العين ودول هيعذّبوا بيهم الكُفّار . .

أحمد : يا نهار إسود . . طب وإنت عايش إزاي كده . .

حسين : مدرّس الصُبح ودروس خصوصية بعد الضُهر . . ما بروّحش البيت . . لولا سارة كُنت نـدهت عربية الكلاب ينشّوها عيارين . . وبعدين أفتح الدش . . أجارك الله . . أكره اليوم اللي إتولدت فيه . . "نانسي" على "إليسا" على "هيفاء" على "روبي" . . وجبات مُفرحة وعليها هديّة . . أعمل إيه أنا مع طبق القُلقاس البايت في البيت معايا ده؟ أبُصلّها إزّاي؟ زي ما تكون بتشوف الجاتوه في الفاترينة في محل الحلويّات وترجع البيت تلاقي العشاء سلاماندر بالدمعة . . تروسيكل عامل حادثة . . يا إبني ليلة الخميس بقت واجب وطني زي الجيش كده . . عيشة جراية وطبخة سودة وشاويش عطيّة كمان . . بعصُر على نفسي لامونة عشان أعدّي الوقت، وساعات بعمل إن عندي مغص وإسهال عشان أنام . . أيوة يابا هو العُمر بعزأة . . ده غير يا إبني الأجيال النيلة اللي بدرّسلها . . هو القرعة وسعت من شوية ؟ عيال راضعة زبالة، تفكيرهُم لا يتعدّى تفكير خُلد الماء . .

عُمر: كلّمنا عربي ورحمة أمّك.. بلاش مصطلحات الإعدادية دي.. خُلد الماء واليعسوب وأنثى الكركدن.. ما تقرفناش.. إلا صحيح.. أُمّك عاملة إيه؟

حسين: عاملة حلاوة.. يا حمار إفهم.. العيال دي مش عيال.. مش زيي أنا وأنت والبغل الإسترالي ده وإحنا صُغيّرين.. "كان يشير في مقطع البغل لعُمر الذي إبتسم كمن يسمع الثناء في حضرة الخليفة الأموي" إحنا كان آخرنا برنامج سينما الأطفال.. بابا ماجد.. فوازير نيللي.. كويمة وحليمة.. أنا أنا أبريق الشاي.. العيال دي معاها موبايلات وبتخُش على النت من دلوقتي.. ستالايت وقنوات مفتوحة زي البلاعات اللي من غير غطيان.. فتحوها لنا على البحري يا عمّي واللي مش عاجبه يولّع في نفسه..

سكت عُمر دهراً ونطق كُفراً: طب منا بخُش على النت؟؟

حسين: أيوة إنت بقيت شحط.. دول عيال عشرة حداشر سنة فما فوق.. لسانهُم متبرّي منهم.. يعلّموك الأدب.. شُفت البنات وهي بتصرّخ لمّا تامر حسني يطلع ينحنح على المسرح، تحسّ إنه هيرجّع من الرومانسية.. رابط بتاعة على إيدُه ولابس سلسلة جنزير، وقميص أمّك ماتمسحش بيه الشقة.. وقانلّة عليها الرّجُل الإخطبوط.. و..

قاطعه عُمر مُصححاً: الراجل العنكبوت يا تعبان..

حسين: أيوة "بات مان" يعني يا عم الدئيىء.. المُهم.. الواد يشاور كده البنات يله، بنات إيه فايرة مش المقشّات اللي كانوا معانا أيّام المدرسة، البت شيماء كنبة وإيناس أمّو بز واحد اللي كان عُمر بيريّل عليها..

عمر: إحقد إنت.. إحقد.. لعلمك بقه ده كان أكتر حاجة سكس فيها، فريدة من نوعها يا جاااهل..

نظر إليه حسين بإشمئزاز: ما علينا، البنات التانية خمستاشر سنة توقف شارع على رجل، تقوم ماسكة في رجل الواد وتشد البنطلون والواد يغنّى على روحه، والبنات تصرّخ، الواد ده بتمن حفلة واحدة يشترينى أنا والمدرسة بالعيال اللي فيها.. تخيّل إنت لما تدرّس لدول بقه.. ده غير الولاد بقه.. خيرة شباب مصر. العيال مش فاهمة في البطيخ.. سجاير وبانجو وأفلام سكس. أهو شحط أهو بيتفرّج لغاية دلوقت.. صح؟ "في إشارة ثالثة إلى عُمر الذي انتشى بنفسه كشاعر في سوق عكاظ".. العيال دى عملتها في السن اللي إحنا كان أخرنا ترابيزة البنج بونج وبنحلق كابوريا..

عُمر: طبّ ما إنت بتدّى دروس وعلى قلبك قد كده..

حسين: هي عينك دى اللي جايبانى ورا يا يا مُلتصق الفخدين.. ا بدّى دروس.. إيه المُشكلة يعنى.. عايزنى أقبض الربعوميت جنيه من المدرسة ويقطّونى أنا ومراتى والبت ومصاريف طول الشهر والبلاوى المتلتلة اللي بتطلع فجأة وأعرف أعيش؟ طب

إزاى . . ولـو عنـدي كمـان واحـد بقـه زيّـك . . يـا سـلام . . كملت . . هطلُب الأمم المُتّحدة ترمى أكياس إغاثة في الشقّة . .

عُمر : إنَت تطول تبقى عندك ابن شبهي؟

حسين : كُنت وأدته في ساعتها . . يا إبنى الداية اللي ولّدت أمّك جالهـا زُحار أميبي ، والمُمرّضة جالها إيبولا علي الألـب ، وأبـوك مـات عـشان بتاكُـل أكلـه يـا فنطـاس علـى سـطح عمـارة في الزاويـة الحمرا . . عايز حاجة تانى؟ وبعدين أنا المفروض آخُد بدل بعزأة كرامة . . .

عُمر : من زماااان . . إنت ليك حتّى بدل عندى من أيّام المدرسة . .

حسين : إستنّى إنـت يـا حاملـة الطـائرات . . عـارف يـا أحمـد مدرسـة المُشاغبين دى عملت إيه؟

أحمد : مش فاهم . .

حسين : يا إبنى المسرحيّة دى كانت قصّة أجنبيـة . . ماشـى . . إتعملـت فيلم مثّله " سيدنى بواتيه " الراجـل الأسمـر ده . . لقطوهـا هنـا وعملوها مسرحية . . الفيلم كان هادف . . يعنى في الآخر تلاقى نفسك مش عايز تبقى واطى . . عـايز تنـضف وتـتعلّم . . يعنـى المغزى في الآخر نضيف . . هنا يا إبنى العيال أخدت الموضـوع مثل أعلى . . يعنى الواد وصل لمرحلة إنّه بيقلّد الحوار بالظبط . . كُل العيال عايزة تبقى " بهجت الأباصيرى " و " مُرسى الزنـاتى " حريم وشيشة في الفصل . . عشان يبقى فيه حكايـات وذكريـات

قُدّام البنات.. العيال حافظة أسماء فريق الأهلي كُلّهم بالإحتياطى ومش عارفة "تيودور بيلهارس" ده بتاع إيه!!

عُمر: أيوة صحيح بتاع إيه تيودور بيلهارس ده؟

حسين: ده اللي اكتشف البيلهاريسيا عند أمّك يا ابن الوارمة. المسرحية دي بهدلتنا.. خلّت منظر المُدرّس كلوت.. نفسي طالب واحد يحُطّ أبوه مَطرح المُدرّس.. ويتخيّل زمايلُه بيعملوا فيه كده..

عُمر: أعوذ بالله.. يا ساتر يا رب.. مش قادر أتخيّل.. بس إنت كُنت نصيبة برضُه أيام الثانوية!

حسين: ما هي دي المُشكلة.. ما يحسش إلا اللي كبر وفهم وبقى أب.. أنا دلوقت بندم على كُل اللي عملته في أي مُدرس.. اه والله.. حاسس إن ربّنا بيخلّص حقّه فيا.. العيال كمان بقت صعب أوي.. جيل تعبان.. مهما كانت شقاوتي أيّام الثانوي ما كُنتش أقل أدبي على مُدرس.. أغش آه.. أزُوّغ ماشي.. أعاكس بنات أوكيه.. نرمي أستيكة وننزل نجيبها في ساعتين ونتفرّج على كوارع مسيس "شادية".. بعمل ده وأنا مكسوف.. أبويا لو عرف تبقى حكاية.. يعني إنت عارف أنا ما أحبش بنتي تشوفني وأنا بدرّس.. يطلع واد واطى رمّه يرمى كلمة تضحّك عليّا الفصل كُلّه.. آه بطرُده وأشتمه.. بس هاعمل إيه تاني؟؟.. بديّله درس برّه وبيديّني ظرف فيه فلوس.. كاسر عيني ابن الكلب.. اطعم الفم تستحي

العين . . ما إنت عارف . . ما ينفعش حتّى أسقّطه . . أبوه يفتكر
إني بعمل كده عشان عايز فلوس زيادة . . وساعتها مش هشتغل
دروس وأرجع تاني للروبعوميت جنيه . . كلام بيني وبينكم . .
هي إسرائيل . . بيحُطّولنا حاجة في الميه . . بيرشّوا حاجة في
الهوا . . هو الجيل جالُه تخلّف مش من شويّة . . وعلى فكرة
الكيماويّات دي أثّرت على النسوان كمان . . بتبعجر شكلُهُم . .
مراتي بالذات غالبًا شربت الكيماوي كُلّه . . أنا على شقاوتي
دي كُلّها وأنا في الثانوية العامة ومن غير كيماويّات بالنسبة لهُم
كيس جوافة . .

عُمر : مش بقولّك من زمان . . أديك إعترفت . .

اشتبكا معًا في نقار يُشبه نقار الديوك . . طقس من أيّام الدراسة لم ينقطع كلّما تقابلوا . . حُب وعشرة وصداقة لدودة . . ضحكات من القلب وعُيون دامعة من سباق القافيات قبل أن يشرد أحمد في رجُل عجوز يعمل ماسح أحذية ، يمشي على الرصيف المُقابل أمام القهوة . . أكثر من سبعين عامًا يرتدي جلبابًا مُخطّطًا باهتًا . . ضعيفًا هزيلاً يُثقله صُندوق التلميع . . تقوّس ظهره وانحنى ، يكاد رأسه يلامس رُكبتيه . . ضئيل الجسم دقيق الأرجُل الأشبه بعيدان الكبريت . . ينظُر فقط إلى أسفل . . إلى موضع قدميه . . خطوة أو اثنتان ثُمّ يقف للراحة . . تردّد في ذهن أحمد سؤال واحد كأسطوانة المشروخة . . ما يجبر هذا الرجُل على العمل حتّى ذلك العُمر؟؟ انسحب من الجلسة . . لم يشعُر به الديكة المُتشاكسون . .

عبر الشارِع وهو يُكوِّر خمسة جُنيهات في يده: خُد يا بابا.. ناولها للرجُل الذي رفع رأسه في بطء متمتمًا بالشكر والدعاء.. شعر براحة نفسية كبيرة قبل أن يرجِع مُقاطعًا حرب المائة عام التي تنشب بين عُمر وحسين كُل لقاء: طب وبعدين يا حسين؟؟

حسين: كُل سنة وإنت طيّب..

أحمد: يعنى إيه؟

حسين: يعنى الأيّام الجايّة بالمنظر ده وبالجماجِم اللي إتغسلت بكلور وإتبيّضت بالزهرة دي.. ولادنا مش هيبقوا منّا ولا إحنا منهُم.. البلد مش هتبقى هي البلَد يا معلّم.. العيال دي أحلامها غير أحلامنا.. ثُمّ نظر إلى عُمر وتأمّل كرشه الذي بدأ يهتزّ ككيس الرُز بلبن، وفي إشارة رابعة له: غير أحلام آكل العُشب اللي بيجتر مش بيهضم اللي قاعد معانا ده..

ظلّت الحرب العالمية الثالثة تدور رحاها في القهوة حتّى حلّت ساعة العودة إلى الحياة الحقيقية.. انقضت السهرة.. وداع حار ووعد بلقاء قريب.. سبّة أو اثنتان على سبيل المحبّة.. انفض الجمع ورجِع أحمد وعُمر إلى الشقة المُتواضعة، كانت وراءهما سهرة طويلة..

أحمد: بقولك إيه يا عُمر.. تعالى شغّل السكانر.. عندي نيجاتيف عايز أشوفه..

عُمر: دلوقتى؟؟

أحمد: شغل ونام.. عرّفنى بس إزاى..

عُمر: مُتعب.. مُتعب..

قام عُمر يسحب بنطاله الذي تدلّى، عرّف أحمد كيف يعمل الجهاز وهو
يتاءب: معاك ربِّنا يا معلِّم..

استوطن المرتبة كالعادة ولم تمُرّ دقائق حتّى جلجل المكان بسيمفونية
بيتهوفن المفقودة..

استغرق أحمد عشر دقائق ليألف الصخب الصادر من عُمر، قبل أن يفتح
الدُرج الثاني ويخرج علبة فيلم مكتوبًا عليها "جلال".. وضع النيجاتيف
وبدأت الصور تظهر..

......



في ذلك الوقت، كانت غادة تستعدّ للنوم في غُرفتها المُشتركة مع أختها.. سريران وكومودينو عليه صورة لأب يحتضن طفلتين صغيرتين في حديقة مجهولة.. كانت غادة وحدها في الغُرفة، فميّادة لا تُودِّع التليفزيون قبل الرابعة صباحًا، في حين تصحو الأخرى في الثامنة إلا الرُبع صباحًا لتذهب إلى الجاليري.. مدّت يدها خلف أذنها، وخلعت السمّاعة، ووضعتها بجانبها.. ذلك السكون الحميم الذي تعوّدت عليه مُنذ أبصرت الحياة.. تشعُر فيه بالهدوء النفسي وكأنّها في بيتها.. لم تكُن تُحبّ الضوضاء وصخب الحياة وإيقاعها السريع.. عندما تتوتّر أو تُصادف ما يقلق راحتها كانت يدها تتّجه إلى السمّاعة فتخلعها ليعود إليها السكون مرّة أخرى.. ذلك الصديق الودود..

مدّت يدها إلى الحقيبة وأخرجت الجواب منكوش الخط.. فتحته وأخذت تقرأه للمرّة الثامنة ربُّما أو التاسعة، كانت فكرة الجواب رغم عتق استخدامها كرسالة حُب، قد تركت أثرًا لذيذًا في نفس غادة..

مادة فوّارة بين رئتيها تدغدغها كُلّما تذكّرت أنّها تلقّت ذلك العرض.. حتى لو لم تقبله.. كان غامضًا رغم صراحته فهي لا تعرفه.. كان تحليل صديقتها عبير أنه شاب خجول رغم خفّة دم الخطاب وحمّستها للقائه على أية حال..

تتشبّث بملامحه التي تتلاشى وتفر فرًّا من ذاكرتها، مُحاولةً ألا تُضيّعه كما يضيع وجه سائق التاكسي..

كان أحمد كمال مُباغتًا.. لم يترُك لها فُرصة التأمُّل للرفض أو القبول.

أتمّت قراءة الجواب.. لم تدر ما تفعل.. قامت وصلّت ركعتين لله دعت بالمشورة والاستعانة..

طوت الجواب ووضعته في حقيبتها.. أطفأت الأباجورة واستلقت تتأمّل السقف، لا تسمع سوى صوت الصمت حتّى غلبها النوم..

في شقّة أحمد كان الوضع مُختلفًا.. إعصار من اليقظة أخذ يدور بلا هوادة في نفسه.. مرّت ساعتان وهو يحفظ الصورة تلو الأخرى.. قام بمسح جزءًا كبير من البيانات على القرص الصلب ليتيح مساحة للصور التي قرر أن يحفظها بجودة عالية، حتّى أنه مسح بعض "السيكوسيكو" الذي يحتل أكثر من ٧٥٪ من المساحة في جهاز عُمر.. كان يعرف أنه سيقضي عليه لا محالة، ولكن الصور كانت تستحوذ على كُل اهتمامه.. لم يَعُد يسمع الحفّار "نفرتيتي ٣" الذي يرقُد على المرتبة خلفه باعثًا سحابة من الرطوبة في سماء الغُرفة، تلاشت الأصوات وساد الصمت في عقل أحمد..

تسجيل كامل لزيارات مُتعدّدة لجلال مُرسي في الكازينو ونفس اللازمة.. فتيات صغيرات السن لم يتعدَّين العشرينيات.. لا تكاد الفتاة تتكرّر معه مرتين.. مكياج صارخ.. وجوه وأجسام نضجت قبل أوانها، يحتضنهُنّ أو بالأحرى يعتصرهُنّ، وفي عينيه نظرة ظفر من حرّر أورشليم، فتاة أو فتاتان أصبحتا في الوسط الفني، منهُنّ "قمر" التي رآها معه.. بدت

صغيرة في الصور قبل أن تنضُج ثمراتها. . تربّت على يده وباتت عند حُسن ظنه. . عدد لا بأس به من الصور بدا فيها صغيرًا عن سنّه الآن. .

كان يُحب الصور إذن؟ حتّى دخلت حياته في دائرة الضوء. . لم يعُد يريد أن يرى أحدًا كواليسه وينبش ماضيه الشائن، فامتنع عن التصوير وإن ظل يُكافئ جودة كُلّما رآه على سبيل التعويض، ومن باب سد الفم تستحي العين عمّا رأت وسجّلت. .

صنع أحمد ملفًا وسمّاه "جلال" . . رتّب فيه الصور بعناية الُمنمّق. . أخرج علبة مكتوبًا عليها "سالي" . .

فتح ملفًا باسمها وبدأ يجمع صورها. . صورًا كثيرة لها وهي ترقُص. . بدل رقص ساخنة. . عدد لا بأس به من الصور مع مُعجبين سكارى مجهولين وبعض رجال أعمال معروفين وأثرياء عرب يُكلّلون مجهوداتها الرائدة في مجال التنمية بعناقيد المئات. . بعض الصور الغريبة لها مع "كريم أبص" . . بدت مُختلسة. . بدون فلاش. . يتبادلان بعض النقود، يتشاجران بعنف. . وأخيرًا صور لها مع "هشام فتحي" . . بدا بعافيته يُحيط وسطها بيديه ماسكًا سيجارًا. .

أغلق أحمد ملفّ "سالي"، وفتح آخر باسم "كريم أبّص" . . ملفه بدا مشبوهًا. . كلّه صفقات مُصوّرة مع مؤجري حق الانتفاع بسالي أو غيرها. . فأحمد يعرف أنه يُدير شبكته الخاصة. . شبكة لا تعرف رسالة "هذا الرقم غير مُتاح حاليًا"، ثلاثة ملفّات شديدة الشبه في المضمون لفتحي العسّال وهشام فتحي وحبيب أمين ذلك المسمار المكسور رأسه في قلب

أحمد.. يُمثِّلون خيلاء الذكور في قلب الحرملك.. تنافُس على الوجوه والأجسام نفسها وصُحبة أساسيّة لسالي..

قضى أحمد ليلته يُجمّع ويُصنّف غنيمته.. صنع رُكنًا خاصًا للساسة وأعضاء مجلس الشعب.. وجد فيهم صورتين لمستشار سياسي شهير مع نجمة سينمائيّة كبيرة.. كانا أليفان أزيد من اللازم..

غنيمة ثمينة لم يتخيّل أن يتملّكها في يوم من الأيّام.. وأخيرًا صنع ملفًا سمّاه "X".. وضع فيه كُل الوجوه التي لا يعرفها، أو يعرفها، ولكن لا يعرف لها اسمًا.. مع الوقت، أدرك حقيقة واحدة.. تأكّدت له مع الصورة تلو الأخرى.. أن جودة كان بداخله الكثير.. الكثير الذي لم يُفصح عنه، اكتفي بستار من الحكايات الخُرافية يصنع فيها ما لم يجرؤ على تنفيذه في الواقع.. لم يكُن أعمى كما ادعى.. كان يرى حقيقة ما حوله.. كان بصيرًا، ولكن هُناك ما حمله على السكوت.. على الاستسلام.. ليس أكل العيش ما جعله شاهدًا أخرس.. كان هُناك سبب.. سبب يجعل هذا الرجُل يُسجِّل ويحتفظ بالصور.. كعامل المشرحة الذي لا يجرؤ على التصرُّف في عُهدته من الجُثث، إلا أنه لا يمنع نفسه من التلصّص عليها.. كشف سترها وعورتها أحيانًا.. أخذت الأفكار تتضارب في رأسه ككُرة الإسكواش حتّى أذّن الأذان.. قام ليتوضّأ وصلّى الفجر..

ثُمّ رجع إلى الكمبيوتر وهم بغلقه لينام بعض الوقت قبل الذهاب للعمل عندما نادته تلك العلبة المدسوسة بين الأفلام.. الوحيدة الملفوفة في ورق أبيض.. مكتوب عليها.. "الفرح"..

فض أحمد الورقة . . كان مكتوبًا عليها من الداخل " شيراتون الجزيرة/ ٢١_٤_٢٠٠٥ " . .

بدا فيلم فرح عاديًا عندما رفعه أمام شاشة الكمبيوتر . . على ضوئها ميز ، ة يتوسّطها عريس وعروسة . . صور لمجموعات من المعازيم . . لا شيء ،وق المعتاد . . عكس الأفلام النيجاتيف كُلّها ، بدا الفيلم دخيلاً على ـتويات الدُرج . . إلا أن شيئًا داخليًا حمله على لف الفيلم المجزأ إلى ـريحتين ، ووضع الأولى في السكانر " الماسح الضوئي " . . أخذت الصور ـلهر الواحدة تلو الأخرى . . زفّة . . أب يُمسك بيد ابنته ينزلان سلّمًا . . ـسلّمها لعريسها . . نساء يزغردن . . تلك الفتاة البدينة قريبة العروسة التي ، قص رقصة " سالومي " أمام " هيرودس " طلبًا للعريس . . عجائز سعداء ، كأسان طويلتان من الشربات نُخب الزفاف . . دبل ذهبية تنتقل من اليد اليمنى إلى اليد اليُسرى . . ثُمّ ظهر فجأة " محمد فؤاد " لتزدحم الصور أكثر ، تمتلئ بالأيدي المُصفِّقة . . انتهت الشريحة الأولى . . لم يكُن هُناك ما كان ـوحي بالغرابة في تلك الصور

التي فرزها أحمد بعناية باحثًا عن ما يريب . . سحب الشريحة الثانية ، وضعها في السكانر وبدأت الصور تظهر . . اختفى " محمد فؤاد " من الصور وحلّت محلّه راقصة مغمورة عامرة الجسد . . دقّق أحمد في وجهها الذي بدا في النهاية تقليديًا تكاد تكون معه موظّفة حكومية . . العروسان ـقطّعان تورتة عشرة أدوار ثم صور لهما يتفقّدان البوفيه تبعتهما ستة صُور ـظلمة تزداد الإضاءة فيهم تدريجيًا من الأولى إلى السادسة ، ليظهر شبح مبنى ـضيء على النيل . . شبح فُندُق جراند حياة . .

انحبست أنفاس أحمد دقيقة. . مُدة متابعته للماسحة الضوئية التي بدت بطيئة كالسُلحفاة إذا مشت فوق الجليد. . اقتربت عدسة الكاميرا الزووم الطويلة من بار الدور الأربعين. .

بار ڤيرتيجو. .

سبع عشرة لقطة شلّت تفكيره تمامًا. . ألجمت عقله. . قضت على ما تبقّى من اتزان. . تبلّل جبينه واقشعرّ جلده وجزّ أسنانه. . لم يكُن جوده يكذب. . لم يكذب في هذه الرواية بالذات. . جاءت في وسط حكاياته الخيالية التي بهتت عليها فصبغتها بلونها. . كحكاية الصبي الكاذب الذي أخذ يستغيث من الذئاب ليسخر ممّن يُحاولون إنقاذه كُل مرّة، حتّى هاجمته الذّئاب حقًا فاستغاث. . ولم يُصدّقه أحد. . كانت الصور تسجيلا للحظات الأخيرة في حادث البار. . مذبحة ڤيرتيجو. . جُزء من رأس أحمد يظهر من أعلى السور وهو يُصوّر المذبحة من وراء الزُجاج. . هشام فتحي وهو يُصوّب إلى الفراغ. . يسقُط. . شبح وقف في الظلام لا يظهر وجهه موجّهًا ظهره للحائط. . مُهاجم يقترب من مُحيي ذنّون. . يُصيبه. . ينحني فوقه. . صورتان خاليتان ثُمّ صورة لُمهاجمين يتحرّكون ناحية باب الخروج. .

إذا كانت الدُنيا مسرحًا. . فأين يجلس المُتفرّجون؟

أغلق أحمد عينيه ودفن وجهه بين يديه. . لا يعرف كم من الوقت قضى على ذلك الوضع. . أخذ شريط سينمائي كامل يدور أمامه. . كُل تفصيلة كأنّها تَحدُث الآن. . تذكّرها كحفر على نحاس أُزيلت من فوقه طبقات التُراب. . لمعت عيناه قليلاً. . ضحك وكتم ضحكته حتّى لا يصحو

صديقه.. أخذ يُقلِّب الصور أمامه كالمجنون.. فتحها على برنامج الفوتوشوب.. أخذ يُعالج الإضاءة.. يُقرِّب الوجوه التي فقد أثرها من أمل.. وجه القاتل.. ذلك الوجه الذي كان يظهر في خياله كالطيف أصبح أمامه الآن.. صنع له صورة مُقرّبة وحده.. كان يبدو مفتول الجسم، لكن ملامح الوجه لم تكُن واضحة.. كان التصوير عكس الضوء.. يا المحظ.. لو رسم ذلك المحظوظ خطّة لكي لا يظهر أثناء تنفيذه لجريمته لفشل، ولكن القدر خدمه.. قرّب صورة أخرى يظهر فيها الشبح المُلتصق بالحائط الخارجي.. شبحه.. أخذ يتأمّل.. أضاف بعض الإضاءة للصورة.. لا أمل فالوجه كان من لون واحد.. أسود.. قلّب بعض الصور للحظات حتى شعر بتلك السخونة خلف رقبته: هات الصورة اللي قبلها كده..

التفت أحمد في ذُعر ليجد عينين مُعمّصتين وفمًا على جوانبه الزبد..

كانت أنفاس عُمر: إنت صاحي من إمتى؟

عُمر: من صورتين فاتوا.. إيه الصور دي؟

لم يُجبه أحمد.. فسأله عُمر: ماتقولّيش!! حادثة حُسام؟؟

أحمد: هي.

عُمر: يا نهار اسود.. إزّاي؟؟

استغرق أحمد أكثر من ساعتين ونصف الساعة ليستوعب "عمر" تفاصيل كثيرة لم يكُن يعرفها عن حادث الفندق و"حسام" وتركة "جودة" من النيجاتيف.. حكي له بصور "جودة" وصوره عن "جلال وسالي وحبيب وفتحي العسّال".. عندما انتهى أحمد من حكاياته التي بدت كفيلم

عربي مقاولات، ظل عُمر فاتحًا عينيه بذهول من اغتصبها عشرة أشخاص على غفلة وهربوا . .

عُمر : طيب . . سؤال واحد . . لأ سؤالين . . جودة ليه سكت كُل المُدة دي؟ ليه ما إتكلِّمش؟ الصور دي كان مُمكن يقلب بيها الدُنيا . التحقيق كان هياخُد طريق تاني . . وبعدين ليه مصوّر كُل الناس دي؟ كان عايز يستغلها؟ ماحصلش . . مش فاهم . . الراجل ده الاحتمال الأول إنه يكون غبي جداً، والاحتمال التاني إنه يكون برضه غبي جداً . . مفيش غير الاحتمال التالت . . إن الراجل ده حاجة حصلت له خاف بسببها يتكلِّم . . طب لمّا هو خايف احتفظ بالصور ليبيه أصلاً؟؟ أنا مخي وقف . .

سكت أحمد لحظات استثقلها عُمر قبل أن يُجيب : أنا فاهم . . شوف يا عُمر . . جودة كان من الناس دي بشكل ما . . شايف بلاويهُم وساكت . . بياكُل من إيديهم . . زي ما هُمّا كمان بياكلوا . . من نفس الطبق . . يعني مثلاً واحد زي "جلال مُرسي" بطّل يتصوّر لمّا اسمه إتعرف وبقاله صوت . . غاوي بنات تحت العشرين . . كان بيحب يجمّع صورهم . بيتصوّر مع كُل واحدة، زي دكتور الأسنان اللي إتقفش بيصوّر نفسه وهو نايم مع النسوان اللي سنانها بتوجعها . . مش كويِّس إن حد يشوفه وهو كده بعد ما بقى اسم . . بس كُل زيارة كان لازم يراضي "جودة" . . "جودة" اللي شهد كُل أيّامه اللي فاتت . . وطبع له كُل الصّور كمان . حاجة كمان . . "جودة" مصوّر بنات كتير في أفلام "كريم أبّص" . . القُرنى بتاع "سالي" . .

كُل الناس عارفة "أبّص" بيصوّر البنات دول ليه.. "جودة" كمان كان عارف.. الصور دي بتتوزّع على الزباين زي الكتالوج عشان يختاروا البنت اللي هتقضّي الليلة معاهم.. تسويق وبيزنس.. بلاش.. "فتحي المسّال" كان بيجي مع واحدة مرافقها.. حفلة وهديّة وفلوس بترمى قد عنده وبعدين على شقّته التانية.. الأسبوع اللي بعده بيجي مع مراته.. جودة مايسلّمش الصور بتاعت الإسبوع اللي قبله.. يستنّى كمان إسبوع وبعدين يحاسبه.. كان فيه إتفاق.. صور "سالي" مع كُل الناس دي.. صور "هشام فتحي وحبيب".. الخ.. بس فيه حاجة مُشتركة في كُل الصور دي..

عُمر: إيه؟؟

أحمد: إن الناس دي كُلّها كانت بتدفع بزيادة..

عُمر: "جودة" ده كان باين عليه يطلّع الجنيه من الكابينيه..

رمقه أحمد بنظرة اشمئزاز من هذا المثل الفوّاح: لأ.. هُمّا اللي كانوا بيتعمّدوا يدفعوا بزيادة.. عشان عارفين إن الراجل ده لازم يتراضى عشان شايف وساكت.. عشان يفضل شاهد أخرس.. لسان مقطوع.. هو كمان لمّا بيقبض من الناس دي صعب عليه يبيعهم.. مهما شافهُم بيعملوا أي حاجة.. بقه فيه عشرة.. عيش وملح..

عُمر: طب تفسّر بإيه إنه شايل الصور دي؟؟

أحمد: يمكن عشان يفضل معاه ورقة ضغط في أي وقت، أو يمكن حد يطلب صوره القديمة..

ثُمّ سكت قليلاً قبل أن يُضيف: ويمكن يكون حاسس بالفساد اللي جوه الناس دي.. صورها وكان ناوى يعمل حاجة بس الوقت ما أسعفهوش.. يمكن.. مفيش حد يقدر يعرف دلوقت..

عُمر: طيب وموضوع الحادثة ده..

أ[illegible] [illegible]دة حكى لي الموضوع ده قبل كده.. ماصدّقتوش.. في وسط [illegible]ناوى اللي كان بيقولها كان لازم أحس إن دى كمان كدبة.. كان في فرح بالصُدفة واقف على النيل ومعاه الكاميرا.. لمح حركة.. صوّر وكمّل الفرح.. تخيّل إني أكون لازق في الإزاز وما أصوّرش حاجة وهو من فُندُق تانى يجيب صور!!

عُمر: دى عدسة إيه دي؟

أحمد: ٥٠٠ زووم.. شُفتها مرّة عنده.. المُهم إن مالهاش لزمة في الفرح.. بس هو كان غاوى منظرة.. كان متأثر أوى بنور الشريف في فيلم "ضربة شمس".. الآر- بي- جيه(*) اللي كان شايله طول الفيلم ده.

عُمر: وتجيب كُل ده؟؟

أحمد: تجيب.. بقولك إيه إنت أحسن منّى في الفوتوشوب تعالى أقعد مكاني..

استلم عُمر الدفّة.. فتح الصور.. أخذا يتأمّلان الصور أكثر من ساعة.. حاول عُمر تنقيحها.. وضع مرشحات لإزالة الشوائب من الخدوش التي تكوّنت على النيجاتيف من أثر الاحتكاك.. ضبط مستوى

(*) سلاح مضاد للدبابات يحمل على الأكتاف..

إضاءة الصورة وتبايُنها حتّى بدأت معالمها تنكشف. . إستنّى. . فيه حاجة. . قالها عُمر وهو يُقرِّب مقطعًا من الصورة في خلفية المكان. . عزله وحده. . فتّحه وكبّره قدر حجم الشاشة. .

كان ما ظهر مفاجئا بكُل التوقُّعات. . لم يكُن القاتل محظوظًا بالقدر الكافي. . كانت صورته معكوسة على حائط في الخلفيّة عليه زُجاج قاتم يُظهر وجهه من الناحية التي يضربه منها الضوء. . الجانب الذي لم يره سوى من قُتل في تلك الليلة. .

رقص قلب أحمد وكاد عُمر يُزغرد فخرًا باكتشافه. .

قال أحمد بعد أن كاد يجلس على حِجر عُمر: تِعرف توضّح الصورة دي؟

عُمر: أوضّح لك أبوها. .

استغرق الأمر من عُمر نصف الساعة وهو يُحاول توضيح الوجه. . ضربات لا تنتهي على رأس الفأرة المسكينة. . فلاتر مُنقِّحة لإزالة التشويش. . تفتيح وضبط تبايُنات حتّى أخذت المعالم تتّضح نسبيًا. . صورة شبه جيدة لانعكاس القاتل في المرآة. . ملأ عُمر الشاشة بوجهه ورجع بكرسيه إلى الوراء في حين جلس أحمد على المرتبة يتأمّل الوجه من بعيد: يا ترى كان يتخيّل إن فيه حد هيصوّره؟

حد زى جودة. . صُدفة ما تحصلش. .

رد عُمر بسؤال سخيف كان يطرُق باب أحمد: هتعمل إيه؟؟

أحمد: قصدك هنعمل إيه؟

التفت له عُمر: يعنى إيه؟

أحمد : يعني من دلوقت إنت بقيت شريكي . . أنا مش عايز منك حاجة . . ساعدني بس في الفوتوشوب وسيب عليّا الباقي مش إنت اللي صحيت ودلدلت دماغك في اللي أنا بعمله؟؟

كان عُمر ينتظر سماع ذلك الجواب . . ذلك التكليف : بقى كده؟؟

أحمد : غصب عنك يا ناقص . . فيه مُشكلة . .

عُمر : مفيش يا معلّم . .

أحمد : حاجة كمان . . لو فيه أي حاجة طلعت من اللي حصل النهاردة، أنا وأنت والحاجّة اللي إنت سايبها بتاكُل زبادي في البيت دي مع السلامة ، والحاجّة بالذات هيشغّلوها في كازينو . . ماشي

عُمر : عيب عليك . .

أحمد : كُل مرّة بتقول عيب عليك وتفتن يلله . . المرّة دي مفيش تهريج . . فيها رقبتي يا عُمر . .

عُمر : أبيعك من أول قلم يا حمادة . .

أحمد : أصيل يا أبو شادية . . ثُمّ قام وقفز فوقه يُدغدغه وينغُز كرشه الثربة . . ضحكات وقفشات وسباب حتّى هُدّ حيلهم . .

خارت قواهم فاستلقى عُمر على المرتبة وأشعل أحمد سيجارة وهو يجلس في المساحة التي تركها له عُمر ، يضُمّ ساقيه أمامه ناظرًا إلى الشاشة من خلال الدُخّان في الوجه الذي ملأها . . وجه خانه الحظ . .

. . . .

مرّت ساعات النهار كأنّها حلم . . قضاها أحمد كالسكران . . عيناه
شاردتين تنظُران إلى الفراغ، يُصوّر الأطفال والبنات والزفاف ولا يكاد
يذكّر وجه أحداً . . شعوراً مختلطًا يجمع ما بين الدهشة والحُزن والفرح
معا . . كان ما حدث في الليلة الماضية كثيراً بكُل المقاييس . . أخذت فكرة
واحدة مُلّحة تُسيطر عليه سيطرة النداهة على عليوة الفلاح بجانب
الترعة . .

عُمر : يعنى هتعمل إيه . .

كان عُمر قد انخرط في دكّ الفحم ورصّه فوق حجر الشيشة في قهوة ليالينا
التي تعوّدا على المرور بها بشكل شبه يومي بعد انتهاء العمل في
الأستوديو . . ووجه ذلك السؤال إلى أحمد : لازم أعمل حاجة . . ربّنا بعت
لي الصور دى لهدف . . أنا مش عارفه بس حاسس بيه . . مش هكون
مودة التانى . . مش هاسكُت . . و إلا يبقى ما استحقّش إن الصور دى تبقى
معايا . .

عُمر : ماشى . . هنعمل إيه برضُه؟؟

لم يكُن أحمد يعرف جوابًا لتلك المُشكلة . . شرد قليلاً في الشارع عندما
وقف أمامه رجُل قصير أحول يبدو "مريخي" وقال له :
أ..اراهراجمهوريوفداخرساع . . نبأدستورحُرية . . حُوريتينُصالدنيا . .
م..وتلأمصريليووو . .

لم يكُن "مريخي" . . كان بائع جرائد . .
كان الإنترنت قد أغنى عُمر عن قراءة الجرائد مُنذ زمن : شُكرًا يابا . .
في حين أمسك أحمد بيد الرجُل الذي همّ أن يرحل : إستنّى يا ريّس هات كُل اللي عندك . .
عُمر : إيه يا عم الدودة . . هتشترى كُلّه؟؟؟
أحمد : إستنّى إنت . . ثُمّ أخرج محفظته وسأل الرجُل : كام يا ريّس
أجاب الرجُل وهو ينظُر في اتجاه آخر تمامًا : تسعة ونُص يا باشا . . حاسب أحمد ورحل الرجُل . . أمسك بالجرائد ووضعها تحت باطه وقام : يلله حاسب وقوم . .
استنكر عُمر : الحجر لسه يا إبنى!!
أحمد : يا دغف ده خامس حجر النهارده ، كفاية عليك كده . . قوم حاسب . .
قام عُمر رغمًا عنّه ينفُخ ويتوعّد بصب اللعنات على أحمد لقطع متعته الوحيدة في أكل أحجار المعسِّل . . اتجه بعدها أحمد إلى شقته ووعده عمر بالمرور عليه بعد أن يشترى والزبادي لأمه . .
دخل أحمد . . خلع جزمته واستلقى فاتحًا الجرائد أمامه في دائرة . .
لم يدر كم من الوقت استمر في تلك الجلسة حتّى زحفت جيوش النمل في شرايين أقدامه . . قام ليُحركها ويهزّها علّها تتراجع أو تستسلم . . أشعل سيجارة وبدأت خيوط كخيوط العنكبوت تُنسج بداخل رأسه . . تتركّز وتتكاثف في بُطء . . لم يسمع باب الشقة وهو ينفتح وإذا بعُمر يُفزعه بتجشؤ عال وهو يقف بباب الغُرفة . .

أحمد : الله يقرفك . .

عمر : إيه اللي إنت بتعمله ده يا نيلة؟

أحمد : تعالى . . جذبه أحمد وأجلسه على المرتبة بعد أن أمسك بإحدى الجرائد القومية . . بُص العنوان ده . . قرأ "عمر" العنوان في سرّه . . لم يبد عليه الفهم : إيه يعني فيه إيه؟؟

كان العنوان يقول : " إبراهيم راشد يتقدّم بطلب في مجلس الشعب الموافقة على قانون التأمين الصحي الجديد . . . " جلسات مكثّفة في المجلس لدراسة القانون قبل طرحهُ في الجلسة المُقبلة . . وصورة لرجُل يُشير وهو مُنفعل في وضع تصويري وأمامه مايكروفون رفيع . .

أحمد : الجرنال ده من إسبوعين . . جبته عشان أفُك فلوس للناس اللي طلّعت معايا الحاجة في الشقة . .

عُمر : يا فرحة أمّك بيك . . إنت عبيط يا إبني . .

أحمد : إستنّى . . بُص . . ورفع له جرنال الحُريّة : اقرأ . .

كان العنوان يقول " قانون التأمين الصحي أم التأميم الصحي؟ " " القانون الجديد تُطيح بنوده بمحدودي الدخل " " لا نتوقّع من الحكومة مُراعاة للفقير " بقلم جلال مُرسى . .

عُمر : عادى . . راجل واطي وبيهبش في الكُل . .

أحمد : صح . . جُرنال الحرية ده طلع أوّل إمبارح عشان إسبوعى ماشي؟ . . بُص بقه . . ده جُرنال بُكرة طبعة أولى . . فتح له جريدة قومية : اقرأ . .

" وبفضل توجيهات سيادته، تم تعديل مشروع قانون التأمين الصحي الجديد ليُناسب محدودي الدخل.. إيمانًا منه بحقوق المواطنة.. وقد تفضل سيادته و... "

أحمد: فهمت حاجة؟

عُمر: طَبَعًا.. لأ.. من إمتى يله إنت بتهتَم بالتأمين الصحي؟

أحمد: يا كلب البحر أنا مش مُهتم بالتأمين الصحي.. شايف الراجل ده؟ وأشار له على عضو مجلس الشعب الذي يتكلّم بحُرقة أمام المايكروفون في الصورة..

عُمر: مين ده؟

أحمد: ده الراجل اللي حكيتلك إنه وصّل جلال مُرسي مرّة لغاية الكازينو.. اسمه إبراهيم راشد..

الراجل ده طرح موضوع التأمين الصحي في المجلس.. جلال مُرسي بعد كده يشرّده في الجرنال بتاعه! ليه؟؟ اللي شُفته غير كده.. الراجل كان باين عليه صاحبه أوي.. ضحك معاه ووصّله.. يعني فيه اتفاق وانسجام.. فيه صداقة.. وبعدين يشد السلخ عليه في الجُرنال.. مش غريبة دي؟؟ الأغرب إن الحكومة بعد كده تعدّل وتظبّط القانون ويتنفذ ويرجَع الفضل المرّة دي ليهُم.. بس زي الحُرّية ما قالت..

لم يبد عُمر مُقتنعًا فعاجله أحمد: طيب بُص فيه حاجة كمان.. فتح له جريدة الحُرّية مرّة أخرى.. عنوان يقول: " الأغذية الفاسدة وعودة لحقبة الثمانينيات " " شركات تؤكّلنا السم في العسل " " تحقيق واسع يُشير إلى تورُّط شركة " نوتريمينتال " للأغذية في توريدات مُنتهية الصلاحية بمعرفة " عبد الرحيم العسّال "

الموضوع يخوّف مش كده؟؟ بُص هنا بقه.. وفتح آخر صفحة في الجريدة.. كان هُناك إعلان كبير بطول الصفحة في الخلف عن مجموعة العسّال" وصور لجميع مُنتجات شركاته..

عُمر: مافهمتش دي..

أحمد: فتحي العسّال ده غول.. بيشتغل في كُل حاجة وبيورّد أي حاجة.. مسنود من "عبد الرحيم العسّال".. الوزير عارفه طبعًا.. أيًا كان، حتّى لو مش قريبه.. الراجل ده قُريّب أوي من فوق.. المُشكلة مش في كده.. المُشكلة إن السوق كُلّها فيه شركتين بس.. "العسّال" و"نوتريمينتال".. هُمّا اللي مُسيطرين على الأغذية كُلّها، يعني دي حملة تخلّي السوق كُلُّه مع العسّال.. وارد تكون "نوتريمينتال" دي شركة وسخة طبعًا بس منين "جلال" يخبّط في الوزير "عبد الرحيم العسّال" ويتّهمه بالتدليس، وفي نفس الوقت عامل إعلان لفتحي العسّال قريبه في نفس العدد صفحة كاملة.. منين الصداقة دي وبعدها يخبط في ضهره اللي بيسنده..

عُمر: غريبة دي طبعًا!!

أحمد: مش غريبة ولا حاجة.. دي سياسة.. عارف الصيّادين بيعملوا إيه عشان السمك يدخُل الشبك برجليه.. أقصُد بزعانفه.. يعملوا دايرة ويخبطوا الميّه بعُصيان طويلة يخلّوه يتفزع ويهرب.. مايلاقيش غير ناحية الشبكة هيّ اللي مفتوحة.. يجري وهو متهيأ له إنُّه بقى حُر.. أتاريه رايح للموت برجليه.. وخُد من

ده كتير . . جرايد كتير عايمة على نفس العوم وشوية جرا
بسيطة هي اللي تاخد منها حاجة . .

عُمر : يعنى الراجل ده مع مين في الآخر؟

أحمد : الراجل ده مُنافق يا عُمر . . بيكتب بالعكس . . بيخبط عند
السمك يخش الشبكة . .

شغّال مع الكسبان . . مع الموجة اللي ماشية . . فيه ناس كتير أو
تخدمها الفضيحة وتكبر إسمها . . كمان الهجوم الجامد على الكُبار يخلي
تصدّق أي حاجة على أي حد تانى . . لو جنب التخبيط في كام رجُل أعما
على كام واحد بتاع سياسة نزّل خبر بيقول إن أمّك بتشتغل في توظيف
الأموال أنت نفسك هتصدّقهم . . فيه ناس الهجوم عليهم مكس
ليهم . . ولازم يبقى فيه تنفيس . .

عُمر : تنفيس إزّاى يعنى؟؟

أحمد : يعنى حد يهاجم بالنيابة عن الناس اللي مش فاضية . . النا
اللي أكل العيش هو اللي بياكُلها . . الناس اللي بتجرى طو
اليوم عشان القوت وبس يا عُمر . . زيي وزيّك كده . . مفي
أحلام ولا طموحات ، يدوبك يحُط دماغه على المخدّة عشا
يصحى تانى يوم يشتغل زى الحُمار في الساقية . . بس ما يمنع
يقرأ الجرنال بالليل ، يسمعله كلمتين حلوين يطرّوا قلبه شوية
حبة شتيمة في كام وزير على كام مسئول وشوية أخبار مُمتل
على كام صورة بت سلبوتة وحادثتين دعارة بالتفصيل المُمّل
تبقى كده الوجبة كملت ومعاها عيش وسلطة طحينة كمان

حد يزعّق عشانه ويهلّل أكنّه بيجيب حقّه . . حد يريّحه . . يدّيله حُقنة البنج عشان همومه تعدّى وفي نفس الوقت شوية ديمقراطية على حقوق إنسان على مّعارضة مُستقلّة في بلد حُرّة وشعب حُر . . لازم البني آدم يهدا برضُه . . يحس بأمل في بُكرة . . يحس إن فيه تغيير . . طب إنت عارف نُص الناس إن ماكانش تلات ترباعهم عايزين التغيير عشان يكسروا الملل . . يغيّروا الوشوش . . يشوفوا سحنة جديدة . . لو جيت قُلت لحد فيهُم قضيتك إيه؟ مش هيلاقي حاجة يقولها . . الجرايد فكّرت له وزعّقت بالنيابة عنه وصرخت في اللي كابس على نفسه . . شربّته سيجارة معمّرة وأكله تقيلة يشخّر بعدها طول الليل . . يشخّر للسنة اللي جاية كمان . .

عُمر : الكلام ده إنت من إمتى بتفكّر فيه؟ إنت بتقوله أكنّك حافظه . .

أحمد : الشُغل في مكان زي اللي أنا كُنت شغّال فيه ده يعلّم اللي ما يتعلّمش . . على رأي "جودة" الله يرحمه إحنا بنشتغل في دورة ميّة . . تخيّل إنت بتصوّر واحد وهو في الحمّام . . بنشوف المُجتمع عريان بلبوص . . مش مكسوف لأن فيه حيطة بتداريه، وناس قبل الحيطة بتاكُل عيش وطالما دخل المّم في الموضوع؛ كُل سنة وإنت طيب . . إعمل اللي إنت عايزه وزيادة . . وبعدين أنا برضُه مفيش عندي مسئولية ولا عيال ولا بيت . . فيه وقت أفكّر . . غير اللي متجوّز . . بيبقى مش شايف قُصاده . .

عُمر : أنا مش فاهم دماغك رايحة فين . . ناوي تعمل إيه بالظبط؟

أحمد : بُص يا عُمـر . . "جـلال" ده كـان ملجـئ الوحيـد بعـد حكايـه "حُسام" . . لّما شُفت صُورُه وهو بيفرُك في البنات مش عارف إيه اللي حصل . . يمكن إتكسرت صورته اللي في خيالي . كُنت فاكر إن فيه ناس مُحترمة . . طب والله الراجل ده أنا كُنت مُتخيِّله مثلى الأعلى . . سكوته وموضوع الصور اللي نسبها لنفسه ساعد في تضييع حقيقة حادثة البار ، وأمّه بقت عضم في قُفّة من بعدُه ، ده غير البت "كريستينا" اللي إتجوِّزت بعد إسبوعين من موتُه . . كُل ده ليه؟؟ تجيلُه صورة من عندي وكاتب لُه جواب بشرح فيه اللي حصل ، يقوم ينشُرها ويألّف قصّة وينسبها لنفسُه كمان!! ويودّي التحقيق في اتجاه تاني . . ده غير التعتيم اللي حاصل أصلاً ، كمان الحكومة مش هتستنّى الدليل ييجي من جرنال أصفر . . يبقى هُمّا كده ما بيشتغلوش صح . . راجل واطي إبن جزمة . . لازم يدوق السم اللي طبخه . .

لا يدري لماذا ظهرت صورة الرجُل ذي الخاتم أمامه كومضة الفلاش عندما تذكّر الورقة التي أرسلها لجلال بالعبارة نفسها . . تذكّر ذلك الضرس المسوّس ذو العصب المكشوف الذي يصعقه إذا لمسه . .

عُمر : يعني الراجل ده لو كان نشر الصور كان القاتل هيتعرف؟؟

أحمد : الراجل ده إستغّل البروباجاندا عشان يلمّع جُرنالُه على حسابي وحساب الحادثة ، وحساب ناس مالهاش ذنب زي "حسام" واللّي كانوا في البار وقتها . . ومش من مصلحته إنّه يبيّن الحق

فين. . الموضوع مش موضوع القاتل. . الموضوع أكبر من كده، "جلال" بشكل ما جاله أوردر يموّت الموضوع. . يقلبه فيلم سكس. . نسوان ورجال أعمال بتتخانق. . المواضيع دى لمّا يخُش فيها ريحة وسخة بتفسد. . بتبقى فزّورة محروقة. . الناس تملّها. . تزهق وتنسى. .

عُمر. . أنا عايز منّك حاجة صغيّرة. .

عُمر: إرغى؟؟

أحمد: عايزك تجيب لى من على الإنترنت شوية معلومات. .

عُمر: معلومات زى إيه؟

أحمد: عايز الإيميل بتاع جلال. . عنوانه. . عايز أراسله. . عايز شوية معلومات عن مجموعة العسّال. . يعنى شهادات دولية. . آراء. . تصنيف. . وعناوينهُم طبعًا. .

الناس بتوع مجلس الشعب. . عايز أسمائهم. . معلومات عنهُم. .

أكتر زباين باريس كانوا منهُم، عايز أطبع كمان كام صورة قديمة لجلال وهو بيعُط في الكازينو. . و. .

عُمر: هيييس. . حيلك يا عم إنت هتقلبها حرب عصابات؟؟ عايز تخبّط في الناس دى كُلّها مرّة واحدة. . الناس دى مش سهلة يا أحمد. . الناس دى إحنا بالنسبة لهم هاموش. . شويّة حصى على الأرض. . مش هيستنّوك لمّا تهدّد. . دول ياكلوا إخواتهم لو مصالحهم وقفت. . يهرسوك من غير رحمة ومحدّش يسمع عنّك تانى. .

أحمد: اللي إنت قلته ده ميزة.. مين هينتبه لهاموشة واللا حصواية على الأرض؟؟ محدّش يعرفني.. أنا مش هواجه حد.. أنا هارمى طوبة وأطلع أجرى.. حرب عصابات زى ما إنت قُلت. مفيش حاجة أخسرها.. هنعاكسهم.. بدل ما نسكُت.. أنا معايا صور تودّى في داهية.. نقلق نومة الناس دى.. نخلّيهُم يندموا شوية.. يعيشوا في توتُّر.. يمكن نعمل حاجة.. يمكن نغيّر حاجة..

حاصره أحمد بطموحه.. كان مُقنعًا.. مُندفعًا لكن على حق..

عُمر: الموضوع مش سهل.. مُمكن جداً حد يتابعنا.. سهل يبقى فيه بصمات.. أرقام الجهاز اللي إتبعت منُّه إيميل مباحث الإنترنت تجيب صاحبه.. عايز رأيي؟ نتعامل بالبريد العادي.. زى رسايل الجمرة الخبيثة كده.. وسيبلى موضوع الإنترنت ده.. هجيبلك أي معلومات إنت عايزها.. ليّا سككي..

كلام عُمر كان مُحترفًا إلى حد كبير.. منطقيًا.. كان أحمد يملك الأحجار لكن لا يعرف أين وكيف يُلقيها؟ كان يحتاج إلى ترتيب أفكاره..

كان يحتاج لخطّة مُحكمة..

عُمر: مين ده؟

كان عُمر يُشير إلى صورة من ضمن الصور يقف فيها جودة مُبتسمًا ابتسامة عريضة بجانب مُمثّل مغمور..

أحمد: ده جودة يا سيدي..

عُمر: مالُه عامل كده ليه؟

أحمد: كان بيحب يتصوّر مع أي حد..

عُمر: مم.. بيتصوّر على روحُه يعني؟؟

أحمد: بس كان طيِّب..

استغرق الأمر منهم أكثر من ثلاث ساعات.. استرجع فيها كُل منهما الأفلام الأجنبية التي شاهداها معًا في سينما أوديون بوسط البلد.. تلك السينما التي قضوا فيها مُعظم حفلات مُنتصف الليل من ليالي الخميس أمام الأفلام الأكشن.. نوعيتهم المُفضّلة مُنذ أيّام الدراسة.. خاصةً أفلام "بروس ويليس" نجمهم المُفضّل.. ثلاث علب سجائر صنعت سحابة رَمادية حجبت الرؤية في الغُرفة قبل أن ترسو أدمغتهم على فكرة.. فكرة تليق بزمالة الإعدادية..

. . . .



بعد خمسة أيّام . .

الدور الرابع بعمارة عتيقة بوسط البلد، في شارعٍ مُتفرّعٍ من ميدان طلعت حرب . . سُليمان باشا سابقًا . .

"جريدة الحُريّة "

كانت تلك العبارة مكتوبة على لوحة نُحاسيّة بجانب الباب، تحتها شعار "أربعة حروف تعنى الكثير " . . قرع الجرس شاب يعمل ساعيًا في الجريدة . . فتحت الباب فتاة مائعة لا تختلف كثيرًا عن فتيات المكتب اللاتي تم اختيارهن بعناية من قبل رئيس التحرير شخصيًا بعد مُقابلة واحدة فقط تأكّد فيها من مدى استعدادها لتقديم السبت وربُمّا الأحد ليُقدّم لها هو باقي أيّام الأسبوع . .

بدّلت ابتسامتها ورفعت حاجبها للشاب الذي بدا مُرهقًا : إيه اللي أخّرك؟ كُل ده بتجيب غدا؟؟

كان الشاب قد تعوّد على معاملة العبيد فلم يأبه كثيرًا للشفاه التي انقلبت، ناولها الفكّة الباقية وأخذت هي الكيس قبل أن تعطيه ظهرها . . اختلست عيناه صورة لساقيها الملفوفتين وهي تبتعد قبل أن يتذكّر ذلك المظروف الأصفر الكبير الذي يحمله تحت إبطه : آنسة ماهيتاب . . فيه ظرف لأستاذ " جلال " . .

رجعت ماهيتاب إلى الشاب والتقطت الظرف : من مين ده؟

الشاب: كان موجود في مكتب الأمن تحت..

قلّبت ماهيتاب الظرف يميناً و يساراً: مش مكتوب عليه جاي منين!!

كان الظرف مغلقا بإحكام مكتوب عليه: جريدة الحُريّة.. خاص بالأستاذ جلال مُرسى.. " لا يُفتح إلا بمعرفته شخصيًا "..

ماهيتاب: دخّله على المكتب الأستاذ.. يمكن يكون حاجة خاصة يعمل لنا مُشكلة.. وشغّل التكييف.. زمانه جاي..

لم تنقض ساعة حتّى وصل جلال مُرسى..

" " " تن تن تن " " "

نرجو من السادة القُرّاء قلب كُل حروف الراء إلى واو في كُل الجُمل الحوارية الخاصة بجلال مُرسى، وذلك لظروف اللثغة، وشكراً..

" " " تن تن تن تن " " "

دخل من الباب قاصدًا غُرفته مُباشرةَ: صباح الخير..

رماها في عُجالة كأنّها ستكلّفه مالاً ووقتًا.. دخل مكتبه وأغلق بابه بصوت مسموع.. لم يكُن هذا غريبًا.. كُل من بالمكتب تعوّدوا على ذلك السلوك.. كان جافًا لا يرحم.. لا يتعب كأنه الشيطان نفسه في مُهمّته الرتيبة.. تصاعدت حدّته في الآونة الأخيرة.. لم يكُن كذلك مُنذ أربعة أعوام.. كُل مَن حوله يرجع تلك العصبية المُفرطة والمزاج السيئ للانفتاح الذي حدث لجريدته مُنذ أصبحت تُنافس الجرائد القومية في المبيعات.. أصبح انعزاليًا.. يرفُض ويُعدّل أي مقال لا يعجبه بروح الديكتاتور ولا يأبه برأي أحد..

يسهر في المكتب كثيراً ويغيب عنه أيضًا كثيراً.. رحل عن جريدته الكثيرون ممّن لم يتحمّلوا سلوكه وكان رأيه دائمًا أن الباب يفّوت جملا بهودج يحمل عروسًا..

خلع جاكتته ورماها لتتلقّاها يد سكرتيرته وجلس على كرسيه المريح في غرفته الأنيقة الباردة.. كان لا يستغنى عن التكييف.. يعرق بغزارة كخزّان حروم..

جلس على المكتب: قهوة..

لم تُعقِّب الفتاة، هرولت سريعًا وعادت بكوب القهوة بعد خمس دقائق ناولها جلال في مُطالعة العدد الماضي من جريدته: طلّعي لى عدد الإسبوع اللي فات.. ذهبت الفتاة إلى دولاب، فتحت أحد الأدراج وأخرجت العدد: إندهيلى علاء جُمعة..

السكرتيرة: حاضر..

خرجت وبعد دقيقة قرع الباب علاء جُمعة.. شاب في السادسة والثلاثين.. صعيدي أسمر من سوهاج.. طويل نسبيًا مُتناسق البنية، عريض الفك مُجعّد الشعر.. بياض عينيه تعلوه صفرة بسيطة.. أنفه حاد وصوته عميق: حضرتك عايزني.. قالها بجفاء..

لم يدعه جلال للجلوس: الإسبوع اللي فات أنت كاتب مقال عن "شريف أمين".. في العدد الإسبوعى، أنا شُفته قبل الطبع.. ماكانش فيه السطر قبل الأخير ده كُلّه.. قالها ولوّح بالجريدة في عصبية..

نظر علاء للمقال حين أردف جلال: عندك تفسير؟؟ إيه موضوع إبنه اللي عنده قرية سياحية في الساحل الشمالي؟ وإيه موضوع سفريّات باريس الترفيهية على حساب السفارة دي كمان؟؟ الكلام ده إنضاف بعد ما شُفت المقال.. الكلام ده إنت جبته منين؟ وبعدين إيه اللي دخّل إبنه في الموضوع؟ إنت بتتكلّم عن "شريف أمين" يعني تركّز على "شريف أمين"..

رد عليه علاء بأعصاب بدت هادئة: الخبر ده عرفته قبل ما المقال يطّبع بنص ساعة.. ما كانش فيه وقت أورّيه لحضرتك.. سبق صحفي وهيضيف للموضوع كتير، موثّق بصور عقود ملكية. وبعدين الكلام ده ما خرجش عن روح المقال ده، بيكمّل الموضو...

قاطعه جلال وقد هدأت نبرة صوته تمامًا: أقعُد يا علاء..

حدق علاء في وجهه لثانيتين ثُمّ جلس..

لم يكُن أبدًا الوفاق ثالثهما.. كان دائمًا الشيطان.. مع اختلاف المُهمّة..

جلال: بُص يا علاء.. إنت ما ينفعش تكتب حاجة من غير ما أشوفها.. مش كُل حاجة نعرفها بنكتبها، وبعدين أنا اللي في الوش.. لو حصل حاجة أنا اللي بواجه الناس كُلّها.. ده واحد.. اتنين.. من إمتى بيتنشر مقال من غير ما أقراه؟

علاء: حضرتك قريته..

جلال: ما تقاطعنيش.. أنا مش بسألك، أنا بأكّد قاعدة سيادتك نسيتها.. كلمة واحدة تطلع من غير ما تعدّى عليّا مش قادر أحدّد رد فعلي هيكون إزاى..

علاء: أنا عايز أصحّح لحضرتك معلومة.. أولاً الخبر ده أنا مُتأكّد منّه مية المية.. ثانيًا..

قاطعه جلال: مفيش حاجة اسمها مية في المية.. عندك مصدر؟

علاء: أيوه فيه مصدر، أنا مش متعوّد أفبرك..

جلال: مين مصدرك؟

علاء: واحد في الوزارة..

جلال: اسمه إيه؟

علاء: أظُن ده مش مُهم.. المصدر لازم يفضل مجهول عشان يفضل مصدر..

جلال: إنت مش عايز تقولّى مصدرك إيه.. مُتوقّع منّى إزاى إنّى أصدّق إنك ما فبركتش..

علاء: حضرتك مُصمّم إني بفبرك أخبار؟؟

جلال: مصدرك مين يا علاء؟؟

علاء: واحد من الوزارة عنده..

هوى جلال بقبضته على المكتب: أنا مابحبش التكرار.. أنا بأفهم من اول مرّة.. إدّيني أسماء.. أنا مش بلعب معاك هنا.. الخبر ده مُمكن يأثّر على مصداقية الجُرنال..

علاء: ده على إفتراض إنّه غلط.. مش كده..

جلال: غلط أو حتّى صح، إنت نشرت حاجة من غير إذني.. الخ
بيفضل إشاعة إلى أن يتم تأكيده وحضرتك مُصمّم ماتعرّفنيش
المصدر.. كده إنت بتأكّد لي إن فيه حاجة غلط..

جزّ علاء على أسنانه: حضرتك مفيش داعي للزعيق.. فيه زُملاء أكيد
سامعين.. مصادري مش متعوِّد أكشفها وحالف على ده
الراجل ده هيتقطع عيشُه.. عندُه بيت مفتوح.. وبعدين أنا
مستغرب، هو حضرتك مُهتم ليه بشريف أمين وموضوع ابنه ده
بالذات.. حضرتك طول عُمرك بتهاجمه، إيه اللي جد؟
حضرتك كُنت بتشم أخباره، والخبر كان بينزل من أي مصدر إن
شاالله يكون ناس بترغى على القهوة.. لو حضرتك جتلك
المعلومة دي.. كُنت هتحجبُها؟؟ أشُك..

كان الرد ضربة أخلّت بتوازُن "جلال" الذي أجاب مُتصنّعًا الهدوء
مُحاولاً غلق الموضوع: على العموم أنا مش هتكلّم معاك دلوقت
الموضوع ده ما يتكرّرش.. أنا هراقب شُغلك إنت بالذات.. مفهوم..

و في مُحاولة غير مفهومة، ركب جلال فيها دور الأب الراعي: إنت
مش عارف مصلحتك يا علاء.. إنت لسّه صُغيّر.. أنا كُنت محضّرلك
مُفاجأة، إنت بوّظتها بتسرُّعك..

تأمّل علاء وجهه مُحاولاً فهم المُناورة.. كان يعرف عادته في قلب
الترابيزة على خصومه.. أشعل جلال سيجارة بولاعة بنزين جديدة بدل
التي فقدها، وأخذ يقفلها ويفتحها.. كان يُرتّب أفكاره..

يتنظر إجابة: إيه رأيك في صفحة التعليم؟؟

علاء: مش فاهم؟؟

جلال: عايز بروفة منك لصفحة التعليم الإسبوع اللي جاى.. لو طلعت كويسة همسكها لك..

علاء: ده امتياز والا استبعاد..

جلال: نظريّة المؤامرة أكلت دماغك.. أنا بحاول أعلّى شُغلك يا بنى آدم رغم إنّك غلطان.. عندك عُقدة اضطهاد.. بقولك همسّكك صفحة التعليم وإنت تقولّى استبعاد؟

علاء: هو من إمتى حضرتك لمّا بتغضب على حد بترقّيه؟

جلال: دى مش ترقية.. ده تكليف.. وأنا شايف إنّك هتقدر تخرجها بشكل كويّس..

علاء: أنا ماليش في سكّة التعليم وحضرتك عارف.. أنا بكتب سياسة ومُجتمع..

جلال: هو التعليم بقى عيب.. دى فُرصة تغيّر وتشوف عالم تانى.. يمكن تلاقى نفسك فيه..

علاء: آسف..

جلال: يعنى إيه آسف.. الجُرنال ده بتاعي وأنا مسئول عنّه وأعرف إيه اللي يمشى وإيه اللي مايمشيش.. مش هتيجى إنت تعلّمنى.. إنت فاكر نفسك عشان كتبتلك كام مقال خبّطت فيهم في ناس كبيرة خلاص بقيت اسم.. فوق يا حبيبي وإنزل على الأرض.. إنت بتكتب عشان أنا سايبك تكتب.. الجُرنال ده

إنت من غيره اسم على ورقة ملفوف فيها سندوتشات طعمية
فاهم!

كان جلال ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر . . يسعى إليها باسلوبه العـ
الذي تعوّد عليه . . يُحاصر خصمه في رُكن رُقعة الشطرنج . . يستفزّه حتـ
يفقد السيطرة ويتّخذ طريقه برجليه للفخ الذي أُعدّ له . .

قام علاء بهدوء شديد : أستاذ جلال مفيش داعي للطعميّة والفـ
والكلام ده . . حضرتك تقدر تعتبرني مستقيل . . شوف حـ
يستلم منّي الشُغل . .

جلال : مُستقيل ليه؟ إنت مرفود . . وليّا كلام مع نقيب الصحفيّين . .

توجّه علاء للباب : مش فارقة . .

جلال : ماشي . . هنشُوف مش فارقة إزّاى . .

كش ملك . .

رفع جلال سمّاعة التليفون وطلب رقمًا غاية في التناسُق . .

جلال : صباح الخير . . محفوظ؟ . . جلال مُرسى معاك . . أهلاً يا حبـ
إزّيك . . الله يخلّيك . . شريف باشا أمين موجود . . شُكرا
حبيبي . . موسيقى مُمِلّة . . ألو . . صباح الخير شريـ
باشا . . الحمد لله . . بخصوص العدد اللي فات يا باشا . . المُشـ
إتحلّت خلاص . . ده أنا حتّى مشيّته والله . . هو كان مُشاغـ
وبيشتغل بدماغه . . ما يقدرش يا باشا . . هو عارف، وبعـ
تليفون للنقيب يُقعُد في بيتهُم، مايشوفش الشارع تاني . . يا باشا
أنا اللي آسف لإزعاجك . . آه، ما هو ده الموضوع الأساسـ

اللـي بكلّـم حـضرتك عـشانه . . المـصدر عنـد سـيادتك في الوزارة . . مَصدر مُطّلِع قُريِّب . . مستواه المادي ضـعيف وعنـده أولاد . . مش هيقول إسمه ده إنسان فاشل وعايش في الـوهم . . سيادتك مـا تقلقـش مفـيش جُرنـال هيرضـى يـشغّله . . سيـب الموضوع ده سيادتك عليّـا . . آه . . الموضـوع التـانى هنبـدأ فيـه الإسبوع اللي جاى . . تحياتي يا فندم . . مـع ألـف سـلامة . . في رعاية الله . . مع السلامة . .

اُغلق الخط ، ثُمّ طلب رقمًا آخر وهو يعبث بأصابعه في الظـرف الأصـفر امامه حتّى أتاه صوت المُتكلّم من الجانب الآخر : ألو . .

جلال : صباح الخير . . أكلّـم إبـراهيم بيـه شـافع والله . . أنـا "جـلال مُرسى" . . موسيقى . . صـباح الفُـل يـا باشـا . . حمـدلله علـى السلامة . . إيه أخبـار لنـدن؟ الله يخلّيـك يـا باشـا . . ليّـا عنـد سيادتك خدمة . . فيه ولد كان عندي اسمه علاء جُمعة . . أيـوه هو يا باشا . . الواد ده عمل لى مُشكلة كبيرة مـع أحـد المـسئولين هقول لسيادتك على إسمُه بعدين . .

رفـع جـلال الظـرف الأصـفر إلى النـور مُستـشفًا مُحتـواه : لأ هـو Already مشى . . أنا عايز أقرُصه من ودنه . . يُقعُد في البيت شوية وقـت ...سسوه بغلطته . . اسمه عـلاء جُمعـة . . عـلاء حـسين الـسيد جُمعـة . . هابعت لحضرتك بياناته على الفاكس . . مُتشكّر أوى يـا باشـا . . في رعايـة الله . في رعاية الله . .

انتهى من المُكالمة، وتناول خنجراً صغيراً يغُذ به الجوابات. . فتح الظرف الأصفر وأفرغ مُحتوياتُه. .

كانت هُناك ورقة مطويّة وظرف آخر أبيض. . فتح الورقة. . صفحة بيضاء إلا من عدّة أسطُر في الوسط مكتوبة بخط صغير استدعت نظارة القراءة من جيبه. . لم يكُن خط يد. . كان مكتوبًا على الكمبيوتر. .

عندك فُرصة تصحّح فيها غلطة قديمة. .

إبريل ٢٠٠٥. . حادثة بار ڤيرتيجو. . كان فيه طرف ثالث. .

الطرف اللي نفّذ الجريمة. . الصور في الظرف الأبيض. . انشُرها واطلب فتح التحقيق مُقابل صور ليك معايا. . جرايد كتير تتمنّى تشوف الجانب المُظلم لجلال مُرسى. . سبق وإتقابلنا في الكازينو. . مش هتفتكرنى. .

هرب الدم من شرايين جلال الذي لم يملك وقتًا للتفكير. . مزّق الظرف الآخر بيديه وأخرج مُحتواه. .

قلّب الصور بعصبية. . كانت صادمة. . لم يتخيّل الإحساس بتلك الجمرة الحارقة بين يديه. .

كان يُشاهد آخر صورة، عندما سقطت ورقة صغيرة محشورة بين الصورة الأخيرة والتي قبلها؛ مكتوبًا فيها ملحوظة: فيه عيّنة من صورك في مكتبة الشروق. . قسم التاريخ القديم رابع رف. . خامس كتاب على الشمال. . سقوط الدولة الفاطميّة. . الكتاب ده عليه طلب ☺. .

أفرزت الغُدّة فوق الكلوية جُرعة مُضاعفة من هرمون الأدرينالين . . قبل أن يقفز جلال من مكانه إلى الباب وقد دس الصور بالظرف الأصفر، وخرج إلى السكرتيرة التي كانت مُنهمكة في الكتابة على الكمبيوتر : ماهيتاب . . مين اللي جاب الظرف ده؟

ماهيتاب : فيه حد سلّمه للسيكيوريتى بعد الساعة عشرة إمبارح . .

لم ينتظر أن تسأله عن جحوظ عينيه وقطرات العرق التي أغرقت وجهه لتصنع بركة على ياقة قميصه . . فيه حاجة يا أستاذ جلال؟؟

كان قد انطلق كالمجنون إلى الخارج . . قطع المسافة بين مكتبه وميدان طلعت حرب في دقيقة . .

دخل مكتبة الشروق . . أخرج الورقة الصغيرة بعد أن تجاهل عامل المكتبة الذي هلّل لقدومه . . قسم التاريخ القديم رابع رف . . خامس كتاب من على الشمال . . سقوط الدولة الفاطميّة . . جذبه جلال وقلّب صفحاته بسُرعة حتّى وقعت عيناه على صورة . . صورة له مع فتاة في الكازينو . . لم يُدقّق فيها كثيراً . . كان يعرفها . . حاول أن يتمالك نفسه . . أمسك بباقي كُتُب سقوط الدولة الفاطميّة . . فرّها كُلّها . . تأكّد من خُلوّها . . سأل أمين المكتبة إن كان هناك أحد قد اشترى هذا الكتاب أو سأل عنه مُنذ الأمس فأجابه بالنفي . . غادر المكتبة . . توقّف أمام تمثال طلعت حرب ينظُر إلى المارة في الميدان الصاخب . . كان يشعُر بحضور طاغ لذلك الذي يلعب بأعصابُه بمُنتهى الهدوء . . أخذ يتأمّل كُل منً ينظُر إليه كأنّه صاحب الصورة التي قلبها بين يديه وأخذ ينظُر إلى العبارة المكتوبة خلف الصورة . .

" مش قُلت لك إن طبّاخ السم هيدوقه " . .

. . . .



١٥ : ٦ . . صباح اليوم التالي . .

رنين هاتف محمول يدوى في غُرفة نوم هادئة . . رأس مُبعثرة الشعر مدّت يدًا تتحسّس الكومودينو حتّى عثرت على ضالّتها . .

كانت هُناك عِبارة رقم خاص تومِض برتابة . . ضغط الزر الأخضر وأجاب بِصوت مبحوح : ألو . .

الصوت : صباح الخير يا مُصطفى . .

مُصطفى : صباح الخير يا فندم . .

الصوت : أنا في الإدارة . . تقدر تيجى في قد إيه؟

مُصطفى : تلت ساعة . .

الصوت : ما تتأخّرش . .

٤٥ : ٦ صباحًا . .

قرع مصطفي عارف باب مكتب صفوان البحيرى بعين حمراء من أثر نومٍ لم يكتمل : ادخُل . .

كان ذلك صوت صفوان الذي جلس بقميص مفتوح ، ورابطة كرافت مسكوكة تتدلّى منه كحبل المشنقة ، يتأمّل صوراً موضوعة أمامه على المكتب . .

مُصطفى : صباح الخير يا فندم . .

صفوان : إزّيك يا مُصطفى . . تعالى . . أقعُد . .

مُصطفي وهو يجلس: فيه إيه يا فندم؟ حضرتك قلقتني. .

صفوان: عمليّة ٦٣. .

مُصطفي: البار؟؟

صفوان: فيه شاهد صوّر اللي حصل. .

مُصطفي: صوّر إزّاي يا فندم. . الأهداف كُلّها صفر. .

صفوان: صوّر من مبنى تاني. . صور كُل حاجة. .

أخرج صفوان من مكتبه ظرفًا أبيض ألقاه أمام مُصطفى. . التقطه الأخير وأخذ يُطالِع الصور بعين دب فيها نشاط مُفاجئ: الصور دي وصلت إزّاي يا فندم.

صفوان: جلال مُرسي. . من حظّنا إن الشاهد بعت الصور دي عليه إمبارح. .

مُصطفي: يعني الشاهد في إيدينا؟

صفوان: لأ. . للأسف دي عمليّة ابتزاز. . الشاهد غير معروف. .

مُصطفي: وإيه علاقة جلال بالموضوع؟

صفوان: الشاهد عنده صور لجلال. . إنت عارف ملفّه وسِخ. . موضوع البنات الصُغيّرة ده. .

هدّده لو ما نشرش الصور هيبعت الصور دي لجُرنال تاني مع صوره. .

كان مُصطفي يتأمّل انعكاس صورة القائم بالعمليّة من رجاله في المرآة: المُشكلة كُلّها في صورة "طارق". . لو إتنشرت الصور دي الدنيا هتتقلب. .

صفوان: القيادة ما خدتش خبر لسّه.. وقتنا ضيّق جداً.. لازم نتصرّف.. الكازينو اللي بيقعُد فيه لازم يتغربل.. جلال كمان قال إن فيه واد صحفي عندُه اسمه "علاء جُمعة".. طردُه من الجُرنال وفيه عداء شخصي حاصل ما بينهُم.. هو شاكك إن الواد ده هو اللي ورا الصور دي.. مُمكن يكون هو اللي بيلاعبه..

مُصطفى: ولو طلع هو يا فندم؟

صفوان: يختفي.. هو وصوره ومصدره لو فيه.. مافيش وقت يا مُصطفى.. ولو تطلّب الموضوع إن جلال كمان يختفي؛ يختفي لو هيكون السبب في تعطيلك.. طارق فين دلوقتي؟

مُصطفى: في راحة يا فندم.. مسافر إسبوعين الساحل الشمالي..

صفوان: مش لازم يعرف.. إلا لو حصل حاجة يبقى فيه كلام تاني..

مُصطفى: هو يا فندم أعصابُه تعبانة أوي.. كلمني قبل ما يسافر.. عايز يتنقل عمل إداري..

صفوان: مش وقتُه دلوقتي.. مد الأجازة بتاعتُه لغاية ما نشوف المُصيبة اللي عندنا دي.. يمكن ما يرجعش الشُغل خالص..

مُصطفى: أو كيه.. سيادتك تؤمرني بحاجة يا فندم؟

صفوان: أنا مش همشي من المكان ده بفضيحة بعد كُل العُمر ده.. لو الموضوع وصل لتصفية صفّي.. مفهوم يا مُصطفي؟؟ الشُغل في نطاق ضيّق أوي.. مش عايز جنس مخلوق يشم.. أنا لو مشيت من المكان ده إنت كمان هتمشي.. إفتكر دي كويس..

هز مُصطفي رأسه بتفهُّم: ما تقلقش يا فندم. .

انسحب مُصطفي خارجًا بعدما ترك صفوان الذي أخذ ينظُر إلى نتيجة المكتب. . لم يكُن باقيًا له إلا سنة. .

سنة ويخرُج من الخدمة. . كان يُعد نفسه لخروج مشرِّف. . للعمل في شركة البترول بمُرتّب عشرة أضعاف. . الراحة وتربية الأحفاد والاستمتاع بالامتيازات، إلا أن دُخانًا كثيفًا أخذ يملأ صدره. . شعور يتصاعد بداخله بأنه لن يُكمل حتّى أسبوعًا واحدًا. .

في الساعة الرابعة والنصف من ذلك اليوم كان أحمد واقفًا أمام محل زهور " ياسمينا " القريب من الجاليرى. . جاليرى كيريشن. . استغرق تصفيف شعره حوالي ساعة إلا ربعًا عند الحلاّق. . وضع بعدها نصف برطمان الجيل فوق شعره ليقهره على الاستسلام لاتجاه المشط. . لبس القميص الأسود الذي يُشبه كثيرًا قميص "عمرو دياب" في فيديو كليب "قمرين" . . لمع حذائه البنص السوداء، ولم ينس الساعة وبرفان "HUGO" المضروب. . وضع سجائره الكليوباترا بداخل علبة مارلبورو. . أخذ يتّخذ الأوضاع في المرآة كبروفة للوقفة أو الجلسة التي يريد غادة أن تراه عليها أوّل مرّة. . بدا وسيمًا. .

بعدها بقليل وأمام محل الزهور كان يُمسك في يديه وردة حمراء وعيناه لا تتحركان عن الاتجاه الذي ستأتي منه غادة. . حتّى أخذت السيناريوهات تتزاحم في رأسه. . استبعد منها النهايات الحزينة وأخذ يسبح في خياله الخصب مُصطنعًا وقفة تُشبه وقفة "عمرو دياب" في أحد الشرئط، ساندًا برجله اليُمنى على سيّارة مركونة ليبدو "ولد تقيل" . . أخذت العقارب

تتحرّك ببطء. . كان يشعُر بإثارة وتشويق شديدين. . انقضت نصف ساعة ودخل أحمد في الوقت البدل الضائع عندما لاح شبح من بعيد. . شبح مألوف. . اقتربت تلك الفتاة ليكتشف أنها ليست غادة. . لم تكُن جميلة مثلها وإن كانت تُشبهها في الجسم من بعيد. . أصبحت الخامسة والنصف. . ربُّما تأخّرت في العمل. . لماذا لم يكتب لها رقم تليفونه؟ غبي!!

هكذا كان يُردّد لنفسه. . السادسة. . دبلت الوردة في يديه. . جلب صاحب محل الزهور كرسيًا وجلس أمام مصدر رزقه يُدخّن الشيشة. . أصبح وراءه. . لم يكُن أحمد يشعُر بارتياح من شيئين، أولهما عين المراقب، وثانيهما لا يتذكّره حاليًا. . أخذت تلوح من بعيد الفتاة تلو الفتاة كأنّهن قطرات المياه من صنبور غير مُحكم الغلق. . عتمة الليل بجانب كشف نظّارته العتيقة التي آن ميعاد تغييرها جعلت الشارع كُلّه غادات. . السابعة. . لم تأت. . أخرج صاحب المحل كُرسيًا آخر ودعاه إلى الجلوس:

اقعُد يا أستاذ إنت واقف من بدرى. . مستنّى حد؟ طب عايز تليفون؟

كم تمنّى نيزكًا من السماء يهوى في قلب المحل ليُحوّله ترابًا. . أو حتّى هجومًا إرهابيًا بصاروخ كروز على رأس هذا المُتطفل الذي يتكلّم بسُخرية، أو هكذا شعر أحمد وهو ينظُر في ساعته للمرّة الثالثة. . بعد الألف. . مُنذ وقف. . لن تأتى. . قال لنفسه. . ستأتي. . أيضًا قال لنفسه. .

رمى الوردة وأشعل سيجارة. . الثامنة والثلث. . هل يذهب المجاليرى؟ علّها محبوسة أو مُعاقبة ووجهها للحائط ويداها مرفوعتان. .

لا.. لعلّها رفضت.. لعلّه لم يعجبها.. لعلّها مرّت بسيّارة مع صاحبات لها وأشارت إليه

فضحكن: يا غادة إيه المنظر ده!! جمبريّاية بنظّارة!!

صوت ضحكات رنّانة وصدى صوتهن يتعالى.. بدأت سيناريوهات "هيتش كوك(*)" المرعبة تُحقّق الإيرادات في رأسه.. سأعدّ حتّى ٦٠ إن لم تأت سأمشي..

٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، .. سأعدّ حتّى ٣٠٠...

أصبحت العاشرة..

لن تأتي..

سيشمت ذكر الفقمة كثيراً..

....

(*) مخرج أمريكي ظهر في فترة الخمسينيات، قدم سلسلة من أهم أفلام الرعب أشهرها فيرتيجو سنة ١٩٥٨!!

ماجااااتش؟؟

أحمد: أيوه.. ماجاتش..

كانا يجلسان على قهوة ليالينا كعادتهم اليومية..

عُمر: أنا كُنت عارف.. مش قُلتلَك يا إبني..

أحمد: خلاص مش فيلم هيَ.. وبعدين مُمكن يكون فيه حاجة حصلت.. إيش عرّفك..

عُمر: صبّر نفسك إنت بس.. أنا لو مكانك أولّع في نفسي بصراحة.. ما كُنتش سايب رقم التليفون؟

أحمد: لأ.. وفُضّها سيرة بقه..

عُمر: طب ما يمكن عدّت عليك وما خدتش بالك؟؟

أحمد: أنا آه نظري ضعيف بس مش ضرير.. مفيش بنت عدّت ما شُفتهاش..

عُمر: يلّله.. آل يستنّى عند محل الورد لغايت ما يجيلوه البرد..

أحمد: ماشي يا ست الحاجّة..

عُمر: المُهم تفتكر إيه أخبار صاحبنا؟

أحمد: زمانه مولّع دلوقت.. مش هينام..

عُمر: نكلّمه بُكرة في التليفون.. ناكُل دماغه.. مش كُنّا طلبنا منّه خمسيناية تظبّطنا شوية أنا وإنت..

أحمد: كده نبوّظ المقلب.. إتأل على الرُز.

عُمر: تفتكر هيعرف مين؟

أحمد: يا إبنى الصورة من غير فلاش وخلّيناها كواليتى صورة موبايل وضيعنا تفاصيلها كمان.. هيقول واحد من اللي كانوا في ترابيزة جنبه.. مُخّه مش هيجيب.. اللي بيبقى عايش مع واحدة بيبقى خارج نطاق الخدمة..

كان عقله لا يغفل مستر دراكولا.. الشاهد الوحيد عليه وهو يلتقط الصور.. لكن شيئًا ما في صدره جعله يثق في أن هذا الكيان الثقيل لا ينوى الأذى.. لو كان ينوى لفعل من البداية..

عُمر: هتكّلمه منين؟

أحمد: من آخر مكان يتخيّله..

بات أحمد ليلته مُتقلّب المشاعر ما بين سعادة بالخبطة السينمائية التي اقتبسها من فيلم " أعرف ماذا فعلت الصيف الماضي " ونفّذها مع جلال، وبين شعوره تجاه تجاهُل غادة له.. كان أكثر ما يُرهقه نفسيًا هو عدم معرفته رد فعله تجاهها.. أيعاود الكرّة أم ينسحب؟ هل حدثت مُشكلة منعتها من المجيء؟

كان شيء بداخله يلتمس لها العُذر.. لم تبد قاسية أو مُتكبّرة.. أخذ يُقلّب الأفكار حتّى ثقُلت جفونه.. غدًا سيكون يومًا حافلاً..

انقضت الليلة وذهب أحمد في الصباح للأستوديو كعادته.. كان ذهنه أكثر صفاءً من ليلة أمس.. مُتوترًا لكنّه هادئ.. أخذ يلتقط الصورة وراء الصورة بمزاجٍ رائق مُنتظرًا نهاية اليوم.. صورة للبطاقة.. صورة للعمل..

..ورة باسبور.. كارت فيه بنت ترفع شعرها لأعلى، متخيلة نفسها نجمة .لاف، وأخرى تضع يدها على خدّها راسمة الرومانسيّة على وجهها، .الثالثة مع صديقها المُتظاهر بوضع يده على كتفها ولا تكاد أصابعه .لامسها..

عند السادسة والنصف كان أحمد وعُمر يتوجّهان إلى وسط البلد.. مقر .رنال الحُرّية..

عُمر: إنت متأكّد إن اللي إنت هتعمله ده أو كيه؟

أحمد: بطّل قلق.. ما توتّرنيش معاك..

عُمر: الراجل ده مش سهل.. أكيد بدأ يتحرّك.. مش هينام.. بُص..

كانا أمام مقر الجريدة الذي يقف أمامه بوكس وضابطان يحملان النجوم والنسور..

أحمد: جلال فعلاً إتحرّك بسُرعة أوى..

عُمر: هتعمل إيه؟؟

أحمد: إمشى زى ما إنت.. تعالى نطلع على التحرير..

قهوة التحرير.. قهوة كبيرة يتمركز فيها سرب من "الخرتيّة" لا نضارعه في الكم إلا سرب الجراد.. الخرتيّة هم مُرافقو السيّاح ممّن لا يحملون شهادات أو تراخيص.. يُصاحبون السائح خلال مُدّة إقامته.. يُفاصلون له.. يوفرون متطلّباته من زيارة أماكن سياحية.. شراء تذكارات من البازارات أو حتّى آثار حقيقية إذا كان الزبون من مدمني المصريّات.. توفير الخمور والمُخدِّرات والجنس إذا لزم الأمر.. مُرافقة السائحات اللاتي يأتين

وحدهُن بلا رجُل، ومُعاشرتهُن كما يتمنّين.. كُل ما يشتهيه السائح متوفر.. مُتاح ما دام يدفع، مهما كانت طلباته تبدو غريبة أو شاذة.. غير اقتطاع العمولة من البازار والمطاعم أو الفنادق أو من سائق التاكسي الموجه للسائح.. الضعيف فيهم يتكلّم أربع لُغات.. كانت القهوة تموج بهم مع سائحيهم.. لُغات تتلاقى كاجتماعات الأمم المُتحدة..

بدا أحمد وعُمر غريبين وهما يجلسان في أقصى اليسار من القهوة يحتسيان الشاي..

عُمر: شُفت مش قُلتلك.. الراجل طِلع إبن أروبة..

أحمد: كُنت مُتوقّع ده..

عُمر: كبّر دماغك بقى من موضوع التليفون ده..

أحمد: مش عايزه يطّمن ويهدأ.. عايزه يحس إن اللي بيلاعبه أقوى منه ومن اللي بيحموه كمان.. يحس لمرّة إنّه مُهدّد.. الصورة معاك؟

عُمر: معايا.. هتعمل إيه؟؟

أحمد: إستنّانى هنا..

قبض عُمر يد أحمد وهو يقوم: أحمد الموضوع فيه بوليس ما تستهترش.. فهّمنى هتعمل إيه؟

أحمد: معاك منديل؟

أخرج عُمر منديلا من جيبُه وناوله لأحمد: حاسب على الشاي وعدّى الناحية التانية.. ناحية كوبري قصر النيل وإستنّانى.. خلّى عينك عليّا..

أخذ أحمد الصورة والمنديل، وقام يتمشّى بهدوء، في حين غادر عُمر القهوة إلى الرصيف المُقابل..

وصل أحمد إلى كابينة تليفون عمومي بعيدة نسبيًا عن القهوة.. أخرج كارت الميناتل ووضعه في التليفون..

طلب رقم جلال وهو يمسح الصورة من البصمات.. ويضعها في ظرف صغير أبيض..

سمع الجرس أربع مرّات قبل أن يأتي صوت جلال: ألو

غيّر أحمد من نبرة صوته ليبدو غليظًا: مساء الخير.. أستاذ جلال مرسى؟

أتت نبرة جلال حادة: مين معايا؟

أحمد: ما كُنتش أعرف إن الموضوع صعب عليك كده.. سبق صحفي جايلك لغاية عندك زى اللوزة المتأشّرة.. لو نشرته؛ صورك مش هتشوف الشمس.. لزمتُه إيه الموضوع يكبر ويخُش فيه ناس كتير؟ إنت كده بتأذي نفسك..

جلال: على فكرة اللي إنت بتعمله ده هيوديك في داهية.. هأنصحك نصيحة.. إهرب.. إهرب بأقصى قوّتك عشان لو لقيتك.. مش هتتخيّل كم الألم اللي هتشوفه.. أنا كمان...

سكت لحظة باترًا كلامه كأن أحدًا يُلقّنه شيئًا ثُمّ أكمل: أو نتّفق..

استشف أحمد ما سيحدُث فأجابه: مفيش بيني وبينك اتفاق..

جلال: تعالى نتقابل ونتكلّم.. مُمكن يبقى فيه لُقمة عيش حلوه ليك.. بلاش غباء.. فتح مواضيع شايكة زى دي مش
سلطتي..

لم يسمع أحمد تلك الجُملة.. كانت السمّاعة موضوعة فوق التليفون العمومي.. غير مُغلقة.. تحتها ظرف أبيض وولاعة جلال التي أخذها منه في الكازينو.. كان أحمد في تلك اللحظة يعبُر الشارع إلى الرصيف المُقابل للقهوة ليُقابل عُمر..

عُمر: عملت إيه؟

أحمد: هتشوف..

في تلك اللحظة من شارع قصر النيل، ظهرت أنوار زرقاء مُتقطّعة أخذ دويها يقترب في سُرعة حتّى خرجت إلى ميدان التحرير، مشت عكس الاتجاه، ووقفت أمام كابينة التليفون.. التليفون الذي تركه أحمد منذ دقائق.. خرجت مجموعة من الضبّاط وانتشرت في القهوة وبين الناس وآخرون أخذوا يفحصون الكابينة.. وأحدهُم التقط الظرف والولاعة..

أحمد: زى ما تخيّلت.. كان مراقب التليفون.. يلله بينا..

عُمر: دقيقة كمان وكُنّا هنضيع الله يخرب بيتك..

لكزه أحمد وهو يشير لتاكسي: ما تقلقش.. هو مخروب خلقه..

تحرّك التاكسي، في حين ظل أحمد ينظُر من الزُجاج الخلفي يُتابع ما يحدُث.. كانت هُناك رُتبة كبيرة من حملة النسور والسيوف تخطف الظرف من يد نقيب صغير السن قبل أن يفتحه، في حين وصلت سيارة نزل منها جلال في عُجالة.. كانت يداه تتحرّكان في عصبية وهو يتكلّم مع اللواء

الذي أمسكه من مرفقه، وابتعد به عن بؤرة النور.. وقبل أن يندس التاكسي في الزحام لمحه أحمد.. كان جالسًا على قهوة بجانب كابينة التليفون.. مُهندمًا مُنمّقًا في بذلة بيضاء.. يدخّن سيجارته مبتسمًا لأحمد الذي غطس في الكنبة الخلفية متواريًا عن ملك الخواتم.. صاحب حرف ال (ه)"؛ حين اتخذ التاكسي طريقه للمنيل..

بعد قليل، كان جلال قد عاد إلى مكتبه في الجريدة.. أخذ الغُراب الأسود يحوم وحيداً فوق رأسه في غُرفته.. لا يجد من يدفنه ليتعلّم منه جلال كيف يوارى سوءة أحدهُم.. كان مَهمومًا أشد الهم.. شعور من علِم بوجود ورم خبيث ينتشر في جسده.. صرف كُل من حوله.. موظفى الجريدة والشُرطة.. كان يحتاج إلى ترتيب أفكاره وخطواته القادمة.. أخذ يمسح الولاعة ويُغلقها كما تعوّد.. ولاعته التي رُدّت له..

اقتربت الساعة من الثانية عشرة والربع عندما رن جرس تليفونه..

جلال: ألو..

صوت: أيوه يا جلال..

جلال: مساء الخير يا باشا..

صوت: شُفت العك اللي إحنا عايشين فيه بسببك؟

جلال: يا باشا طب وأنا ذنبي إيه؟

صوت: صورك الوسخة.. طب إدّارى.. مبسوط بنفسك أوى؟!!

جلال: ده كان من زمن..

صوت: أهى طلعت دلوقتى.. قولّى لو حصل حاجة دلوقتى أتصرّف معاك إزّاى..

جلال : أنا مُستعد أعمل أي حاجة . . من بُكرة هعمل حملة عن الصور المُزيّفة عن طريق الكمبيوتر . . مش هسكُت . . كده كده اللي بيلعب معايا ده هيُقع في غلطة . .

صوت : وإحنا المفروض نستنّى الغلطة منّه؟؟

جلال : أنا آسف يا باشا . .

صوت : جلال إحنا عملناك . . عارف يعني إيه؟ يعني مُمكن في أي لحظة نرجّعك تاني كما كُنت . . دي آخر حاجة أقولها لك . . الباشا ثائر جداً . . لو الموضوع وسع انسحب إنت بكرامتك ، ما تضطرّنيش أتّخذ معاك أنا شخصيًا إجراء ، ويمسك مكانك واحد ماسك نفسُه كويّس . .

جلال : اللي تشوفُه سعادتك . .

أغلق السمّاعة ، ومال على المكتب يدفن وجهه بين يديه . . كان يعرف أن موقفه ضعيف . . يشعُر بالسكاكين المسنونة تتربّص . . بدنو نهايته . نهاية لن تكون سهلة . . رفع رأسه وأطاح بكُل ما كان على المكتب إلى الأرض . .

لم يبق على المكتب سوى الولاعة . .

في المنيل لم تكُن الأمور أهدأ : ولاه ، أنا مش ناقص قلق . . ماتعشليش في دور المُناضل . . مفيش حد ما بيغلطش يا عم شيه چيفارا . .

كان عُمر يدور في الغُرفة حول أحمد الذي ارتمى على المرتبة يقرأ عددًا من جريدة "الحريّة" اليومي : لأ وكُنت عايز تكلّمُه من تحت الجُرنال . . قُلت لك الراجل ده واصل ومش هيسكُت . . المرّة اللي جايّة مش هتعدّى .

هتنفخ . . إنت ما بتسمعش عن اللي بيحصل في أمن الدولة . . لو قفشوا هتلر ذات نفسُه هيعلّقوه ويخلّوه يعترف إنُّه تبع خليّة إرهابية في إمبابة وعايزة تقلب الحُكم . .

أحمد: ملاحظ يا عُمر إن الراجل ده محمي من الحكومة نفسها . . صدّقتني لمّا قُلتلك إنّه مش زي ما بيقول إنّه مُناضل شريف ضد القهر والاستبداد . . واجهة لحاجة أكبر . . كدّاب زفة . . بس شُفت بقه أنا حسيت إزّاي بالغدر بدري . . موضوع مُراقبة التليفون ده . . عيب يابني . .

عُمر: يا عم جيمس بوند أديك قلقته . . هيفضل متكهرب سنة قُدّام . . طب وبعدين . . طالما بتقول إنُّه محمي يبقى هيفضلوا ورا اللي بيهدّده . . كفاية كده ورحمة أُمّك . . أنا رجلي سابت النهاردة . .

أحمد: يا سيدي هو حصل حاجة؟

عُمر: هو أنا هستنّى لمّا يحصل . . الكلام ده مش هيغيّر حاجة . . إحنا مش هنغيّر الكون . .

أحمد: يا عُمر إهدا . . هو أنا قُلت إنّي عايز أغيّر الكون . . أنا واحد ربّنا بعت له هديّة وبيستغلّها . .

عُمر: دلوقت متهيّأ لي عرفت إن الراجل أكيد طبعًا مش هيُنشُر الصور بتاعت ڤيرتيجو . .

أحمد: أنا مُتأكد . .

عُمر: إيه الحلّ؟؟

كان أحمد يتأمّل مُربّعًا صغيرًا في أسفل يسار الصفحة الأولى لجريدة الحُريّة . .

أحمد : علاء جُمعة . .

عُمر : مين؟

أحمد : إسمع . .

طبّق أحمد الجريدة وأخذ يقرأ الخبر المكتوب بالأحمر تحت صورة لعلاء جُمعة وكلمة تحذير :

تحذيـــــــر :

تُحذّر جريدة الحُريّة المُستقلة من التعامُل الأدبي أو المادي مع الصحفي علاء حسين السيد جُمعة الشهير بعلاء جُمعة، لما بدر منه من سوء تصرف لنشره أخبارًا مُختلقة لا تليق بسُمعة وشرف الجريدة التي عوّدت قُرّاءها على صدق الخبر وتقصّي الحقائق، وبُناءًا عليه قرّرت الجريدة فصله ورفع الأمر إلى نقيب الصحفيين لاتخاذ اللازم، وتُخلي الجريدة مسئوليّتها تمامًا ناحية أي إنتاج أدبي أو تصريح يخرُج على لسان الصحفي المذكور . .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات : ٦) صدق الله العظيم.

عُمر : وده ناوى تعمل معاه إيه ده كمان؟

أحمد : علاء ده آخر حاجة كتبها كانت في العدد الإسبوعى اللي فات . . ماشى . . إستنّى أنا عندي العدد . .

قام أحمد يقلب مُحتويات الغُرفة حتّى وجده تحت المرتبة : أكيد كتب حاجة مش المفروض تتكتب . . بعدها الجُرنال طردُه! ! فيه حاجة غلط . . ٩ ,٩٩٪ علاء ده أخد كتف من حد كبير . .

فتح أحمد الجريدة وأخذ يبحث حتّى وجد اسم علاء أسفل مقالة بعنوان " الرجُل الثالث " . . مم مم . . آه بُص اسمع آخر سطر . . الموضوع بيتكلّم عن شريف أمين أخذ أحمد يقرأ بصوت عال : . . . هذا بخلاف نجله " حبيب " الذي افتتح قرية سياحيّة بالساحل الشمالي ورحلاته الترفيهيّة لأوروبّا على حساب الدولة . . كُل تلك المصاريف يتحمّلها محدودو الدخل للترويح عن أولاد الأكابر . . العاطلين بالوراثة . . ورثة السُلطة . .

عُمر : طيب يا عم، الراجل عمّال يخبّط في الحلل . . ده كويّس إنّهم طردوه بس . . أقل واجب . .

لم يكُن أحمد يستمع لعُمر . . كان ينظُر إلى ذلك الاسم جيدًا . . حبيب . . ابن شريف أمين . . "حبيب أمين" . .

رجع بذاكرته إلى آخر ليلة له مع جودة . .

تذكّر كلامه وهو يُهدّئه "حبيب أمين ده تنك حبيتين بس جدع وحاني . . أبوه إنت عارف . . تقيل أوى . . اللي يلاقى الدلع وما يدّلعش يا سيدى . . حقُه . . " . .

قفز أحمد من على الكرسي . . جلس على الكمبيوتر . . قلّب ملفّات صوره حتّى وجد ملف فتحي العسّال . .

أخذ يُمرّر الصور أمام عينيه حتّى عثر على واحدة . . صورة لحبيب أمين . .

عُمر: مين ده؟؟

أحمد: مش بقولّك.. أنا واحد ربِّنا بعتله هديّة.. ده حبيب..

كـان أحمـد يُـشير إلى صـورة تجمـع "حبَيـب" و"فتحـي العـسّال" و"نانى"..

عُمر: بتهرّج؟!

أحمد: هو ده اللي إتخانق معايا..

عُمر: الواطى ده اللي ضربك؟ بس بصراحة شكلُه ابن ناس.. مين المُزّة دي بقى؟

أحمد: دى نانى.. صاحبة فتحي العسّال..

عُمـر: تلاتينايـة.. سـبعة وتلاتـين بـس حكايـة.. الـدهن في العتـاقى برضُـه.. بُـص الـدراعات بلـه.. مهلّبيـة.. والـصدر إيـه، أفروديت مرات مازنجر، أم صاروخين حديد..

أحمد: عُمر.. إنت مركِّز معايا؟؟

عُمر: في إيه؟

أحمد: ده حبيب أمين ابن شـريف أمـين اللـي عـلاء جُمعـة كاتـب عنّـه المقالة..

عُمر: يا نهار اسود..

أحمد: اسود ليه.. تعالى افتح الفوتوشوب..

عُمر: قول لي إنّك هتعمل في حبيب اللي عملته مع جلال..

أحمد: وارد.. ليه لأ..

عُمـر: حبيبي.. ده أبـوه شـريف أمـين.. مـش حتّـة صـحفي.. ده الصحفي قلب الدُنيا، شريف هيعمل إيه بقى.. هيدخّل أمريكا في الموضوع؟! هنتسجن في أبو غريب..

أحمد : يله ، إنت جبان أوى على فكرة . .

عُمر : أنا جبان؟؟ أنا خايف عليكَ . . لو جبان كُنت سيبتك . .

أحمد : أنا معنديش حاجةَ أخسرها . .

عُمر : إنت حُر . .

جلس عُمر أمام البرنامج وأخذا يستعرض صور حبيب أمين على مر العصور . . صوره الحَديثة أغلبها في حضور فتحي العسّال أمّا القديمة منها فمع شخصيّات أخرى مُختلفة وكميّة صور لا يُستهان بها مع سالي وبعض الفتيات من الُمقيمين الدائمينَ بالكاَزينو كدراويش التكيّةَ . .

أحمد : يومين الجو يهدا ونشوف موضوع حبيب . . بس الأول بُكرة عندنا مشوارَ مُهم أوى في الهرم . . وكام مُكالمة تليفون . .

عُمر : إنتَ ما حرّمتش التليفونات دى؟

أحمد : لأ المرّة دى ماَ تقلقش . . خير . . بقولّك إيه صحيح ، الواد حسن إبن عمتّك لسَّه في السعوديّة؟

عُمر : آه إيه اللي فكّرك بيه؟

أحمد : بيبعت جوابات؟

عُمر : لسه باعت جواب من أسبوع . .

أحمد : لسّه موجود؟

عُمر : في البيت عند أمي . . ليه هو واحشك للدرجة دى؟

أحمد : لأ أنا عايز الظرف اللي فيه الجواب . .

عُمر : هتعمل بيه إيه؟

أحمد : شاكك في حاجة . . هفهمّك بعدين الُمهم تجيب لى الظرف حالاً قبلَ ما أمّك ترميه . . بقولّك إيه صحَيح . . الموبايل ؛ يقدروا يتابعونى بيه؟

عُمر: وارد.. الشبكة دى موصولة بستالايت وكارتك يقدروا يحدّدوا مكَانُه بنظام "GPS[*]"..

في تلك اللحظة، أخرج أحمد تليفونه المحمول من جيبه: هات ورقة..

ناولَه عُمر ورقة.. التقطها أحمد وأخذ يُدوِّن فيها بعض الأرقام قبل أن يفصل بطّاريته وينتزع شريحة الاتصال ليكسرها إلى نصفين..

عُمر: إشطة.. كده كملت.. هنروح الهرم بُكَره نعمِل إيه بقى؟

أحمد: هنعمل زيارة للكَازينو.. كازينو باريس..

انقضت الليلة في جدل بين الاثنين حول الخطوة التالية لأحمد الذي استهوته اللعبة.. لعبة القط والفأر..

صنع عُمر نُسخة مُنقّحة من الظرف.. فصل الطابِع ببخار الماء، وأعاد رسم الختم على الفوتوشوب، ثُمّ أضاف اسم أحمد وبعض الشخبطة والإمضاءات الروتينيّة التي تتم غالبًا في عُجالة ليبدو واقعيًا..

حاول عُمر كبح جماح أحمد الّذي أخذ يبني بعبثه قصوراً من الجنون.. اللبنة فوق الأخرى.. لم يملك حق الشورى معه.. كان الأمر بحق مُغريًا.. تحدّ لعُمر في إمكانيّته وحكاية وراء كُل صورة.. كثير من الوجوه التي تعرّت وظهر جانبها المُظلم.. لا لمعة في أعيُنها.. لن يتخلّى عُمر عن تلك الفرصة.. استسلم وأخذ يعزف على الصور طوال الليل.. نقّحها وسنّها حتّى باتت نصلا حاداً.. نصل يخترِق ويقتُل..

....

(*) Global Positioning System

صباح اليوم التالي . .

كان العمل مُكثّفًا في الأستوديو . . بداية موسم صور شهادات الثانويّة العامة . . انهمك أحمد في الصالة ، لا يخرُج منها إلا قليلاً . . يدخُل الزبون في ظهر الزبون يحلم بأن يُصبح "تامر حسني" أو "نانسي عجرم" إذا كانت فتاة . . يُناول الصور لعُمر الذي يلوّن العينين بالأخضر أو العسلي . . لون الفتيات المُفضّل ويُزيل حبّتي شباب أو عشرة من تلك الوجوه التي عبثت بها هرمونات النمو والمراهقة لتُصبح البشرة ملساء ثُمّ يضع خلفيّة مُناسبة . . كانت الساعة تقترب من السادسة . . ميعاد تسليم صالة التصوير للورديّة المسائية . . أمجد . . ذلك الموظّف الذي يُحسّن دخله الشهري بالعمل في الأستوديو ليلاً عندما دخلت فتاة تطلُب صورة . .

إستنى يا أحمد . . صوّر الآنسة قبل ما تمشي على ما أكمّل غدايا . . ذلك كان أمجد . . المُتأخر دائمًا . . يغتصب يوميًا رُبع ساعة من أحمد ، ليتمالك نفسه بعد عمله الصباحي . .

نظر أحمد في ساعته : خليها تتفضّل . .

لم يعر انتباهًا لوقع الأقدام التي دخلت إلى الصالة : مساء الخير . .

أحمد : مساء النور . . إتفضّلي . . دقيقة واحدة . . كان يُعطي ظهره للباب . .

دس أحمد كارت الذاكرة في الكاميرا والتفت ليضبط وضع الفتاة التي جلست في انتظاره..

و إذا بتسونامي من النعناع المخلوط بأبي فأس يجتاح ضلوع أحمد.. ذلك العرق البارد الذي علا جبهته فجأة كندى الصباح على النوافذ إذا رشّه أحد من بخاخة المكواة.. كانت غادة تجلس أمامُه..

جميلة.. ليس كما رآها أول مرّة.. كانت أجمل.. بدت مُتناسقة الملامح تناسُق ورقات الوردة، ترتدي إيشاربًا أزرق جعل وجهها كالبدر.. تجلس وشبح ابتسامة خجلة تطُل من بين شفتيها، في حين نزل السكوت كشبكة الصيد على أحمد الذي حاول أن يبدو هادئًا في ردّ فعله، حتّى لا يُفسد أول اتصال بها: مُمكن تصورني..

أحمد: أكيد..

انهمك أحمد في رسم الإضاءة حولها.. صورّها.. صورّها كثيراً.. كانت الكاميرا جائعة.. ترغب في تسجيل كُل قسماتها على حدة.. لم يتبادلا سوى الإبتسام..

أحمد: هشوفك تاني؟

كانت غادة على باب الأستوديو: أكيد هاجي آخد الصور..

أحمد: بعد بُكرة؟

غادة: بعد بُكرة.

غادرت وتركته واقفًا على الباب صامتًا قُرابة عشر دقائق.. أجمل عشر دقائق مرّت عليه مُنذ مَات أبوه.. كان قلبه يرقُص على نغمة "ضحكت عيون حبيبي"، أخذ يردّدها في سرّه..

" بس كده . . كُل الخوتة اللي إنت عاملهالنا دى وفي الآخر تلات جُمل
ا مضان . . وبحبّها وهتجنّن وأشوفها وإلحقوني . . بغرق وإنّي أتنفّس تحت
الا، وقارئة الفنضام . . ولمّا تشوفها تقولّها هشوفك تاني وبعد بُكرة!! "

ذلك كان عُمر الذي أخذ يُبكّت أحمد على تلك المُحادثة الركيكة في أول
اساء . . كانا في الأستوديو يُطالعان صور غادة: بس عارف البت أمّورة
ملاً . . أنضف حاجة عملتها في حياتك.

أحمد: يا إبني ما كانش ينفع أتكلّم معاها أوّل مرّة . .

عُمر: عاااجز . .

أحمد: البنت جت لغاية هنا يبقى أكيد عجبتها . . لازم أديّها فُرصة
تختار وتشوفني عن قرب، وبعدين إنت ناسي إنّي خطفتها
بالجواب كده مرّة واحدة . . بس شُفت ماطنّشتنيش أهه . . كُل
في نفسك . .

عُمر: يا إبني زمانها بتقول إيه جرادة البرسيم اللي أنا رُحتلها دي . .
بس باين عليها بنت ناس ومؤدّبة، زيي كده ما تتخيّرش عنّي . .

رماه أحمد بنظره اشمئزاز: طبعًا . . المُهم . . يلله عشان ورانا حاجات . .
الوقت ضيّق . .

غادرا الأستوديو، في حوالي السابعة والرُبع، وأخذا طريقهما إلى
الهرم . .

كان هُناك فرح كبير في قلب أحمد . . فرح غطّى على التوتُّر الذي أخذ
يتسلّل إليه تسلّل الحرباء . .

لم يكُن موقف السيارات الخاص بالكازينو قد امتلأ بعد . . البودى جارد حسن يقف بالباب والجو هادئ . .

أصبحت الثامنة عندما اقترب ذلك البدين من الباب . . قام لـه حسن عبده وهو على يقين أن ذلك المنطاد يظُن أن الكازينو مُستشفى الهرم : أهلاً يا حبيبي أؤمُر . .

عُمر : مساء الخير . . سامي موجود؟

حسن : سامي؟ سامي البارمان؟

عُمر : أيوه أنا جايلُه من طرف واحد صاحبه . . معايا جواب منُّه . .

حسن : خُش جوّه على اليمين . .

شكره عُمر ودخل الكازينو . . سأل عن سامي فأشاروا له ناحية البار . . كان يغسل كؤوسه : مساء الخير . .

سامي : مساء النور . . أهلاً . .

عُمر : أنا جايلك من طرف أحمد . . أحمد كمال . .

ظهر على وجه سامي التوتّر والانزعاج . . نظر حوله ثُمّ سحب عُمر من يده إلى حافة البار بعيداً عن العاملين، وهمس فيه بصوتٍ خافت : هو فين؟ هو عمل حاجة؟

عُمر : لأ . . ؟ أحمد كويس . . ده باعتلك حاجة معايا . . هو إيه اللي حصل؟

كشّر سامي ملامحه فبدا قُرصانًا غرقت مركبه : إمبارح الحكومة جت قلبت الصالة بالليل . . على الساعة ١٢ كده . . كانوا بيسألوا عن أحمد وجوده . . عِرفوا إن جودة تعيش إنت، مسكوا في أحمد كمال . . هو فين؟

آخر مرّة شُفتوه إمتى؟ قعدوا معانا واحد واحد. . ما كانوش مـصدّقين إنّـه مشى من هنا بقالوا أكتر من شهر . . فاكرينّـا بنداريـه . . دغـدغوا الأوضـة بتاعت جودة . . كانوا بيدوّروا على حاجة . . لَمّوا كمان الموبايلات وخدوها معاهُم واستلمناها من قسم الهرم النهارده الصُبح . . خدوا كمان كام واحـد على كام بت شكلُهُم شمال في البوكس . . الموضوع بسبب جلال مُرسى . .

واحد زبون عندنا هنا . . الصحفي بتاع جُرنال الحُريّة ده . . باين فيه حد صوّر حاجة غلط كده والا كده وبيلاعبه . . ده اللي فهمته من أسئلتهم . .

عُمـر : الموضـوع مـش كـده خـالص . . أحمـد جالـه عقـد عمـل في السعوديّة . . ربنا كرمُه . . واحد قريبه بعـت لُـه دعـوة . . سـافر وبيشتغل في شركة بترول هناك دلوقتى . . بعت الجواب ده وأمّنّى أوصّلهولك . .

أخرج عُمر الجواب، وناوله لسامي الذي فضّه، وبدأ يقرأ ما فيـه بعـدما تأمّل الظرف . .

كان الجواب مُقنعًا بشكل كبير . . يبدأ ببـسم الله وينتهـي بأمانـة الـسلام على كُل الزُملاء بالكازينو والدُعاء لهُم بالخير . . وفي الحشو بعض التفاصيل عن عقد العمل والاستقرار والمُرتّب الكبير والصلاة الوقت بوقته في الحرم . . كانت الرسـالة واضـحة . . أحمـد لـيس في مـصر . . ابتعـد وأصـبح خـارج الشُبهات . .

سامي : الحمد لله . . ده أنا دمّى نشف . . إنت عايز الجواب ده في حاجة؟ فيه ناس لازم يشوفوه . .

عُمر: خالص.. خلّيه معاك.. هو حكى لى إنّه بيعزّك إنت بالذا..
وحلّفنى أوصّلك السلام..

سامي: لا والله أحمد ده من الناس ولاد الحلال اللي كانوا هنا صراحة
كتّر خيره إنّه بيسأل..

لو بعتلك تانى قولّه سامي بيسلّم عليك.. مالهوش تليفون هناك لسّه؟

عُمر: لسّه والله.. أول ما يبقى فيه هخلّيه يكلّمك..

سامي: شكرًا يا حبيبي.. مُتشكّر أوى..

استأذن عُمر وابتعد ناحية الباب حين صاح سامي: كابتن.. إستنّى..

التفت عُمر وقد توتّرت أطرافه.. سامي كان يُمسك بالجواب في يده
ثانية واحدة..

تحدّث عُمر إلى نفسه.. مؤكّد هُناك خطأ في الجواب.. هُناك تفصيله أفلتت لتسترعي انتباه ذلك القُرصان.. رجع عُمر لسامي الذي أمسكه من كتفه واقترب من وجهه فظهرت سنّته الذهبيّة اللامعة: لو كلّمك قولّه سامي عايز منّك خدمة.. خدمة العُمر..

تكهرب كتف عُمر تحت يد سامي: خير أؤمُر..

همس سامي بفحيح: علبة فياجرا.. أصلى.. اللي هنا إنت عارف كُلّه مضروب.. والترامادول مبقاش يعمل حاجة..

تنفّس عُمر الصعداء.. لم يكُن يعرف أن هذا هو موسم تزاوج القراصنة.. نظر إليه عُمر نظرة أن يا خلبوص: أوّل ما يكلّمنى هبلّغه.. يا سلام.. تؤمرني بحاجة تانى يا زعيم..

سامي: شكرًا يا حبيبي.. ما تِنساش اللي قلت لك عليه.. أصلى هه..

غادر عُمر الكازينو مُغادرة رأفت الهجّان من عِند سوسو ليفي وإفرايم ولومون..

مشى حتّى شارِع فيصل.. توءم الهرم غير السيامي.. قهوة أبي السعود..

أحمد: عملت إيه؟

عُمر: قالبين عليك الدنيا من إمبارِح.. يلله من هنا..

قاما واستقلا ميكروباصًا.. في الطريق حكي عُمر لأحمد ما حدث.. بدا مأخوذًا وإن حاول التماسُك..

أحمد: الجواب دخل عليهُم؟

عُمر: عيب عليك ده أخوك اللي عاملُه.. ده أنا أعتزل.. حلو أوى لعب لغاية كده.. صح؟

أحمد: طبعًا حلو.. نزّلنا هنا يا أسطى..

عُمر: هننزل هنا نعمل إيه؟

وقف الميكروباص أمام مدخل كوبري عبّاس.. نزلا وتوجّه أحمد لأقرب كابينة تليفون..

كان يطلُب رقم جريدة الحُرية..

أتاه صوت حريمي من الجانب الآخر: جريدة الحُرية.. مساء الخير..

أحمد: مساء الخير.. معاكى أحمد محمّد من سكرتارية نقيب الصحفيّين..

السكرتيرة: أهلاً بيك.. تحت أمرك..
أحمد: الباشا كان عايز رقم تليفون صحفي كان عندُكم.. اسمه.. ثانية واحدة معايا.. آه علاء جُمعة.. الراجِل اللي عامِل مُشكِلة بتاع الإعلان ده..
السكرتيرة: أيوة أيوة ثانية واحدة.. مع حضرتك ورقة وقلم؟
أحمد: إتفضّلي.. مم مم.. شُكرًا.. مُتشكِّر أوى..
السكرتيرة: تحب حضرتك أوصّلك بأستاذ جلال؟
أحمد: لا مفيش داعي.. ده إجراء روتيني عشان محضر النقابة.. ما تشغليش باله.. مع السلامة..
التفت أحمد لعُمر: سجِّلت الرقم؟
ناوله الموبايل: أهه.. مين أحمد محمّد ده؟
أحمد: يا إبني نُص البلد أحمد ومحمّد.. أكيد فيه أحمد في السكرتارية..
عُمر: مُمكِن نرتِّب أفكارنا.. ما تقولّيش إنّك هتكلِّم علاء جُمعة دلوقت..
لم يُجبه أحمد.. كان بالفعل يضرب الرقم.. ستّة أجراس حتّى أجابه صوت ناعس: ألو..
أحمد: مساء الخير.. علاء؟
علاء: مين معايا..
أحمد: أنا واحد معاه حاجة تخُص جلال مُرسى.. مُهتم أكمّل؟
علاء: حاجة إيه؟
أحمد: مش هينفع في التليفون.. مُمكِن نتقابِل؟

علاء: أعرف منين إن ده مش مقلب؟

أحمد: مش هتعرف.. جازف.. معندكش حاجة تخسرها..

علاء: إمتى؟

أحمد: هكلّمك.. ماتقولش حاجة لحد.. سلام..

أغلق أحمد الخط.. كان يشعُر بإثارة لا حدود لها، في حين كان عُمر .فس شفتيه وينظُر حوله في قلق مُتصورًا سيارات الدورية تُحيط بهم من كُل .انب: إيه.. قال لك إيه يا إبن المجنونة؟

أحمد: هنتقابل..

عُمر: إمتى؟

أحمد: مش عارف.. سيبني أفكّر.. أنا ما كانش في بالى كُل ده يا عُمر.. الموضوع ده بيشدّني معاه أكتّى شايل حديد ونازل البحر.. ماينفعش أتراجع دلوقت..

عُمر: علاء جُمعة ده هينفعك في إيه؟ ده إتشرّد وسُمعته بقت زى الزفت.. مش هيقدر ينشُر حاجة..

أحمد: أنا عايز أعرف منّه حاجات عن حبيب أمين وشويّة ناس تانية.. علاء عندُه معلومات وأنا عندي صور.. مُمكن نبقى ثنائي مُحترم.. كمان أي جُرنال مُعادى لجلال مُرسى يتمنّى يشم ريحة وسخة.. دول ضيلان بتاكُل في بعض.. وجلال ريحتُه فاحت.. صدقني الصور دى هتبقى نهايته كصحفي.. الصور دي مُمكن تغيّر حاجات كتير..

عُمر: مش عارف.. جلال وحبيب ويمكن بعدهم فتحي بتاع العسا
وسالي كمان.. عايز توصل لإيه؟

أحمد: قصدك إيه؟

عُمر: يعني مش عارف ليه حاسس إن اللي جوّاك ده جُزء كبير منّه انتقام
يا أحمد مش عشان الناس.. بتعمله عشان كراهيّة ناحية البـ
دى.. مش بقول حقد.. بس كُل واحد فيهُم ليه سبب ا
تعاستك..

صحفي واطى بوشّين بوّظ تحقيق الحادثة من غير تفسير.. قلم من حبي
وسب مع فتحي العسّال.. أنا خايف يا أحمد نفضل نجرى ورا تار زى تـا
الصعايدة كده..

لم يرُدّ أحمد.. مشى ساكتًا يُدخّن.. كان عُمر في جُزءٍ ممّا قال علـ
حق.. لم يُنكر أن ما بداخله لم يكُن نضالا خالصًا للحقيقة والشرف
كانت هُناك رغبة داخليّة في إرباك هؤلاء.. تبديل للأدوار بينه وبينهُم
إضفاء الخوف كعُنصرٍ جديد لحياتهم.. كان يُريد أن ينقل لهم إحساسه
إحساس من يعيش على الحافة.. توقّفا في مُنتصف الكوبري.. كان النـ
يبدو هزيلاً.. مُنحسراً في أطرافه..

أحمد: وفيها إيه يعنى لما يكون عندي تار مع الناس دى.. لو كا
أذوني دلوقت فهمّا بيأذوا البلد دي من زمان أوي.. مش عـ
لما قرفي منهُم آخُد بيه تار ناس تانية.. ناس ما عندهاش الو
ولا إمكانيّة إنّها تفوق وتدوّر على حقّها.. تحارب عشانه
الناس خايفة على أكل عيشها..

عُمر : وإنت اللي هتحارب؟؟

أحمد : يمكن يا سيدى . . بقولّك إيه . . إنت خايف وأنا كمان خايف بس مفيش حل . . ساعدني . . أنا لو ما كمّلتش نكش ورا الناس حياتي مش هترجع زى ما كانت . . مش هيبقي ليها طعم . . هحس إنّى ماليش لازمه . . أرجع تانى آكُل وأشرب وأشتغل وأنام؟ إيه الفرق ما بينى بقى وبين كُل الناس اللي ماشية جنبك دى . . ولا حاجة . .

عُمر : مُقنِع وهتودّينى في داهية . . هتكلِّم علاء إمتى؟

أحمد : بعد ما أقابل غادة بُكره . .

في اليوم التالي وفي تمام السادسة جاءت . . كانت تضع عطراً برائحة التُفّاح . . فاتنة كما هي لم تتغيّر . . ابتسمت خجلاً عندما رأت صورتها . . سألها إن كان قد أزعجها بجوابه . . أجابته بنعم . . كُتلة آيس كريم باردة انزلقت في ظهره . . ابتسمت له أن لا عليك، فأنا لم أعهد تلك الطريقة فقط . . سألها أين يخطو الخطوة التالية . . أجابته : في الفنون الجميلة . . لم يفهم . . مُمكن أشوفك يوم واحد بس في الأسبوع . . بعمل دراسات عُليا وبدّي كورس للأطفال . . تنمية القُدرات الفنيّة . . كُل يوم حد . . مُمكن تجيب الكاميرا . . الساعة ١٠ الصُبح . . سألها المُتيّم : مُمكن رقم التليفون؟ . . أجابته الكاميليا : أشوفك أحسن في الكُليّة . . خرجت وخرجت وراءها روحه . .

ظلّ يُراقبها وهى تركب التاكسي . . ابتسمت له وهى تُغلق الباب . . ظلّت رائحةَ التُفّاح في أنفه دقائق حتّى حلّت محلّها رائحة أخرى لا تنشأ إلا

عن ثلاثة أشياء.. إمّا سلّة بيض ممشّش، أو حمار نافق مُنتفِخ مُلقى في ترعة المنصورية تنهشه كلبة بلدي حامل.. أو.. معدة عُمَر بعد أكلة كشري بالتقلية!

عُمر: إيه الأخبار؟؟

أحمد: أنت فسِّيت؟

عُمر: تقريبًا..

تركه أحمد وانسحب سريعًا إلى الداخِل: رايح فين يله؟؟ أحماااااد؟!!!

نجا بحياته ولم يُعقِّب..

....

كانت كابينة التليفون العمومي على كورنيش النيل أمـام فنـدُق شـهرزاد بعيدة نسبيًا عن المنيل، وإن كانت معهما سيّارة ١٢٨ مملوكة لابن عمة عُمـر المسافرَ للسعوديّة.. استلفها عُمر من عمّته بحجة أنّها ستعطب من طـول الوقفة وتحتاج إلى السير وتغيير الزيـوت.. وافقـت على أن يأخُـذها يوميًـا لمشي قليلاً حتّى رجوع ابنها بعد أيمان غليظة بسلخ فـروة الـرأس إذا مـس السيارة سوء..

ممّا أعطى الفُرصة لأحمـد أن يتّصل بعـلاء مـن مكـانٍ مُختلـف، تجنبًـا للمُتابعة إذا حدثت..

عُمر: إستنّى.. طب افرض إنّه مِتراقِب؟؟

أحمد: هنعرف..

عُمر: إنت مُتأكد إن الطريقة اللي إنت بتقولها دى هتنفع..

أجابه أحمد وهو يطلُب الرقم: يا إبنـى أيـوة شُـفتها في فـيلم.. منطقيّـة أوى..

جرس.. ألو..

حاول أحمد أن يبدو واثقًا: فاضي النهارده.. إحنا إتكلّمنا إمبارِح..

علاء: فاضي.. نتقابل إزّاى..

أحمد: تعرف شارِع شريف.. عند البنك المركزي.. إستنّى قُدّام البـاب الرئيسي..

علاء: إمتى؟

أحمد: الساعة واحدة..

علاء: مش متأخّر؟

أحمد: البس قميص أبيض.. أشوفك هناك.. ما تتأخّرش..

علاء: حاضر..

أغلق أحمد الخط قبل "حاضر"

"إمعانًا في الغموض"..

قضيا الوقت يتناقران في تفاصيل المُقابلة المُنتظرة مع علاء.. حتّى باتت الواحدة إلا الرُبع في ذلك الشارع الإقتصادى المملوء بالحيوية صباحًا.. وول ستريت إذا اجتاحه تسونامى من الأتربة.. الهادئ جدًا ليلاً.. كان من السهل رؤية ذلك الأسمر الواقف بقميص أبيض أمام الباب الرئيسي يقرُض أظافره.. ظل علاء يقرض لربُع الساعة حتّى اقترب من الكوع.. تلك العادة التي فشل في الإقلاع عنها فشل التمساح في ركوب العجل.. حتّى رنّ هاتفه..

علاء: ألو..

عُمر من تليفون عمومي في ممر بجانب البنك: علاء.. فيه ممر قبل البنك.. ممر البورصة.. فيه قهوة هناك.. إتمشّى بسُرعة وإستنّى عندها..

قبل أن يرُدّ علاء كان عُمر قد وضع السمّاعة.. "إمعانًا في الغموض".. أخذ علاء طريقه للممر.. كان عُمر يُراقبه وهو جالس في القهوة أمام شيشته وأحمد من السيّارة يستعرض الشارع الطويل الهادئ خلفه، علّه يجد من يمشي وراءه.. تلك كانت الفكرة.. استدراجه لمكان

حال نسبيًا، ثُم الجلوس في مكان صاخب كقهوة، وله أكثر من مخرج . .
مثل ممر البورصة . . قهوة كبيرة جعلت الناس تتناثر من حولها كنجوم
السماء في ليلة مُزدحمة . . صخب وكركرة شيشة وضحكات عالية تفلت . .
شرائح مُتباينة لا يربُطها رابط . . أصوات خبط الدومينو وقواشيط الطاولة
تبدو مُتناغمة رغم اختلاف مصادرها . . نكات وقفشات . . هموم وأسرار
ومُشكلات يحملها الدُخان بعيدًا إلى السماء . .

سماء القاهرة . .

ظل علاء واقفًا يبحث بعينيه في الناس إلى أن جاء القهوجي : إتفضّل يا باشا . .

علاء : لأ شكرًا . . أنا مستنّي ناس . .

القهوجي : فيه أستاذ على الترابيزة اللي هناك دي بيندهلك . .

و أشار بيده إلى ترابيزة جلس عليها "أحمد وعُمر" . . اتجه إليهما وهو يتأمّل "لوريل وهاردي" اللذين لعبا بأعصابه ليومين . . بدأت علامات الاستفهام تطُلّ منه حتّى قبل أن يجلس معهما . .

علاء : أظُن أنا محتاج تفسير . .

أحمد : أكيد . . مُمكن أشوف بطاقتك؟

تيبّس علاء خمس ثوان قبل أن يُخرج بطاقته من محفظته القديمة : اتفضّل . .

تأمّل أحمد البطاقة : علاء حسين السيد جُمعة . . صحفي . .

أعاد أحمد البطاقة : مُمكن أسألك سؤال . .

هز علاء رأسه بضيق أن تفضّل . .

أحمد: إنت إترفدت من الجُرنال ليه؟

علاء: أولاً أنا ما إترفدتش.. أنا استقلت..

أحمد: بداية كويسة..

أخرج أحمد علبة السجائر وعزم عليه بواحدة..

علاء: شُكراً.. ما بدخّنش..

أحمد: خير ما عملت.. احكي لى إيه اللي حصل؟

علاء: مش أعرف الأول أنا بتكلّم مع مين؟

أحمد: بعد ما تجاوب سؤالي..

علاء: خلاف في الرأي مع رئيس التحرير.. موضوع أضفت فيه جُملة.. معلومة كلفتني كتير..

أحمد: حبيب شريف أمين.. كان أحمد يُلقى بأحجار النرد طالبًا "دُش(*)" من سبعتين..

علاء: إنت مين بالظبط؟؟

أحمد: قُلت لك أنا واحد معاه حاجة تدين جلال مُرسى..

علاء: ده ما يفسّرش إنت ليه بتكلّمنى أنا بالذات؟ عندك الجرايد كُلّها يتمنوا جنازة يشبعوا فيها لطم.. إنت عارف إن عندي مُشكلة مع النقابة..

أحمد: ده بالنسبة لجلال..

علاء: تقصُد إيه؟

أحمد: لو معايا حاجات تمس ناس تانية؟

(*) مصطلح يقال في القهوة حين يكون حجرا النرد على رقم ستة..

علاء: ناس زى مين؟

أحمد: ناس زى حبيب أمين مثلاً..

علاء: وضّح لي..

أحمد: علاء.. إنت محتاج مساعدتي.. وأنا كمان محتاج مُساعدتك.. أنا عندي صور مشبوهة لشوية ناس تقدر كده تقول.. كريمة البلد.. أعضاء مجلس شعب.. رجال أعمال.. سياسيين.. مجموعة ناس ليهُم تأثير وصوتهُم مسموع.. صور لناس الصبح على صفحات الجرائد أعداء وبالليل بيتقابلوا سمن على عسل.. صور ليهُم مع رقّصات وموامس.. صور ما يتمنّاش حد يشوفها.. تقدر تقول كده حياة الليل الخاصّة..

بدا على علاء الاهتمام: وإنت جبت الصور دي منين؟

أحمد: تقدر تقول إنّي ورثت الصور دي من واحد عزيز عليّا..

اشتعل حس علاء الصحفي.. حمل الكرسي واقترب من أحمد حين نزل لي شيشة أحمر فوق الترابيزة صنع فرقعة كادت تُطيح بالشاي في وجه علاء: إستنّى..

كان ذلك عُمر الذي بدا كبوسايدون إله البحر عند الإغريق بعصاه الأشبه بالشوكة: ثانية واحدة..

أحمد: ده عُمر صاحبي.. نسيت أعرّفك عليه..

غمز عُمر لأحمد وهز رأسه بعصبيّة: عايزك دقيقة..

أحمد: أستأذنك يا علاء..

قام عُمر وتبعه أحمد لرُكن بعيد نسبيًّا: إيه.. إنت ناوى على إيه؟

أحمد : يعنى إيه ناوى على إيه؟

عُمر : أنا شايفك هتفتح معاه في تفاصيل . .

أحمد : وإيه المُشكلة؟

عُمر : إيش عرّفك إننا نقدر نثق فيه؟

أحمد : أولاً إحنا اللي كلِّمناه مش هو اللي سعى لنا . . ثانيًا عدو عدوك هو صديقك . . يعنى بما إنّ جلال طردُه أكيد هيتمنّى فُرصة يرُد بيها اعتباره . . ثالثًا هو ما يعرفش إحنا عايزينه ليه . . مش هيلحق يفكّر . .

عُمر : طب ولو باعنا . .

أحمد : مش هيبعنا . .

عُمر : إشمعنى؟؟

أحمد : إيه اللي يخلّيه يخسر معلومات زى دى . . ده يبقى غبي . .

عُمر : صدقني من أوّل قلم هيقول مين اللي إدّاله الصور . .

أحمد : ده إذا عرف إحنا ساكنين فين . .

عُمر : هتودِّينا في داهية . .

أحمد : ما تنبُرش زى المرة المتطلّقة . . جبت اللاب توب من الإستوديو؟

عُمر : في شنطة العربية مع الكاميرا . .

عُمر : طب لو نقل نمر العربيّة . .

أحمد : مش دى عربيّة حسن إبن عمّتك؟

عُمر : أيوة . .

أحمد : بتحب عمّتك إنت أوى؟

عمر: يعني.. في مقام جوز خالتي كده..

أحمد: خلاص ننزل بكرة نعمل محضر سرقة نقول فيه العربية إتسرقت من قُدّام البيت إمبارح، ونلاقيها بكرة مركونة تحت كوبري الملك الصالح.. ويلله عشان الراجل قاعد مستني..

جذبه من ذراعه ورجعا إلى علاء الذي كان لا يزال يُعاني شعورًا بالجهل العام..

أحمد: آسف على التأخير..

علاء: ولا يهمّك..

اقترب عُمر من وجه علاء فطفحت رائحة الشيشة من أنفاسه: باشمُهندس علاء.. لو أي حد عرف اللي هيتم في القعدة دي.. صدّقني مش هتحب تعرف مُمكن أعمل إيه.. أنا مش بهدّدك.. بس الموضوع إحنا عارفين كويس أوي إنّه خطر.. لو حصل أي حاجة إنت معانا.. من دلوقتي تقدر تحدّد، يا تكمّل؛ يا تنسى إنّك شُفتنا أصلاً.. وعلى فكرة إحنا مش لوحدنا.. ماشي.. مش لوحدنا..

ظلّ علاء صامتًا.. لم يكُن يُفكّر في الإجابة.. كان يُفكّر في القدر الذي بعث له بهؤلاء بعدما توقّفت حياته.. كان يعرف جيدًا نتيجة غضب جلال مُرسي عليه.. فقد مصدر رزقه ونفي من الحياة الصحفية.. أصبح منبوذًا كمريض جُذام بين الأصحّاء.. الكُل يخاف الاقتراب أو حتّى المُساعدة..

لو سقط في حُفرة.. لن يمد أحدًا يد العون؟ قد يجد..

يد مجزوم مِثله..

كان مُتّفقًا مع أحمد في عامل أساسي.. لم يكُن لديه ما يخسره.. علاوة على عدم وجود أسرة أو أطفال.. كان مثاليًا للمُجازفة.. لم يكُن شيء ليوقفه بعدما عرف بوجود شيء على جلال..

كان منطقيًا أن يقول: معاكُم..

قام أحمد: يلله بينا..

علاء: على فين؟

أحمد: هفرّجك على مصر..

في السيّارة، حكي أحمد لعلاء باختصار الملابسات التي حدثت في الأشهُر الماضية.. مُنذ انتقل إلى الكازينو حتّى راسل جلال مُرسي بالرسائل السوداء.. كما حكي له علاء أيضًا عن حياته.. قصّة الكفاح سيّئة الحظ.. تخرّج في كُلية الآداب قسم صحافة سنة ٨٩.. كان مُعدمًا لكنّه استطاع في وقت قصير أن يحصُل على فُرصة تدريب في جريدة قومية شهيرة.. أخذ يتنقّل كالنحلة بين أكثر من باب مُحاولاً الاستقرار على رؤية لطريقه.. عقبته الوحيدة كانت المبادئ.. تلك العقبة التي جعلته يصطدم ويتعثّر ويسقُط على وجهه في دائرة الدرجة الثالثة صحافة، فئة الصحفي المُشاغب.. ألغيت أكثر مقالاته.. لم تكُن لتُناسب ذوق رئيس التحرير الذي يتلقّى الخبر من الجهات التي يُهاجمها علاء.. حتّى فوجئ بالاستغناء عنه.. عاش ثلاثة أشهُر من الكفاف.. حتّى وجد فُرصة في إحدى الجرائد المُستقلّة.. لم يستمر بها أكثر من شهر.. كانت صفراء أكثر من اللازم وكان يحتاج إلى مُرتّب مجهوده في الثلاثين يومًا.. تنقّل بعدها بين ثلاث جرائد، آخرهُم كانت جريدة الحُريّة..

وجد نفسه فيها . . أخذ اسمه يظهر ويتكرّر . . طرق شوارع خلفيّة مظلمة . . لم يكُن يخاف لأنّه لم يكتب خبراً بلا مصدر ولا دليل . . تحقيقات واسعة عن الفساد في أجهزة الدولة . . تحقيق مُطوّل عن الرشوة التي حوّلت المجتمع المصري إلى إسفنج، حجم كبير من الخارج وهشاشة من الداخل . . هاجم الفنانات اللاتي حوّلن الشاشة إلى سوق نخاسة، يستعرضن فيه أجسامهن ويظهرن بعد ذلك في برامج السمر في رمضان . . كان عينًا ساخطة . . عينًا مُزعجة . . حتّى أتى يوم تغيّرت فيه رئاسة الجريدة . . قراراً مفاجئ من رئيس التحرير أيّده فيه سريعًا رئيس مجلس الإدارة: لقد اكتفيت بما صنعت . . سأخرُج وصفحتي بيضاء . .

هكذا قال . . هكذا رحل، وهكذا تولّى الدفّة "جلال مُرسي" . . لم يكُن أحد يعرف عنه شيئًا . . ظهر فجأة كأنّه انبعث من العدم . .

كُل الدلائل كانت تُشير إلى أنّه صحفي نشط . . في أوّل أسبوع له شنّ حملة تغييرات واسعة، في الشكل والمضمون وحتّى الألوان . . بدت مقالاته ثورية صارخة لا تعبأ بحكومة ولا بمسئولين . . كان كالسوط اللاسع . . صعد بجريدته إلى مُنافسة الجرائد القومية . . أصبح رقم واحد . .

لم يكُن أحداً يعرف مصادره . . كأنّه يآخي شياطين من مُستقي الأخبار . .

حتّى بدأ يحكُم سيطرته على الصحفيين . . بدأ برفُض المقالات من دون إبداء سبب واضح . . يُحوّل اتجاهات الجريدة . . يُهاجم من غازل من قبل، ويهادن من كان عدوًا . . ينعزل . . لا يُناقش أحداً ولا يقبل رأيًا . . يثور لأتفه الأسباب . . انتشرت شائعات لم تتأكّد عن صلات خفية له بمسئولين

كبار . . أخذ يرفض لعلاء أكثر من مقال ما كان ليرفضهم من قبل . تصاعدت حدّة التوتّر معه وازدادت المُشاحنات ، وإن كانت لم تصل إلى ما وصلت إليه في آخر حوار . . لم يكُن الوحيد الذي شم رائحة مُريبة لكنّه الوحيد الذي كان يواجه "جلال" . . يُخرِج له المقالات السابقة من الجريدة التي تتناول نفس الموضوعات التي يرفُضها الآن . . كان يقول له باستعارة مكنيّة : أنت مُنافق . . لم يكُن جلال يستطيع دحره . . كان مُستفزًّا وعلى حق . . صُداعًا مُزمنًا . . حتّى قدّم علاء رأسه بنفسه لجلال على طبق من فضّة حين هاجم "حبيب شريف أمين" . . كان الصدام النهائي مُعدًا مُسبقًا . . قذف به إلى البيت ليُشارك الأثاث البالي أحلامه . .

تخطّت الساعة الثانية والنصف صباحًا عندما توقّف عُمر بالسيّارة في مدخل الزمالك بعد أن لفّ جميع ميادين وشوارع وسط البلد ، يستمع لعلاء وأحمد الذي نزل وفتح الصندوق الخلفي للسيّارة ، كان يرقُد فيه كمبيوتر محمول والكاميرا الخاصّة بأحمد . . أحضرهُم ورجع يركب إلى جانب علاء في الخلف . .

فتح اللاب توب ووضعه في حجر علاء . .

علاء : إحنا رايحين فين؟

أحمد : مش رايحين . . إحنا هنفضل في العربيّة . .

قالها وبدأ فتح ملفّات الصُّور : قبل ما أوريك صور "جلال" عايز أسألك على حاجة؟ فاكر حادثة بار "ڤيرتيجو" ؟

علاء : طبعًا . . أهو ده من الخلافات الكبيرة بيني وبين "جلال مُرسى" . .

أحمد: ليه؟

علاء: عشان بِبساطة أنا اللي كُنت كاتب الموضوع، ومن غير أي تفسير جلال هو اللي تولّى التحقيق بين يوم وليلة.. وطبعًا غيّر كُل اللي كُنت كاتبه.. إشمعنى بتسأل عن الموضوع ده بالذات؟

أحمد: مفيش ظرف صور جالكم على المجلّة فيه تصوير للحادثة؟

علاء: ما حصلش.. هي صورة واحدة جابها جلال من مصدر في الطب الشرعي وبنى تحقيقه عليها..

أحمد: طب بُص كده.. فتح أحمد أوّل صور الفندق..

بتوالي الصور، تدلّى فك علاء السفلي وكاد يطول رُكبته: الصور دي إ إي؟ كانت فين؟

أحمد: الصور دي أنا بعتّها لجلال وأنا اللي بعتّ الصورة وقت الحادثة كمان.. جلال ليه مصلحة يخفي الصور دي زي ما ليه مصلحة يقفل على موضوع "حبيب شريف أمين"..

علاء: أنا كنت مُتأكّد.. بس ما كنتش أتصوّر إن الموضوع يبقى بالمنظر ده.. إنت معاك صور جريمة قتل حصلت من أكتر من سنتين إتقفل التحقيق فيها..

أحمد: وجُرنال أصفر بيشم الأخبار من الهوا مش عايز ينشرُها.. مش غريبة دي؟

علاء: جرّبت تبعت الصور لجرايد تانية؟

أحمد: ومفيش أي رد فعل..

علاء : يبقى فيه تعتيم . . فيه أمر جاى من فوق بقفل الكلام في الموضوع ده . . جلال يستحيل هينشُره . .

جلال مِش هيسكُت . . اللي إنتوا عملتوه فيه ده كويس بس مش كفاية . .

أحمد : عشان كده أنا كلمتك . .

فتح أحمد له خزائن أسراره . . خزائن قارون . . رأى "جلال" العاشق مع فتياته . . بدون قناع . . "حبيب" و"سالي" و"فتحي العسّال" وغيرهُم . . رآهم عُراة . . تعرّف على كُل الوجوه التي لم يعرفها أحمد ومن لا تظهر صورهم في الجرائد أو التليفزيون . . بات مصعوقًا مُتخبط الفكر لا يكاد يُصدق ما رأى . .

إيه رأيك؟

علاء : رأيي في إيه . . إنت عارف الصور دى مُمكن تعمل إيه؟

أحمد : ده في حالة لو حد وافق ينشُرها . .

علاء : الصور دى تعمل زلزال يا أحمد . . أوضاع وسخة تهز ثقة الناس فيهُم . . يعنى المُستشار فاروق البسيوني . . حد يتخيل علاقته بعُلا زايد . . راجل ليه ثُقله متصورّ مع واحدة زى دى على ترابيزة بتلعبله في شعره؟؟ طب إنت عارف "عُلا زايد" دى مفيش حد ما لفّش عليها . . بنت التخينة دى، ليها حتّة مُكالمة تليفون مع واحد بيعايرها على علاقاتها الوسخة وهى بتشتمُه . . بتقوله يا "سوكولوه" . . وجلال مُرسى يعمل تحقيق عن "عمرو حامد" قرّب يطلّعه دراكولا وسايب "خالد عسكر"

يـنهش في الراجـل براحتُـه وهـو غرقـان في علاقاتُـه بالبنـات الصُغيّرة؟؟ "العسّال" بتاع التموين الغذائي اللي واكل الدنيا. . تصدّق إن ليه عندي ملفّ لو إتفتح هيودّيه في داهية. . الراجل ده بيأكّلنا زبالة. . بيوردنا لمُستـشفي الأورام. . رجـوع تـانى لفـترة التمانينات، فاكر أكل الكـلاب والقُطـط اللـي بـاعوه علـى إنّـه بولوبيف؟ بس مين كان يصدّقنى بالورق بتاعى ومستنداتي كـده حاف وأنا بشتغل في الجُرنال ما بالك دلوقتى بوضـعي ده وأنـا في الشارع. . "حبيب أمين" ابن تالت أكـبر راس في البلـد. . مـن أين لك هذا هو وأبوه، مش كفاية. . مليارات في البنوك. . قُرى سياحيّة في شرم والغردقة والساحل الـشمالي. . "سـالي" اللـي بتتأجّر على أعلى مُستوى وعامله فيها خضرة الشريفة، وبتأوّأ لما حد يفكرها بشريطها مع "هشام فتحي". . الناس دى بتضحك على نفسها الأوّل قبل ما تضحك علينا؟؟؟

أحمد: شايف إيه؟

علاء: نولّع فيهُم. .

أحمد: مش فاهم.

علاء: صورك دى مش هتفضح جرايمهُم في حق النـاس، بـس هتفقـد احترام الناس ليهُم. . هتهـز الثقـة. . الـشعب النـايم ده بيحـب الزيطة. . نقلب عليهُم الترابيزة. . نديلُه فضيحة نصحيه بيها. . نشيل الفوطة من على نُصّهُم التحتانى. . نوريهُم اللـي بيأكّلـهُم ويشربهُم بيودّى فلوسهُم فين. . يشوفوا المومس اللي بتهز الهـزّة

بالألوفات وشغّالة سبعة راكب وفيه عُلماء عايشين على الكفاف.. يصدّقوا إن مفيش فايدة.. يعرفوا إن فيه خطة موسّعة للإستعباط.. للاستحلاب.. الشعب ده إيه؟؟ مش ناوي يصحى بقى؟

أحمد: هتساعدني؟؟

علاء: هي دي فيها سؤال؟ أنا عندي معلومات ومُستندات وأوراق عن كُل واحد من الناس اللي في الصور دي.. تقدر تقول كده عندي أدلّة.. بس عايزة بُهارات.. معلومات عايزة صور تفتح لها الطريق.. حاجة تخلّي الجُرنال يخاف يضيع منُه السبق الصحفي.. عندي حاجات عن "حبيب والعسّال".. إنت عارف إنهُم شُركاء؟؟ بس حبيب مش في الصورة.. فيه مصدر من الشركة جاب لي مُستندات تثبت فضايح في مواصفات الجودة وتاريخ الصلاحية في المُنتجات الغذائية بتاعتهُم.. الألبان والجبن والعسل.. كُلُّه.. الراجل ده بيستعمل مواد غير آدميّة في إنتاجُه، أبسطها الفورمالين البودرة وآل إيه أورجانيك.. حضّرت الملف الكامل وعرضتُه على جلال.. تعرف عمل إيه؟؟ أخد الملف كُلّه بالمُستندات والشهادات ووعدني يدرسه وبعد أسبوع فوجئت بالهجوم على "نوتريمينتال".. مُنافسهم الوحيد.. وإعلان كبير للعسّال جروب في الصفحة الأخيرة وفقرات مُقتبسة من المقال بتاعي مكتوبة، بس ضد "نوتريمينتال" مش "العسّال".. دلوقتي احتكروا السوق.. مفيش مُنافس. إتجنّنت، وده اللي مهّد لنهايتي مع جلال.. من بكرة هبتدي

أشوف حد مُحترم يقبل يفتح الملفّات دى للناس. . الموضوع مش مُمكن يستنّى أكتر من كده. . صورك دى هتعمل رد فعل واسع. . هتجرأ أى جُرنال إنّه ينشُر مقالاتي. . الصور هي اللي بتبيع. . هي اللي بتجيب القارئ. .

أحمد: فيه حاجة. .

علاء: إيه؟؟

أحمد: الصور دى المفروض إنّك جايبها منين؟

علاء: يستحيل أفضح مصدري. .

قال عُمر وهو ينظُر إلى علاء في المرآة: من أوّل قلم هتتكلّم. .

علاء: إنت ما تعرفنيش. . وبعدين مين قالّك إنى ما جرّبتش. . ياما إتشدّيت في أمن دولة. . بس المرّة دى الوضع يختلف. . دى فضيحة بالصور، في ساعة زمن توصل أسوان. . إنت ناسى شريط سالي وهشام فتحي عمل إيه. . الصور دى ألعن وأضلّ. . الفضيحة هتمشّى نفسها بنفسها. .

عُمر: طب وإنت مش خايف. .

علاء: ما قلتّلك. . مش هخسر أكتر من كده. .

أحمد: طب وصور الحادثة. .

علاء: هي دى فاكهة الموضوع. . بعد أيّام مصر كُلّها هتعرف مين اللي قتل "هشام فتحي". . هتعرف المصالح الشخصيّة ورا الحادثة. . بس بعد ما ياخُد "جلال" أوّل قلم عشان يطلع من الأحداث ويختفي. .

كان حماسيًا . . مشحونًا . . بسماره وهيأته وجبينه العريض . . كان كمناضلي ثورة ١٩١٩ تملؤهم المبادئ، يصرخون في وجه الفساد بلا رهبة . . مؤمنين بالقضية . . ظلّ الثلاثة في نقاش طويل حتّى الساعات الأولى من الفجر إلى أن توصّلوا لاتفاق . .

أن يُجهِّز علاء ردًا على جلال ومزاعمه وينشُره في جريدة " الجيل الحُر " . . كانت أنسب جريدة من وجهة نظر علاء . . مُحايدة مائلة للحق ومُنافس معنوي لجريدة جلال مُرسي . . سيسعد كثيرًا باستضافة فضائحه . . يشن من بعدها علاء تحقيقًا واسعًا بالصور عن حادث البار، يتبعه بحملة على ذوى النفوذ أصحاب الصور من تركة جودة . . وأن يبقى أحمد وعُمر بعيدين عن الأضواء تجنّبًا للشبهات . .

انقضت الليلة الطويلة، توقّفت السيارة في شارع جانبي من شوارع وسط البلد . . نزل علاء ليودِّع أحمد وعُمر عندما استوقفه عُمر : ثانية واحدة . .

أخرج عُمر الكاميرا وسدّد عدستها لعلاء، والتقط له صورة وهو واقف كاملاً . .

علاء : دى ليه؟

عُمر بسُخرية : هعملّك كارنيه . .

أحمد : سيبك منّه . . المُهم أنا هبقى أطّمن عليك . . الـ" CD " ده أنا عاملهولَك، عليه كُل الصُور . .

أخذ علاء الـ" CD " : ما تقلقش . . سيب الموضوع عليّا وإدعيلى . .

ليلتها نام أحمد ثلاث ساعات . . أسعد ثلاث ساعات نامهُم في عُمره . .
صحى في قمة نشاطه وتوجّه إلى الأستوديو . . كان بداخله شعور بزحزحة
جسم ثقيل من فوق صدره كاد يقصم ظهره . . فهو بأية حال ليس بكفاءة علاء
ولا بتمرّسه في الصحافة ، إلى جانب رغبة الانتقام لديه والرغبة الشديدة في
رد الشرف التي ستجعل الصور معه سلاحًا لا رادع له . .

في طريقه مرّ بكُشك جرائد اشترى منه جريدة "الحُريّة" . . مسح
صفحاتها . . لم يجد ما يمُت بصلة لصور بار "ڤيرتيجو" . . لم يتعجّب . .
كان يتوقّع رد فعل مثل هذا من "جلال" . . إلا أن تحقيقًا كبيرًا احتل
الصفحة الرابعة كاملاً كان يتحدّث عن الصور المُزيّفة عن طريق
الكمبيوتر . . صور مُزيّفة على الإنترنت لفنانات عربيات وأجنبيات
موضوعة رؤوسهن على أجسام عارية . . كان ذلك بداية ضربة إجهاضية
من جلال ، وتمهيدًا لظهور صوره على الساحة . . لم تعُد مهمّته الآن على
أية حال . . طلب علاء منه الاختفاء . . الكُرة في ملعبه الآن . . أمهله
أسبوعين لتهدأ الأحداث وليتدبّر فيهم أمر الرد على "جلال" . . كان
يُخامر أحمد شعور داخلي يُشبه توصيل مريض في حالة حرجة إلى المُستشفى
إنقاذًا لحياته . . وإن ظلّت الهواجس تُحاصره . . لا تتركه ليلاً أو نهارًا رغم
صراخه في وجهها . . هل ينجح علاء؟؟

كان أمامه أسبوعان من الانتظار . . وخمسة أيّام حتّى يوم الأحد . . يوم
يلقى "غادة"

. . . .



مرّ الأسبوع ببطء شديد.. بطء من ينتظر نتيجة الثانويّة العامة.. ملل الجائع في انتظار وجبة.. سأم الطالب من حصّة التربية الوطنية.. تخلّل الأسبوعين عمل محضر عن سرقة سيارة حسن ابن عمّة عُمر، ثُمّ أُغلق المحضر بالعثور على السيّارة تحت كوبري الملِك الصالِح، ومُكالمتان لعلاء إحداهما بعد يومين من اللقاء..

بعد السلامات..

أحمد: إيه الأخبار؟

علاء: مش هتصدّق.. كلمت الناس اللي قُلتلك عليهُم.. زى ما توقّعت..

أحمد: يعنى إيه؟

علاء: فيه بُكرة مُقابلة..

أحمد: هيوافقوا؟

علاء: عرضنا ما يترفضش..

أحمد: مش خايفين؟

علاء: دول مستعجلين..

أحمد: خلّي بالك من نفسك..

علاء: ماتخافش.. خليها على الله..

أحمد: سلام.

علاء: مع السلامة.

بعد يومين..

ألو..

أحمد: إيه الأخبار؟

علاء: الإسبوع الجاى إشترى جُرنال " الجيل الحُر " .. مش هتصدّق.. كُل فضايح الزبون صفحة أولى.. مقال هيشيله من على الخريطة..

أحمد: اسمك هينزل عليه؟

علاء: لأ طبعًا.. أنا فهّمتُهُم إن الصور دى إتبعتتلى من مجهول.. وشارط عليهُم اسمى ما ينزلش..

أحمد: أنا قلقان مش عارف ليه؟

علاء: قلقان من إيه يخبطوا دماغهُم في الحيط.. المُهم يعرفوا يردّوا على المقال الأول ويدافعوا عن صاحبك.. المرّة دى صعب يدافع عن نفسه..

أحمد: كلّمنى لو فيه جديد..

علاء: أكيد.. مع السلامة..

السبت.. الساعة العاشرة صباحًا مرّ أحمد على بائع الجرائد في طريقه للإستوديو.. اشترى خمسة أعداد بعدما رأى الصفحة الأولى.. صورة لجلال يحتضن إحدى الفتيات، وضعوا شريطًا أسود على عينيها حتّى لا يُتعرّف عليها، ومانشيت باللون الأحمر يقول: " هل هذه هى الحُريّة يا رئيس تحرير الحُريّة " ..

تحته خمسة أسطُر عريضة: "أين يسهر جلال مُرسى كُل مساء؟ يدعو إلى الفضيلة ويُجادل الدعاة صباحًا، ويسهر في كازينوهات شارع الهرم ليلاً.. خليلاته لا يزيد سنّهُن عن الثامنة عشر.. يستقى أخباره من السكارى وفناني الدرجة الثالثة.. صور مجهولة المصدر تصل من شخص يتتبّع "جلال مُرسى" رئيس تحرير جريدة الحُريّة.. تفاصيل الجانب المُظلم لجلال مُرسى.. "الجيل الحُر تفتح الملفّ الأول لسهرات نجوم المُجتمع.. مُفاجأة العدد القادم "هل تتذكّرون حادث بار ڤيرتيجو؟" وقائع وصور تُنشر لأول مرة..

عُمر: الواد ده طلع جامد..

أحمد: مش قلتلك.. الدنيا زمانها إتقلبت..

عُمر: بس مفيش حد يعرف مين ورا الموضوع ده؟

أحمد: علاء مش مكتوب إسمُه.. وإحنا برّه الموضوع.. وجلال دلوقتي زمانه بيفكّر ينتحر..

عُمر: بصراحة شهدت لك.. أنا لو مطرحه.. أبلبع إزازتين فنيك ووراهُم شويّة بايروسول وأمضمض من الكابينيه وبعدين أرمي نفسي من منطّ حمّام سباحة وهو فاضي..

أحمد: أقل واجب.. إنت مش مُتخيّل أنا مبسوط قد إيه.. أوّل مرّة أحس في حياتي إنّي عملت حاجة.. حاجة كبيرة.. دخلت في الأحداث بدل ما إحنا ماشيين جنب الحيطة كده..

عُمر: قاصدك في الحيط من جوّة..

أحمد: لسّه المُفاجأة.. الناس كده هتستنّى بفارغ الصبر العدد اللي جاى بعد صور جلال المنيّلة دى.. صور الحادثة وموضوع العسّال وحبيب..

عُمر: وإحنا مفيش أى واجب كده من الجُرنال عشان حتّى شبويّة الفوتوشوب اللي عملناهُم دول..

أحمد: يا ريت كان ينفع.. نتنسف لو ظهرنا في الصورة.. الفضيحة اللي جايّة وعليك خير..

عُمر: الله يرحمك يا جودة..

أحمد: لو كان موجود دلوقتى أنا مُتأكد إنّه هيكون مرتاح للي عملتُه..

عُمر: هتكلّم علاء؟

أحمد: دلوقتى..

هم أن يقوم عندما تذكّر شيئًا: بقولّك إيه صحيح إنت صوّرت علاء ليه؟

قام عُمر إلى جهاز الكُمبيوتر. أخرج من جيبه " Flash Memory "..

أوصلها وفتح مُحتواها: تعالى شوف..

أحمد: الله يحرقلك إيه اللي عملتوا في الواد ده؟؟

عُمر: خُفت يقل أصلُه والا يبيعنا قُلت أظبّطه..

كانت على الشاشة صورة مُتقنة التركيب لرأس علاء، موضوعة على جسم شاب عار يضاجع فتاة.. بدت حقيقية لأقصى حد..

أحمد: الله يخرب بيتك..

عُمر: كُنت قلقان ليرمي كلمة كده والا كده.. قلت أشرّدُه..

أمعن أحمد النظر فيها: شيطان يا وسخ.. مِش باين إنّها متركِّبة.. بس الواد ده على فكرة غلبان..

عُمر: يا سيدي خلّيها لـه يمكـن تنفعـه.. يقـدّمها "CV" لمراتُه لما يتجوّز.. هيدعيلنا ساعتها..

خرج أحمد إلى الشارِع بعدما قرص عُمر في "لباليبـه" مترامية الأطـراف وطلب رقم علاء: تسلم إيدك..

علاء: إنت مش مُتخيّل.. جـلال نقلـوه المُستـشفى.. انهيـار عـصبي ورفع قضية على الجُرنال..

أحمد: يستاهل كُل خير وبعدين..

علاء: أنا وعدتك.. عدد الإسبوع اللي جاى هيبقى مُفاجـأة.. عـايز أجيلـك عـشان أظبّط شـوية صـور محتاجهـا.. إنـت فـين النهاردة؟؟

أحمد: موجود..

علاء: نتقابل.. هجيلك..

أحمد: مستنّيك.

في المساء كانت جلسة عمـل بالـشقة المُتواضـعة.. ساندوتـشا شـاورمة حجم كبير وزُجاجة كوكاكولا حجم عائلي، قرابين لعُمـر ليكمـل ضـبط الصور ووضعها على أسطوانة لعلاء..

أحمد: تفتكر الناس دى هتسكُت؟

علاء: أكيد لأ.

أحمد: يعنى إيه؟

علاء: يعنى حملة تكذيب.. وقضايا تشهير وسب على شويّة تهديدات ويمكن يدفعوا فلوس..

أحمد: والناس هتصدّقهُم؟

علاء: عرفت إيه فايدة الصّور؟ أنا لو قعدت أدّن في مالطة سنة، مقالاتى هيلفوا فيها الطعمية على رأى جلال.. دلوقتى بقه فيه صور تدعُم كلامي إن ناس زى دى طالما ليها جانب وسخ، يعنى مُمكن تعمل أى حاجة.. الناس هتصدّقنا إحنا.. وأديك شُفت جلال.. طبعة الجيل الحُر أوّل مرّة تنفذ كُلّها..

الحملة دى هتغيّر حاجات كتير أوى..

"""بووووو ء"""(*) ذلك كان عُمر الذي مال على جنبه الأيمن ليحرّر

مارد من الغاز: سورى ☺ بطني تعبانة شويّة..

كان ذلك الصوت كصفارة الغارة إيذانًا بالهرب.. لملم علاء الصّور وودّع أحمد الذي وصّله للباب..

علاء: صحيح.. فيه حاجة..

أحمد: إيه؟

علاء: أبويا الله يرحمُه كان ليه خزنة في بنك القاهرة، فرع مصر الجديدة، كان شاريها وحاطط فيها شوية حاجات بتاعت العيلة، خمس

(*) بمبة عالية الصوت مصحوبة بغاز نفاذ الرائحة لا لون له..

ست ألاف جنيه على كام عقد، أنا بدفع الاشتراك السنوي من بعد ما مات عشان الخزنة ما تروحش عليّا. . كُل الملفّات والعقود والوثائق اللي معايا ومُستندات تانية إنت لسّه ما تعرفش عنها حاجة. . أنا حاطط أصولها في الخزنة دي.

أخرج من جيبه سلسلة مفاتيح. . فصل منها مُفتاحًا: خُد خلّي ده معاك.

نظر له أحمد بقلق: ليه؟

علاء: أنا عندى نُسخة تانية في البيت. .

توتّر وجه أحمد: برضُه ليه؟

علاء: ماحدّش ضامن عُمرُه. . نُسخة معاك ونُسخة تانية بعيد عن إيدى، عشان لو إتقبض عليّا أو حصل في الأمور أمور. .

شعر بأن كلماته ثقيلة فأحب أن يُخفّف حدّتها. .

علاء: وعشان يا سيدى لو ضاع منّى المُفتاح. . أهو يبقى فيه واحد معاك إحتياطى. .

أحمد: فيه حاجة ما حكيتليش عليها؟

علاء: أنا ما بخبّيش عنّك حاجة.

أحمد: مُتأكد؟

علاء: الموضوع بس إن فيه ناس ضوافرها طويلة. . محدّش يضمن الخربشة. . أيمن وصفي مثلاً. .

أحمد: ده حد موجود في الصّور؟

علاء: لأ.. ده واحد أنا كُنت محضّر له ملف يقلب الدنيا.. تاجر سلاح بس وزن تقيل..

صفقات وتجارة ماشية مع إسرائيل.. أهو ده هينزل عنّه موضوع العدد الجاي.. بصراحة فيه لحظة حسّيت إنّي إتسرّعت.. لعبت لعبة أنا مش قدّها.. بس خلاص ما ينفعش أتراجع دلوقت..

السمك خرج من المية يا منعم.. هه هه..

أحمد: طب وإشمعنى أيمن وصفي ده بالذات؟

علاء: لأ أنا بدّيك مثل بواحد من الحيتان اللي مش هتسكُت.. ده من أتقل الموجودين إن ما كانش أتقلهُم على الإطلاق.. للأسف مفيش صور ليه معاك.. مابيروحش أماكن زي دي..

الناس هيّ اللي تروح لُه لغاية عندُه.. وزن تقيل بقه..

أحمد: مُمكن يوصلولك؟

هز علاء رأسه وابتسم ابتسامة غريبة: احتمال.. فيه ناس كتير تحب تخدم..

أحمد: طب ما كفاية لحد كده؟

علاء: ماتخافش.. أنا برضه عامل حسابي.. رقم الخزنة ١٩٣٣.. سنة ميلاد أبويا.. إفتكر كويّس.. وده توكيل منّي ليك عشان يرضوا يفتحوا لك الخزنة.. مش أي توكيل لازم توكيل فيه بند البنوك.. أنا كحتّ اسم البنك كمان من على المُفتاح، مش فاضل غير رقم الخزنة.. يعني لو نسيت البنك انتهت.. بنك القاهرة..

هز أحمد رأسه بلا تعليق، وهو يدسّ المفتاح والتوكيل في جيب بنطلونه بانزعاج قبل أن يودّعه . . لم يرتح لتلك النظرة في عينيه وهو ينزل السُلّم . . ظل طوال الليل يُدخّن السجائر حتّى لم يعُد هُناك مكان في الغُرفة ليُطفئ فيه واحدة إضافيّة . .

أقلقته كلمات علاء . . لم يكُن ذلك الواثق المُتحدّى الذي رآه أوّل مرّة . . كانت في عينيه رعشة . .

في النهاية غلب أحمد النوم . . بعد أربع ساعات، كان موعده مع غادة . . غادة الكاميليا . .

. . . .



وسط الشوارعِ الهادئة كانت ترقُد . .
تحوطها الأشجار من كُل جانب . .
كُلِّيَة الفنون الجميلة . . قلب الزمالك الجميل . .
الساعة ٤٠ : ٩ صباحًا . .

لم يكُن موقف الميني باص ببعيد عن الكُلِّيَة . . نزل أحمد حاملاً حقيبة الكاميرا يرتدي نظّارة سوداء تبدو أصليّة . . اشتراها ذات يوم من عند " محمد عَصفورة " زميل كُلِّيَة التجارة، ابن أكبر مستورد للنظّارات الصيني في مصر . . دفع فيها عشرين جُنيهًا . . يلبسها في مُناسباته الخاصة . .

لم ينس أن يلبس القميص الأسود، الذي يُشبه كثيرًا قميص عمرو دياب في فيديو كليب قمرين، ويضع عطر "Hugo" المضروب . . عندما اقترب من الكُلِّيَة ، أخرج منديلاً ورقيًا ومسح حذاءه الأسود اللامِع وتأكّد من ولاء شعره للاتجاه المُتفق عليه . . كان يشعُر بإثارة غير عادية وهو يعبُر البوّابة بعد أن سأل الأمن عن مكان كورس تنمية القُدرات الفنيّة للأطفال : خُش على طول شمال تحت البرجولة . .

مشَى على نبضات قلبه حتّى لمحها من بعيد . . تجلس على الأرض جلسة عروس بحر تستند بيد على الأرض، وترسم بالأخرى . . بجانبها طفلة صغيرة ترسم لها شيئًا على لوحة بيضاء بفرشة رسم كبيرة . . كانت تداعبها وسط خمسة عشر طفلاً وطفلة آخرين . . لم يقاوِم كثيرًا . .

أخرج الكاميرا وصوّب تجاهها من بعيد. . انتظر ابتسامة وسرق لحظة. . لحظات. . وضع الحقيبة على الأرض، وضغط زر عرض الصّور في خلفيّة شاشة الكاميرا. . كان ما ظهر أمامه لا يمُتّ بصلة إلى ما صوّره. . لقطات مُتتابعة وراء بعض كشريط السينما لحُسام. . حُسام مُنير. . صديقه!

آخر ثانيتين له قبل أن يلقى قدره من زاويته التي كان يختبئ فيها خلف الزُجاج في بلكونة بار ڤيرتيجو. . ينظُر في عين الكاميرا لقطة وراء لقطة. . يفتح فمه تدريجيًا الصورة تلو الأخرى في صرخة صامتة. . سرت قشعريرة هائلة في جلد أحمد الذي بدا أشبه بجلد الفرخة بعد نتفه. . ضغط بعصبيّة على زر العَرض. . أخذت الصور تتتابع، الصورة وراء الصورة حتّى سقط حسام أرضًا حين ظهر انعكاس في المرآة. . انعكاس القاتل. . توارت عدسة الكاميرا خوفًا في ثلاث لقطات للنيل. . كان هُناك شخص. . شخص أنيق يقف مُستندًا على السور. . ظهره للنيل يبتسم ويُدخّن سيجارًا. . بيده خاتم محفور فيه حرف "G" . . فتح فمه ليتكلّم. . كان يقول شيئًا. كلمة. .

شعر أحمد بصوت هادر يمُر من جانب أذنه. .

صوت فرملة تصرُخ. .

كان ذلك صوت سيارة مُسرعة مرّت من جانب المينى باص الذي رفع رأسه ليجد نفسه لا يزال يركبه. . مرّت دقيقة قبل أن يستوعب أنّه غفا ساندًا رأسه فوق رسغه على ظهر كرسي أمامه، واضعًا الكاميرا على حجره في طريقه إلى الزمالك لملاقاة غادة. . شعور بثُقل غريب جعله يغفل للحظات كانت كافية ليرى فيها تلك الرؤية الغريبة. . جبينه كان أحمر

محفوراً فيه خطّان ودائرة من أثر وضع دماغه فوق كُم القميص وزرّه. . يبدو أنّه بقى على هذا الوضع أكثر من رُبع ساعة. . كان ينهج. . خلع نظّارته ومسحها وهو يستعيد تلك اللقطات التي رآها في الكاميرا. . بدا مأخوذاً. . وجه حُسام وذلك الشيطان الذي ابتسم له. . حاول أن يتذكّر. . كان يقول له شيئًا. . كلمة ما. . لا يتذكّر. . استعاذ بالله من الشيطان وردّد آية الكرسي. . كان المينى باص قد وصل إلى آخر محطّاته. . شارع أبو الفدا. . اسم مُصطفي كامل الحركي أيّام النضال الوطني. . ظلّ يمشي مُحاولاً التخلّص من تأثير الحلم الأشبه بحُقنة بنج الأسنان حين داس في بركة صغيرة من المياه تحت الرصيف. . وقف ليمسح حذاءه؛ وكأنه يرى الحلم مرّة أخرى. . المنظر نفسه. . كأنه فيلم يُعرض ثانيًا. . نظر في ساعته. . كانت العاشرة. . مدّ قليلاً ليصل إلى الكُليّة في ميعاده. .

صباح الخير. . كورس قُدرات التنمية الفنيّة. .

أجابه رجُل أمن سئم أمثاله: تنمية القُدرات الفنيّة. .

أحمد: أيوه هو ده. .

أشار إليه رجُل الأمن إشارة تعنى أن غور من هنا داهية تاخدك إنت واللي باعتك: إتفضّل جوّة على الشمال. . تحت البرجولة. .

شكره أحمد ومشى سريعًا قبل أن يُصيبه برصاصة في رأسه أو ما شابه. .

كما رآها في رؤيته. . حولها الأطفال ترسم لهُم شيئًا لم يره من مكانه. . كانوا يضحكون. . يُشيرون بأيديهم إشارات تُشبه إشارات الصُم والبُكم. . حركة وصخب غاية في الهدوء. . منظر جميل من فيلم صامت. . كانت غادة أيضًا تُشير إليهم بالإشارات نفسها. . لم تشعُر به وهو يُخرِج

الكاميرا ويُصوِّب العدسة ناحيتها . . صوّرها وهي تضحك . . ترسم . تُشير بيدها . . بدت مُحترفة . . كان الأطفال يتهافتون عليها . . كُل منهم يُريها رسمته لكي تُضيف إليه فكرة . . صوّر كُل ذلك من بعيد ثُمّ حمل الكاميرا واتجه ناحيتها . .

كانت تُعطيه ظَهرها حين ناداها بعد أن مَسح بيده على شعره : ما كُنتش أعرف إنّك بتتكلّمي بالإشارة . .

لم تُجبه . . كانت مشغولة في رسم وردة صفراء كبيرة لفتاة صغيرة تقف بجانبها . . صنع أحمد كُحّة مُصطنعة وردّد : باين عليكي فنّانة . .

هل ألقى أحدكُم من قبل حجرًا في بئر ولم يسمع صوت سقوطه؟

لاحظت الفتاة الصغيرة أنّه يُريد غادة، فأشارت بأصابعها خلف كتف غادة أن هُناك من يقف خلفك . . التفتت إليه . . كم بدت سعيدة حين رأته . .

ابتسمت فبانت أسنانها المرصوصة كأسنان المشط قبل أن تُجيبه : واقف من بدري؟

سكت قليلاً يتأمّل عينيها : يعني . . خمس دقائق . .

غادة : إيه رأيك في المكان هنا؟

أحمد : تُحفة . . أنا أوّل مرّة آجي بصراحة . .

غادة : دي كُلّيتي يا سيدي . .

أحمد : أنا صوّرتك من بعيد . . شوفي . .

انحنى يلتقط الكاميرا وهو يسألها : بس إنتي إتعلّمتي إزاى لُغة الإشارة؟

لم تُجبه فرفع رأسه وسألها : مش عايزة تقولي؟ سر المهنة هه؟

غادة: نعم!

أعاد أحمد بسُرعة سؤاله، وهو يلتقط قطعة قُماش لتنظيف العدسة:

إنت بسألك على لُغة الإشارة.. إتعلِّمتيها إزّاى؟

أشارت إليه بيدها: إتكلِّم واحدة واحدة..

لم يفهم أحمد..

غادة: لازم أشوفك وإنت بتتكلِّم.. أقرأ شفايفك..

استوعب أحمد الأمر في لحظة.. هربت عيناه إلى لوحة صغيرة مُعلّقة على حامل كُتب عليها: كورس تنمية القُدرات الفنيّة لأطفال الصُم والبُكم..

كانت تنظُر في عينيه مُباشرةً.. بدت قويّة ثابتة لا يعنيها إن استاء أو راجع.. تبتسم الابتسامة الهادئة نفسها رغم اختبارها لكُل خلجة في وجهه.. باحثة عن راية الانسحاب البيضاء..

شعر أحمد بشعور "جُمعة الشوّان" وهو جالس على جهاز كشف الكذب في مُسلسل "دموع في عيون وقحة" الذي يعشقه عشق الإبل؛ إن كان لها عشق: بتحب مصر؟ أكيد.. طب بتخونها ليه؟ أنا مش بخونها أنا كده بحميها.. بتحب فاطمة؟ أكيد.. طب وجوجو أم شعر أصفر كنيش؟ جوجو دى حاجة تانية..

على وجه أحمد ظهر الجواب.. ابتسامة تقول لها: إنى لا أعبأ.. بل حتى لو دهستك دبّابة "تى ٦٢" روسى مدفع واحد لما رفضتك.. اقترب أحمد منها وتكلّم بوضوح: عندي كلام كتير أوى..

ابتسمت: بعد الكورس..

ظل الكورس قُرابة ساعة ونصف الساعة . . عالم آخر من البراءة الصامتة . . كانت غادة المُلهمة فيه . .

كُل التفاتة كانت صورة . . سجّل لها كُل شيء . . صوّر الأطفال . . اللوحات . . أياديهم المُلطّخة بالألوان . .

يديها وهي ترسم . . ابتسامتها . . صورة لها وهي تُدغدغ طفلة . . تضحك مثلهم ببراءة . . كانت كصفحة بيضاء . . لا خُبث فيها . . تنظُر إليه دائمًا بعيون مُبتسمة شاكرة لوجوده . . علّمته بعض الإشارات ليتفاعل مع الأطفال . . لطّه طفل مُشاغب بلون أحمر في أنفه . . لدهشته وجد نفسه يضحك . . لأنّها كانت تضحك . . في ظروف أخرى كان سيئده في التراب، وئد بنات الجاهليّة على فعلته ويبني عليه بيتًا، لكن اليوم كان يضحك من القلب . . ساعة ونصف الساعة مرّت كأنّهُا عشر دقائق . . لملمت غادة بعدها الألوان والفُرش المُبعثرة، وبدأ الأهالي يتوافدون لالتقاط زهراتهم . . قبّلت كُل الأطفال قبل مُغادرتهم . . تكلّمت مع بعض آبائهم وأمّهاتهم الذين بدوا يألفونها كثيرًا حتّى وجدها تقف أمامه . .

لم يجد ما يقول غير : تاكلي آيس كريم؟

كان محل " كوول " قريبًا من الكُليّة . . مسافة شارعين . . مشوا صامتين حتّى وضع أمامهُم كأسين على ترابيزة زُجاجيّة، فوقها صُحبة ورد وسط روائح الفانيليا والشوكولاتة والكراميل . .

ظلّ أحمد ينظُر إلى شارب الفراولة الصغير الذي نبت فوق شفتيها . . لاحظته وهو يُشير على فمه أن امسحي . . ابتسمت خجلاً ثُمّ سألته : إيه رأيك في الكورس؟

أحمد: صدّقيني أنا عمري ما حسّيت إنّي مبسوط زى النهارده. .

ضيقت عينيها مُبتسمة: مُمكن تحكيلي بقى إيه حكايتك؟

أحمد: اسمي يا ستّي أحمد كمال. . مولود في السيّدة بتاريخ ١٤-٢-١٩٧٧ يوم عيد الحُب. .

عندي أخت واحدة اسمها آية. . هحكيلك عليها بعدين. .

في اهتمام أنصتت. . حكي لها عن حياته وظروفه، بدون الجانب الغامض فيها طبعًا. . أضحكها كثيرًا على حاله. . مواقف مأساوية يسردها بشكل كوميدي مثل الإسهال الذي باغته في الأتوبيس وهو قادم ذات مرّة من الغردقة ولم يكُن هُناك حمّام، وبنطلونه الذي تمزّق أثناء انحنائه على طفل يلاعبه في وسط مطعم شهير، والحمامة التي اختارته من دون الموجودين كُلّهم لتُضفي عليه شرف الكسوة. . وعم "عطاالله" بائع اللبن السلطة الذي يُشبه كثيرًا " آل باتشينو ". . جعلها تشاهد صورته في الثانويّة العامة، تلك الصورة التي تُصبح عارًا على صاحبها كُلّما مرّت السنين. . ذلك الشارب الأشبه بهيش الجنينة والنظّارة الكبيرة التي تتدلّى حتّى نصف الخد على ذلك الوجه الأقرب إلى الهيكل العظمي، وهضبة الشعر العالية "المتسشورة"، وتفاحة آدم البارزة كقُمع المرور البرتقالي، الفانلة الـ "WINNER" البيضاء " أمو ٢١ جنيه " المطبوع عليها صورة لفريق " IRON MAIDEN" أو صورة بالمايوه لماريّا كاري. .

حكي لها أيضًا كيف رآها أوّل مرّة وظل يُراقبها مُراقبة الطفل لهديّة نجاحه تحفيزًا للمُذاكرة. . تورّد وجهها فاكتمل جماله. . سكت أخيرًا فأفلتت عيناها عن شفتيه ودارت في وجهه. .

أحمد : صدّعتك . .

غادة : خالص . .

أحمد : مُمكن أعرف بقى اللي مدوّخاني دى تطلع مين؟ لو بابا وزير إدّيني بس فُرصة أهرب . .

غادة : بابا الله يرحمُه . .

سقط بوتاجاز عرض ٩٠ سم إشعال ذاتي على رجله : أنا آسف . .

غادة : مات وأنا عندي ١٢ سنة . . ماما بتشتغل في وزارة الصحّة وعندي أُخت واحدة . . ميّادة . . النُسخة الشقيّة منّي . . توأمي زى ما أخدت بالك . .

أحمد : آه ده كان يوم صعب أوى . . كُنت خلاص همشى . .

ضحكت غادة : أنا مستغربة اللي إنت عملته ده ! !

أحمد : ما كانش عندى حل تانى وبعدين خُفت تكسفيني . .

غادة : طريقتك كلاسيك أوى . . **Old Fashion** . .

أحمد : الله يخلّيكى . .

غادة : ده مدح . .

أحمد : إحكي لى عن نفسك . .

غادة : أنا إتخرّجت من كلية الفنون سنة ٢٠٠٣ . . إتقرت فتحتي على واحد قريبي . . إبن عمّى . . ست أشهُر بس . . ماستحملناش بعض . . عُمره ما كان هيفهمنى . . هو في وادي وأنا في وادي ، وبعمل الكورسات دى من ساعة ما إتخرّجت عشان الأطفال . .

أكتر حاجة بحبّها في حياتي. . وبشتغل في الجاليرى. . بصراحة
بحاول أشغل كُل وقتي. .

أحمد: شكلك كانَ حلو أوى معاهُم. .

غادة: أنا الوحيدة اللي بتفهمهم. . بحس بيهُم. . هُمّا كمان عارفين
ده. . إحنا أصحاب أوى. .

الموضوع ده " كانت تُشير لأذنها " جالى من زمان أوى. . كُنت
صُغيّرة. . خمس سنين تقريبًا. .

قاطعها أحمد: أنا شايف إنّها ميزة. .

شعرت غادة بمُجاملته فأجابت بسُخرية: أكيد. . أكيد.

أحمد: طب والله ما بهرّج. . أولاً الدُنيا بقت زيطة جداً. . إنتى عندك
أوبشن تتحكمي في الصوت. . توطّيه وتعلّيه. . تصبغيه
وتكويه. . براحتك. . ثانيًا بتتكلّمى لُغات. . إنجليزي
وإشارة. . عايزة إيه تانى. . تسلكى في أى حتّة. .

ضحكت غادة: أنا برضُه بقول كده. .

أحمد: عارفة إنّك جميلة أوى؟

كان مُباغتًا. . تسلّل اللون الأحمر إلى وجنتيها سريعًا فلم تردّ. . حاول
تغيير الموضوع لتهدأ وجنتها: عجبتك الصوَر بتاعت الأستوديو؟

غادة: أوى. . عجبت ماما وميّادة كمان. .

ظلّ الكلام بينهُم كالموج الهادئ. . حكت له كثيرًا عن حياتها. .
إحساسها بالوحدة. . عملها وأحلامها. . بُرجها الجوزاء. . بيتها ووالدها

وكم كان تأثيره عليها. . حكي لها عن أخته. . عن أصدقائه القليلين. . عن عمله وظروفه. . تكلّموا كثيراً حتّى سكت الكلام. .

أحمد: هشوفك تاني؟

غادة: الإسبوع الجاي. . بس المرّة اللي جاية الكورس من الساعة تلاتة لخمسة. .

أحمد: يبقى أشوفك الساعة تلاتة. . غادة أنا كُنت عايز أقولّك حاجة قبل ما تمشي. .

نظرت له غادة بدون أن تتكلّم. .

أحمد: إنتي مش مُجبرة على أى حاجة. .

ابتسمت وودّعته بهزّة رأس وافترقا إلى لقاء قريب. . ركبت التاكسي إلى شارع القصر العيني حيث تسكُن وتمشّى هو حتّى وجد نفسه في ميدان التحرير. . كان مملوءاً بالمشاعر المُتضاربة. . خليط ما بين الفرحة واليأس. . كانت بداخله علامة استفهام كبيرة تدُقّ رأسه. . ماذا بعد؟ غادة؟ أخته؟ ظروفه الماليّة؟ هل معرفته بغادة مُحاولة لإنعاش ميِّت؟ علاقة مكتوب نهايتها قبل بدايتها. . فيلم يُقتل فيه البطل في أوّل مشهد. . داهمه ثقل غريب في صدره. . لم يكُن يتوقّع أن تسوء حالته هكذا. . كان يعرف أنّه لا يملُك غير قوت يومه. . كان يعرف أنّه غير مُستقر. . بلا طوق نجاة. . انحدرت دمعة من عينه علقت بزُجاج نظّارته فأصبح يرى الشارع كأنّه سمكة في حوض. . حاول نسيان همومه. . وضع التليفون على أذنه وطلب علاء. . لم يُجب. . أغلق الخط، بعد دقيقتين جاءته رسالة. . " هكلمك أنا من تليفون تاني بعد ٥ دقائق " . . بعد عشر دقائق طلبه رقمًا أرضي. .

جاء صوت علاء مكتومًا : كويّس إنّك اتصلت . .

أحمد : مالك . . فيه حاجة؟

علاء : قريت جرايد النهارده؟

أحمد : خالص . . فيه إيه؟

علاء : " وقفوا الجُرنال . . أمر قضائي . .

أحمد : الحُريّة؟

علاء : لأ . . الجيل الحُر . . ابن الكلب ليه معارفُه . . قضيّة تشهير في يومين؟؟ أمر جاى من فوق . .

شمّعوا الجُرنال وصادروا مكتب رئيس التحرير . .

أحمد : طب والصوّر؟

علاء : عندُهُم جُزء كبير منها . .

أحمد : إنت بتكلّمنى ليه من تليفون تانى . . إنت شاكك في حاجة؟؟

علاء : رئيس تحرير الجيل الحُر اسمه سعيد مأمون مش الشحّات مبروك . .

أحمد : يعنى إيه؟

علاء : يعنى زى ما قال صاحبك . . هينطق قبل أوّل ألم . .

أحمد : إنت فين دلوقتى؟ هعرف أشوفك؟

علاء : بلاش اليومين دول . . مش ضامن يحصل حاجة . . أنا هكلّمك . . ما تتصلش إنت بيا . .

أحمد : لو حصل حاجة هعرف إزّاى؟

علاء: أنا هكلّمك.. سلام بقى دلوقتى.. آه.. أحمد.. ماتنساش عيد ميلاد أبويا الحاج.. هيزعل أوى لو نسيت.. لازم تروحله ه.. الحاجات اللي عندك كمان خُد بالك منها ماشى..

فهم أحمد قصد علاء: أكيد.. فاكر.. فاكر ماتقلقش.. إنت بس خلّى بالك من نفسك..

علاء: سلّم لي على صاحبك التخين..

أحمد: يوصل.. سلام..

أغلق أحمد الخط.. تلك اللمبة السهارى الحمراء بداخله التي بدأت تومض.. لم تكن تُخطئ كثيراً..

أخذت تُعطى ضوءها القاني بداخله.. كان لها أزيز مُتقطِّع.. حاول إطفاءها.. إخمادها.. كسرها..

لم يستطع.. ظلّت تدوي مُثيرة أعصاب قولونه بأزيزها الذي يقول أن شيئًا ما سيحدث.. شيئًا كبيرًا..

......

على السجّادة الحمراء أخذت الخطوات السريعة تدب من نعل إيطالي أصلي، صنع نغمة أشبه بدقّات الساعة التي كانت تُشير الآن إلى التاسعة مساءً في مكتب "صفوان البحيري"..

انفتح باب المكتب ليدخل منه مُصطفي عارف حاملاً دوسيهًا كبيرًا ضخمًا بالأوراق: مساء الخير يا فندم..

بدا صفوان في غاية التوتّر وهو يُجيبه: ها عملت إيه؟

مُصطفى: كُلّه تمام.. الورق اللي كان في مكتبُه معانا.. بس فيه حاجة..

صفوان: إيه؟

مُصطفى: الورق ده نُسخة.. نُسخة من أصل مش موجود.. إحنا مسحنا المكتب كُلّه.. تلات أوض بالكمبيوترات اللي فيها وخزنة في مكتب سعيد مأمون.. مفيش أصول..

صفوان: تُقصُد إيه؟

مُصطفى: يعنى مُمكن تكون في بيت أو مع أى حد تانى بعيد عن الجُرنال.. ده احتمال.. أو إن مصدرها الأساسي من برّة الجُرنال أصلاً وهو اللي باعت كُل المعلومات دي وأكيد هيحتفظ بالأصول لنفسُه..

صفوان: رئيس التحرير ماتكلمش..

مُصطفي: لغاية دِلوقتي لأ.. بيقول إن المعلومات دى جاتلُه من مجهول..

صفوان: ورّيني الورق اللي لقيتُه..

وضع مُصطفي الدوسيه أمام صفوان الذي فتحه وأخذ يقلب الورق في عصبيّة، حتّى سقطت عيناه على صور بار "ڤيرتيجو".. أخذ يُطالعها أكثر من مرّة.. لم يكُن هُناك ما يُقال.. كانت قُنبُلة يدويّة بدون فتيل.. رواية كاملة للحادث من وجهة نظر شاهد عيان، وصور تتحدّث عن نفسها، ووجه رجُل من رجاله..

نحاها جانبًا بصعوبة، وأخذ يطالع بعض الورق والمُستندات حين تركه مُصطفي.. أخذَ صفوان يقرأ.. لا يعرف كم قضى من الوقت.. ربُّما ساعة ونصف الساعة من السجائر وفناجين القهوة.. كان الوحيد الذي يدرك خطورة هذه الأوراق.. الوحيد الذي يعرف أن كُل كلمة في ذلك الورق حقيقية.. حقيقية بشكل مُذهل.. كان يملُك دُرجًا من الملفّات يحوي النُسخ الأكثر تفصيلاً للمذكورين أمامه في الورق.. ملفّات الصفوة.. الأسماء التي تعلو كوبري ستّة أكتوبر، وتطغى على إعلانات التليفزيون والشوارع.. ملفاتهم الكاملة.. أخطائهم التي ترقُد في سبات تنتظر إشارة لتنهشهُم في أى وقت.. بُندقية حارس السيرك التي تنتظر أن يخرُج الأسد عن طوع المُدرِّب لترديه في لحظة.. كما أدرك في داخله شيء واحد.. أدرك أن من صنع ذلك الملف لم يعُد لديه ما يخسره.. لشدّة تركيزه، لم يشعُر بمُصطفي الذي قرع الباب ودخل يسأله: تعليمات سيادتك؟؟

صفوان: الورق ده مش مجهود شهر والا إتنين.. ده واحد شغّال بقاله أكتر من ٣ سنين..

فيه ملف كامل عن "العسّال" وشركاته.. إحصائيات وتقارير صحّية تودّيه في داهية وصور مع حريم.. "حبيب شريف أمين" كمان، هو وأبوه كُل أملاكهم ونشاطُاتهم وبرضه صور ليه مع حريم.. فيه كام عضو مجلس شعب كمان شاريين شويّة أراضى من المتر بنُص جنيه وبرضُه صور مع نسوان.. مش ملاحظ إن دى غريبة شوية؟؟ أقصُد صورهم المُكرّرة مع النسوان.. يمكن الوحيد اللي مالوش صور "أيمن وصفى".. إنت عارف ده مستوى تانى وقُربُه من الباشا كفاية.. بس برضُه فيه معلومات هنا تضُرّه لأقصى حد.. فيه ورقة هنا عن صفقات سلاح مع إسرائيل.. دى كفاية..

مُصطفى: هيّا غريبة فعلاً..

صفوان: مصدر الصور دى غير اللي كاتب الكلام ده.. شخصين مش شخص واحد.. الصور ما تمُتّش بأي صلة للكلام المكتوب..
صور خطيرة آه.. بس كُلّها في مكان واحد تقريبًا.. اللي صوّر مُرتبط بالمكان.. ثابت فيه.. ما بيصوّرش غير المُترددين عليه..
لكن اللي كتب المواضيع دى حُر..

يمكن يكون لقاهُم أو يمكن اشتراهم.. الوحيد اللي ما يروحش أماكن زى دى أيمن وصفى.. لذلك مالوش صور.. ليه ملف بس.. فهمت؟ إنت قلت لي إنّك سألت في الكازينو عن المُصوّر اللي هناك؟

مُصطفى: حصل يا فندم..

صفوان: أكيد هو مصدر الصور دي. . فيه صور قديمة لفتحي العسال
مثلاً قبل الموبايل وفيه صور جديدة. . ده حد قاعد. . حد شغال
من فترة كبيرة هناك. .
مُصطفى: المُصوّر اللي كان هناك يا فندم اسمه جودة. . توفي من فترة في
حادثة. . بس فيه شاب تاني إشتغل معاه كام شهر بس مشي
وعرفنا إنّه سافر بعد كده السعوديّة. . عقد عمل. .
صفوان: إتأكّدت من مصلحة الجوازات؟
ضغط مُصطفي على أسنانه: بصراحة لأ. . بس فيه جواب بعتُه لواحد
شغاّل هناك بيحكيله عن سفره وشُغلُه في شركة بترول في
السعوديّة. .
صفوان: أشُك إنه يقدر يسافر بسُرعة كده. . التأشيرات مش سهله
ولازم يغيّر بطاقته لوظيفة عامل. . ده بياخُد وقت. . غير
التأشيرة نفسها. . إتأكد من الجوازات. .
مُصطفى: اعتبره حصل يا فندم. .
صفوان: جودة ده كمان. . مالوش قريب؟ صديق؟ حد يعرفُه؟ أي
معلومات. . عايز أعرف أي تفاصيل عنّه قبل ما يمُوت. . آخر
أيّامُه. . ده إذا كان مات فعلاً!!
مُصطفى: نتأكد يا فندم. .
صفوان: يفضل عندنا حاجة. . اللي كتب الكلام ده صحفي. . إسلوبه
باين. . فضح نفسُه. .
عرفت أي معلومات عن علاء جُمعة اللي طردُه جلال مُرسى؟

مُصطفى : بعمل تحرّيات يا فندم عشان أجيب عنوانُه . .

اشتدت نبرة صوت صفوان : إزّاي لغاية دلوقتي ما عندكش عنوانُه؟؟

مُصطفى : العنوان الموجود في الجُرنال وفي البطاقة سألنا فيهُم، قالوا كان ساكن هنا ومشي، نقل سكنُه من حوالي ست أُشهُر لمكان غير معروف، هنسّق مع شركة الاتصالات يا فندِم يحدّدوا موقعُه . . المسألة مسألة وقت . .

صفوان : هو أكيد خايف دلوقتي . . هيخاف يعمل خطوة جديدة قبل ما الجو يهدأ . . ده يدّينا شويّة وقت بس مش كتير . . العُنصُر ده لازِم يتراقب الأوّل كويِّس . . في إحتمال كبير ما يكونش لوحدُه . . حاجة كمان . . خليهُم يسيبوا رئيس تحرير الجيل الحُر النهاردة . . أكيد هيحاول يكلِّم المصدر بتاعُه . .

مُصطفى : أو كيه يا فندِم . . حضرتك إعتبر كُل ده في حيِّز التنفيذ . .

صفوان : مفيش حد يمشي النهاردة لغاية ما يبقى فيه معلومات يا مُصطفى . .

مُصطفى : أوامر سعادتك . . قالها وانسحب بهدوء . . أغلق الباب على صفوان الذي أشعل سيجارة ودفن وجهه بين الملفّات تأكُله المخاوف كأكل الأرضة لعصا سيدنا سليمان . .

. . . .

في تلك الليلة نزل المساء على ضاحية مصر الجديدة كما لم ينـزل من قبل.. أسود حالك لا أمل فيه.. لا قمر فيه.. كانت الساعة قد تعدّت الحادية عشرة مساءًا حين اقتربت سيّارة مرسيدس "S-٥٠٠" سوداء من باب فيلا بيضاء غاية في الأناقة والهدوء.. اقترب حارس من السيّارة ليتأكّد من الشخصية التي بداخلها التي بدت مألوفة.. ابتسم لها وأعطى إشارة بيده في اتجاه كاميرا المُراقبة فانفتح الباب لتدخُل السيّارة.. لحظات قبل أن تعود الفيلا لما كانت عليه من هدوء..

بالداخل كان هُناك مطلع يوصل إلى باب الفيلا الضخم.. تهادت السيّارة حتّى وقفت في هدوء.. نزل السائق وفتح الباب.. دق الأرض كعب عالي أسود رفيع يكاد يصلُح سلاحًا أبيض، على رأسه خُلخال ذهبي رقيق يُحيط ساقين شديدتي النعومة من أثر عناية يومية.. فُستان أسود وعقد ذهبي.. قرط لامع يظهر في الإعلانات الخليجيّة ووجه ناعم أبيض مألوف.. وجه "سالي"..

في أي فيلم عربي مُحترم كان سيستقبلها "زكي رُستُم أو عبّاس فارس" مرتديًا روب دي شامبر، تحته القميص الأبيض والإسكارف الأحمر الداكن والحذاء البانص الفيرنيه أبيض في أسود، ويُمسك بسيجار فخم وهو يقول: أهلاً يا شيري.. ممنون أوي إنّك قبلتي دعوتي.. أنا إستنّيت اليوم ده بفارغ الصّبر..

ثُمّ يلثم يدها وهى تُجيبه بدلع : أووه إكسلانس . . طول عُمرك ذوق . .

ثُمّ يُشير إليها الإكسيلانس إلى الفيلا في إحداث نعمة : إيه رأيك في السرايا بتاعتى؟

تجيبه بإعجاب مُبالغ : بديع . . مُدهش . . أوريجينال . . تريى شيك . .

الإكسيلانس : صمّمها لي مُهندس إيطالي . . أخد في التصميم بس " ويشدّد حتّى توشك الأورطى على الانفجار " ألف جنيه . . ده غير التُحف . . كُلّها من أوروبّا . . إتفضّلي . . إتفضّلي . .

لكن اليوم لم يكُن في استقبالها سوى " أيمن وصفى " . . أكبر تاجر سلاح بعد تصفية إمبراطوريّة " مُحيى ذنّون " وسفره للخارج . . رشيق وسيم في بداية الخمسينيات يرتدى قميصًا لبنيًا أنيقًا وبنطلون قُماش أسود . . شعره خليط مُنسّق من الأسود والرمادي . . يرتدى ساعة روليكس حديثة وسوارًا طبيًا مُمغنطًا من الفضّة ، كان مُنتظرًا سيّارته وهى عائدة تحمل تلك الفاتنة . . اقترب من السيارة يلتقط يديها ويلثمها وهو ينظُر في عينيها مُباشرةً : جميلة . .

سالي : ميرسى يا باشا . .

التفُت يده حول خصرها وهو يُشير إليها أن تفضّلي . . انسحبت السيّارة وانغلق الباب . .

في الداخل ، كانت الفيلا غاية في الذوق . . ريسبشن أنيق . . ديكور مودرن . . رُخام إيطالي لامع . . وتُحف أصليّة يتوّجها تابلوه كبير في صدر الغُرفة يكاد عرضه يتجاوز الأمتار السبعة يُمثل لوحة الجورنيكا "Guernica" التي رسمها بابلو بيكاسو سنة ١٩٣٧ . .

ومكتبة كاملة للأسلحة . . مُسدّسات وبنادق عتيقة ترجع بعض القطع فيها إلى القرن الثامن عشر . . كانت الفيلا من الداخل كالمتحف . . موسيقى هادئة تنبعث من مكان ما ، وبار يحمل زُجاجات أنيقة وكؤوسًا لامعة . .

سحبها من يدها ودخل غُرفة بها مدفأة كبيرة وشاشة ١٠٣ بوصة مُعلّقة على الحائط ، تعرض مناظر طبيعيّة مُتتابعة مُريحة للأعصاب أمامها كُرسيان مُتخمان بريش النعام المُغطّى بالجلد يبدوان كأكياس مملوءة بالماء يغطس بداخلها الجالس . .

ضغط على زر في الحائط فهدأت الإضاءة تدريجيًا قبل أن يسحبها من يديها ويجلسها فوق إحدى الشلت . .

أيمن : تشربي إيه؟

سالي : اللي هتشرب منّه . .

اختفى عنها لحظات أخذت تتأمّل فيها المكان من حولها منبهرة بالديكور . . حتّى عاد وفي يديه زُجاجة فخمة وكأسان عريضان : موتون روتشيلد بويلاك ٧٩ . .

قالها بلكنة فرنسيّة مُتمرّسة . .

شايلها للحظة تستاهل . . جبتها من باريس آخر مرّة . . دس الفتّاحة الحلزونيّة . . لفّها ببطء وشدّها بخبرة فصنعت طرقعة مكتومة . . تناول كأسًا وصب لها ثُمّ لنفسه . . تجرّعته هي فيما وضع الكأس هو تحت أنفه وأغمض عينيه وسحب نفسًا عميقًا إلى رئتيه ثُمّ شرب : ٢٨ سنة متعتّقة في بدروم في نيس في فرنسا . . إنتي بتشربي واين مستنّيكي من قبل ما تتولدي . . أد إيه الحياة غريبة . . مش كده؟؟

هزّت سالي رأسها مُبتسمة: المكان هنا شيك أوى.. ذوقك يِخبل..

أجابها بابتسامة: إنتى لِسه ما شُفتيش حاجة..

سالي: عايزة أتفرّج..

أيمن: تعالى..

قامت تخلع جزمتها العالية: تسمحلى؟

أجابها في جينتيلمانية: لو سمحتى..

خرج بِها إلى تِراس آخر مُمسِكًا كأسه.. بدا مكانًا أكثر أناقة وخصوصية..

أخذت أصابِع قدميها تغرِز في السِجّاد الشيرازى وهى تسأله: إنت عايِش هنا لوحدك؟

ضحك أيمن: يعنى..

سالي: مِراتك فين؟

أجابها: بقالها شهرين في أوروبا.. شوبيج..

سالي: باين عليها بتحبّك أوى..

أيمن: ماعنديش شك..

سالي: واثِق فيها؟؟

أجابها وهو يضع كأسه إلى جانب جهاز ستريو ويضغط زرّه فانبعثت مقطوعة هادئة.. سحبها من يدها وهو يتأمّل أصابِع قدميها.. ضمّها في وضع راقص فاستجابت له من دون مُقاومة: الحُب حاجة والمُتعة حاجة تانية.. عارفة الآيس كريم؟ أهو إنتم زى الآيس كريم.. تقدري كُل يوم تاكلى شوكولا؟؟ تقدري تعيشي عليها هى وبس؟ أشُك.. أنا شايِف إن

مش معنى إنّي بحب الشوكولا يبقى مقدرش أجرّب الفراولة . . الفانيليا . . الكرامل . . عشان أرجع تاني للشوكولا . .

سالي : واضح إنّك بتحب الآيس كريم؟

أيمن : بعرف أقدّر الآيس كريم . .

سالي : يعني مثلاً الفانيليا . . تقدّرها بكاهم . .

رفع رأسه إلى السقف مُظهِراً التفكير في أمر جد : بالمكسّرات والا من غير؟

سالي : بالمكسّرات والزبيب والبُندُق . .

أيمن : لو خدت الفليفور اللي أنا عايزه . . حك أنفه في اللحظة التي شبّت فيها على أطراف أقدامها تنتظر جوابه . . ابتسم وقال : شيك مفتوح . .

سالي : اتّفقنا . .

انزلقت من بين يديه كالصابونة . . أخذت جُرعة من كأسه وهي تتّجه ناحية الباب ثُمّ التفتت : ما فرّجتنيش إنت بتنام فين؟ والا أقول لك سيبني أنا أستكشف . . صعدت السلّم فيما جلس يصُبّ لنفسه كأسًا أخرى ويُمني نفسه ببولة الفانيليا بالمكسّرات عندما رن جرس المحمول، أخذت الشاشة تومض بكلمة رقم خاص : ألو . .

الصوت : مساء الخير يا أيمن بيه . . السكرتارية مع حضرتك . . عُثمان بيه عبد الرازق عايز يكلّمك . .

أيمن : أوكيه . . انتظر قليلاً قبل أن يأتيه صوت عُثمان الخشن : أيمن باشا . . مساء الخير . . بدا الصوت مكتومًا يحمل رائحة غامضة . .

أيمن : مساء الخير يا عُثمان . .
عُثمان : آسف يا باشا لو كُنت اتصلت في وقت غير مُناسب بس فيه عندي أخبار مش كويّسة . .
أيمن : خير يا عُثمان فيه إيه؟ الباشا حصلّه حاجة؟
عُثمان : الباشا بخير يا فندم . . أنا بكلّمك بصفة شخصيّة . . الكلام ده بيني وبين حضرتك . . إنت عارف أنا بعزّ سيادتك قد إيه . .
ظهر على أيمن القلق الشديد . . أخذ الموبايل واقترب ليتكلّم بجانب افذة : فيه إيه؟
عُثمان : فيه أخبار إتسرّبت عن شُغل يخُصّ سيادتك . .
أيمن : شُغل إيه؟
عُثمان : صفقات خارجية . . سيادتك فاهمني طبعًا . .
سكت أيمن قليلاً فسأل عُثمان : أيمن باشا . . سيادتك معايا؟
لم يحتج أيمن لإيضاح أكثر : إتسرّبت على أي مستوى؟
عُثمان : على مستوى الجرايد . .
أيمن : أنا ماشُفتش حاجة النهاردة . . جُرنال إيه؟
عُثمان : لسه . . إحنا عرفنا بالتسرّب وبنحاول نعرف مصدره . . معانا نُسَخ من الورق . . إنّما الأصول . .
قاطعه أيمن : الموضوع ده بقالُه قد إيه؟
عُثمان : حوالي أربع أيام . . أنا حبّيت أحذّر حضرتك . . لو فيه حاجة تقدر سيادتّك تعملها إعملها . . لأن الموضوع فيه أسماء تانية غير سيادتك ووارد يتفتح . . الشخص اللي سرّب ده راصد

حركة سيادتك . . مفيش صور لكن معاه مُستندات . . فيه حد سرّب ورق من عند سيادتك في الشركة . .

أيمن : مُتشكِّر يا عُثمان . . مُتشكِّر . .

أغلق التليفون وذهب في اتجاه الباب . . نادي في الديكتيفون : كرم . . اطلع لي بسُرعة . .

في غُرفة النوم الفخمة ، جلست سالي على سرير ضخم ترتدي بيبي دول أسود . . شاحنة طاقتها القُصوى لتبدو عروسًا في ليلة زفافها ، تنتظر " أيمن " عندما سمعت وقع أقدام تقترب . . عدّلت من وضع ساقيها وتأكّدت من استقرار صدرها ، ونظرت في الاتجاه الآخر مُظهرة عدم الاكتراث عندما سمعت : إحم إحم . . مدام سالي .

التفتت لتجد مدير المنزل . . انتفضت فتناولت مخدّة ووضعتها على صدرها في توتّر : فين أيمن؟؟

مدير المنزل : أيمن باشا بيعتذر لحضرتك . . فيه ظروف اضطرته يمشي . .

بدا على سالي عدم الفهم : هيتأخّر؟؟

بدا عليه التشفّي : تقدرى تروّحى دلوقتى وهو هيتّصل بيكى . . هو ساب لحضرتك دي . .

ناولها مدير المنزل علبة قطيفة سوداء مُتوسِّطة الحجم وتركها . . ظلّت فوق الدقائق الخمس مُتيبِّسة في مكانها ، لا رد فعل لها غير كلمة أطلقتها بخفوت : يا إبن الكاااالب . . قبل أن تفتح العلبة التي تركها لها . .

كان يرقُد بها خاتم من الماس لا يقل عن قيراط . . جربّته في يديها قبل أن تقوم لترتدي ملابسها وترحل . .

كانت سيّارة أخرى بى إم دبليو في انتظارها . . استقلّتها إلى البيت حيث كان في انتظارها "كريم أبّص" . .

في المهندسين كانت الحياة صاخبة رغم أن الساعة قد تعدّت الواحدة والربع في شارع جامعة الدول العربيّة . . كميّة من السيّارات الفارهة بلوحات صفراء؛ جُمرُك السويس وسفاجا . . مُخمّرات وجلابيب بيضاء وجينزات مُلتصقة وبطون عارية . . شباب على النواصي بجانب محلات الأكل والعصير . . مُسابقات سُرعة في وسط الطريق . . مطاعم عامرة وكافيهات بالحجز مُقدّمًا . . كانت السيّارة التي تُقّل "سالي" قد اقتربت من شارع سوريا . . جالسة في الخلف تتأمّل الخاتم قبل أن تخلعه وتُعيده للعلبة مرّة أخرى . . نزلت من السيّارة أمام عمارتها الفخمة مُسرعة واستقلّت المصعد إلى الدور السادس . .

كانت شقّتها غنيّة مُتخمة بالأثاث . . ديكورات فارهة . . نافورة في الوسط، وصور بورتريه ضخمة تملأ الحيطان، وواحدة لها وهي ترقُص على مسرح في بلد غربي . . دخلت من الباب حيث كانت في انتظارها "مديحة" اللبّيسة . . ناولتها الحقيبة وخلعت حذائها تسأل: كريم فين؟

مديحة: قاعد معاه ناس جوّه . .

سالي: إندهي له . .

مديحة: حاضر . .

توجّهت سالي إلى غُرفة النوم.. لم تفُت دقيقتان حتّى حصّلها كريم.. كان يرتدى ترينينج رياضيًا أصفر.. وكانت هى تجلس على التسريحة..

كريم: جيتى بدرى يعنى؟

سالى: اللي حصل..

كريم: فيه إيه؟

سالى: معرفش.. فجأة إعتذر!!

كريم: قبل والا بعد؟

سالى: معملش حاجة.. كُنت خلاص.. جالى واحد في السرير إدّانى الخاتم ده وإعتذر لي بالنيابة عنّه.. مد كريم يده والتقط العلبة من على التسريحة وفتحها: وبعدين؟

سالى: ولا حاجة.. روّحت..

كان كريم منهمكًا في تأمُّل الخاتم قبل أن يُغلّق العلبة ويضعها تحت ابطه: تلاقيه جالُه حاجة مُهمّة.. هيتّصل تانى.. وبعدين خاتم أهه ببلاش.. مفيش أحلى من كده..

كانت سالي تشعرُ بالإطراء من هديّة "أيمن وصفى".. إلا أن اختفاءه المفاجئ زرع بداخلها شعورًا خفيًا بالاستهانة، جرح كبرياء الأنثى وجعلها ترُد على كريم: مش هروح..

كريم: يعنى إيه؟؟

سالى: يعنى مش رايحة تانى.. لازم يعرف برضُه إنّى "سالي" ما تمشيش بالمنظر ده..

كريم: أيمن ده مش زبون من بتوع باريس . . إنتي هتنسى نفسك . .
وبعدين أديكي شُفتي ليلة فشنك بحتّة ألماظ . . ما بالك لو ليلة في الجون . .

سالي: مش فارقة . . هلبسهولُه في صوابع رجلي عشان يفهم هديّته تسوى عندي إيه . .

كريم: لأ؛ تفرق . . واحد زي أيمن ده بحر . . يرفعك معاه . . سيبك من الخاتم . . كلام فاضي . . أيمن وصفي ده **Green Card** يفتح لنا الأبواب المقفولة . .

سالي: مابقاش فيه قُدّامي أبواب مقفولة . .

كريم: طب لو حصل حاجة؟؟

سالي: حاجة زي إيه؟

كريم: زي شريطك اللي عمل مبيعات أكتر من تيتانيك . .

أخرسها ذلك الجواب . . لم تكُن لتسمع المزيد عن ذلك الكابوس الذي غيّر مجرى حياتها . . إلى الأفضل! حُقنة بنج الأسنان التي تؤلم لتُريح، إلا أنها لا تتحمّل ذكرى التخفي والبُعد عن الأضواء . . ألم الفضيحة . .

وقع آلاف العيون التي اخترقتها كالسهام . . لم تُنقذها إلا نعمة النسيان . . تلك النعمة التي تُنسي الزوجة حُزنها على موت زوجها لتُزف بعده بأشهُر وكأن شيئًا لم يكُن . .

كريم: الإسبوع ده عندك تصوير برنامج " قصّة نجم " . . إتّصلوا بيكي النهاردة يأكّدوا المعاد . . رمضان قرّب وعندنا لسّه خمس حلقات ما خلصتش . . ده غير بالليل عندك لفّة على السينمات عشان

الفيلم الجديد. . "خالد السمكي" كلّمني. . فيلم "محمّد سعد" نازِل خلاص الإسبوع الجاى. . حضّرت لك هو عربية مكشوفة عشان العيال الهيجانة بتوع المرّة اللي فاتت اللي كانوا هيشيلونا بالعربية. . وعندنا أسبوعين صعبيين أوى. . عايزِك فريش. .

سالى: فيه حاجة في الجرايد؟؟

كريم: كاتبين زى الزفت عن الفيلم. . ولاد قحبة ما يعجبهُمش العجب. . الكليب عامل شُغل جامد. . القنوات بتشغّلوا ورا بعض كُل خمس دقايق. . آه. . كويّس إنّى إفتكرت. . سكرتارية الشيخ "حمد" إتّصلوا. . فيه حفلة قُرِيِّب. . والراجل عازمك في قصرُه الخاص إسبوع. .

سالى: أنا هلبس. . هروح للسمكي. . تيجى؟

كريم: لأ روحى إنتى. .

قالها وهو يدلّك أكتافها بهدوء: نازل مشوار. . وهبقى أعدّى عليكي. .

لثم رقبتها وتركها تنظُر لنفسها في المرآة. . شيء ما غير طبيعي إستولى عليها. . سحابة من الكآبة وإحساس بالزهق والتوتّر جعلها تصرُخ: سديييحااااه. . تعالى لبِّسيني. .

. . . .



بعد خمسة أيّام . .

كانت عقارب الساعة في الأستوديو تُشير إلى الخامسة ونصف الساعة . .

خرجت طفلة صغيرة من صالة التصوير مع أمّها وخرج وراءها أحمد

داعب شعرها حتى رحلت . .

اتّجه إلى عُمر الذي كان يعمل في إحدى الصّور حين ضرب جرس

تليفونه رقم غير مُسجّل . .

جاءه صوت علاء : أحمد . . أنا علاء . .

أحمد : إنت فين؟؟

علاء : أنا كويس . . مفيش حاجة . . عايزين نتقابل . .

أحمد : إمتّى؟

علاء : فاكر أوّل مرّة قابلتك . .

فهم أحمد أنّه يقصد قهوة وسط البلد : الساعة كام؟

علاء : بُكرة الساعة سبعة . . كويّس؟

أحمد : سبعة . .

قام عُمر لأحمد الذي ظل واقفًا ينظُر إلى الشارع من الزُجاج . .

عُمر : إيه . . مالك؟ سرحان في بُكرة يا عم الحبّيب؟

أحمد : علاء إتّصل . .

بدا على عُمر الاهتمام المُفاجئ : وبعدين؟

أحمد: هقابله بُكرة.. بعد ما أقابل غادة.. الساعة سبعة..

عُمر: هاجي معاك..

أحمد: بلاش.. علاء صوتُه مش طبيعي.. خايف يكون فيه حاجة..

عُمر: هفضل أنا قاعد على أعصابي كده؟

أحمد: وجودك مش هيفيدني.. خلّيك بعيد.. لو حصل حاجة تعرف تتصرّف.. هسيب المُفتاح معاك..

عُمر: ماشي.. أنا رأيي تقولّه خلاص بقى.. هيجيبونا كده يا أحمد.. إنت أصلاً غلط تقابلُه..

أحمد: ما تنساش إن أنا اللي طلبت خدمتُه..

عُمر: آه.. بس صورك كانت لوحدها كفاية.. إيه اللي حشر السياسة والأسماء الكبيرة والبلاوى التانية دي! إنت قُلت في الأوّل إنّنا هنلعب، مش هنعالج البلد.. أنا شايف إن الموضوع كبر ولو حصل حاجة هنتشد معاه.. هيجُرّنا وراه أكنّنا مربوطين بحبل.. محدّش هينفعنا..

أحمد: ما ينفعش يتراجع دلوقتي..

عُمر: صدّقني المسألة مسألة وقت.. هيوصلوا لُه..

أحمد: يعني أسيبُه.. بعد ما بدأ يعمل حاجة؟

عُمر: هو راجل إنتحاري ما صدّق شاف الصّور قام لازق فيها مواضيعه ونشرها.. آدي الجُرنال قفل أهه من قبل ما ينشُر حاجة، وزمانهُم بيدوّروا على اللي خبّط في جلال وأكيد لقوا حاجة عندُه..

أحمد: هو اللي يقول الحق دلوقتى يفضل خايف كده؟

عمر: آه..

أحمد: يعنى إيه؟

عُمر: يعنى تروح بكرة تقابل المُزّة وتطلع على علاء في القهوة تصفي الموضوع وتديّله المفتاح ويا دار ما دخلك شر.. هو من سكّة وإحنا من سكّة يا عم أحمد..

لم يرّد عليه أحمد.. ظلّ يُفكّر خائفًا.. يتخيّل الأهوال.. أهوال من العبور في الممنوع..

لا يعرف ما هذا الشعور الذي داهمه.. حنين غريب لأخته آية.. رغم كل شيء كانت آخر أهله..

رغم أنفها.. اتصل بها.. كان التليفون مغلقًا.. استقل تاكسيًا وذهب إليها..

أمام باب الشقّة، أخذ يتأمّل مكان شاغرًا لونه أفتح من لون الطلاء الذي حوله.. كان مكان يافطة مكتوب عليها اسم أبيه.. ضرب الجرس.. انتظر قليلاً حتّى فتحت له "آية".. رأى عينيها من خلال النقاب..

أحمد: إزيّك يا آية..

آية: الحمد لله.. تعالى..

دخلت وأغلقت الباب.. مشى وراءها وهى تخلع النقاب حتّى الصالون.. تغيّرت الشقّة كثيرًا..

لم تعُد ذلك المكان الذي شهد مراحل عُمرهُما.. بات غريبًا كئيبًا.. الحيطان أصبحت خضراء.. استبدلت النجفة الكبيرة في الصالون بلمبة

نيون ٦٠ ذكّرته بزيارة جودة في المشرحة. . انتشر عدد كبير من الصناديق والعلب الصفيح في كُل أركان البيت. .

جلس أحمد في الصالون في حين أغلقت عليه آية الباب: ثانية واحدة. . في عندي ضيفة. .

من خلال الباب الذي لم يُغلق جيداً وانفتحت منه فُرجة لمح فتاة تخرج من الغُرفة وتُناول آية بعض النقود. . شكرتها آية ووصّلتها حتّى الباب ثُم عادت. .

أحمد: مين دى؟

آية: دى واحدة صاحبتي. .

أحمد: كانت بتديّكى فلوس. .

آية: آه. . كُنت مسلفاهلها. .

أحمد: وهي اللي بتشكرك!! وإيه الصناديق دى؟

آية: جبنة. .

أحمد: مش فاهم. . يعنى إيه جبنة!

آية: محمود بيشتغل دلوقتى في الجبنة والبسطرمة. .

أحمد: طب ومحل الهدوم اللي في الموسكى؟

آية: سابُه. .

أحمد: ليه؟

آية: الناس طلعت مش كويّسة. . مُعاملاتهُم الماليّة مشبوهة. . الجبنة تجارة نضيفة مفيش فيها شُبهة. .

رد أحمد بسُخرية: والبخور كمان. . سمعت إن مكسبُه هايل. .

نهرته آية بنظرة تبعتها بجزّة على أسنانها: زي الكازينو كده؟

أحمد: أنا سيبت الكازينو خلاص..

آية: الحمد لله.. أنا دعيتلك كتير.. بتشتغل فين دلوقتي؟

أحمد: في كوداك إكسبريس المنيل..

آية: لا إله إلا الله.. ربنا يعفيك.. أنا قُلت خلاص بعد عن السيئات!

أحمد: هو الأستوديو كمان حرام؟

آية: أي تقليد لخلق الله حرام.. النحت زي الرسم والتصوير.. كُل ده حرام..

أحمد: ماشي.. يعني مش هتحتاجي صور بطاقة تاني؟

آية: في الضرورة بس..

أحمد: وحرام الناس تصوّر ولادها كمان؟ وحرام الواحد يفتكر نفسُه وهو صُغيّر ويورّيها لولاده؟

آية: إنت حُر.. إحسبها زي ما إنت عايز..

أحمد: ماشي.. عامةً أنا مش جاي أتخانق.. وحشتيني قُلت آجي أشوفك.. إزّاي محمود؟

آية: كويس..

أحمد: هو فين؟

تردّدت آية قليلاً: بايت برّه النهارده..

أحمد: شُغل؟؟

آية: لأ.. عند سماح..

أحمد: سماح مين؟

آية: سماح مراتُه..

أحمد: نعم؟؟؟

آية: محمود إتجوّز..

أحمد: يا إبن الكاااالب..

لم تُعقّب آية.. في ظروف أخرى كانت ستأكله إذا مس محمودها كلمة..

أحمد: وأنا كُنت فين؟ الواد ده أذاكي؟ ما إتّصلتيش ليه؟ ليه؟

آية: ما حصلش حاجة.. أنا مش مضّايقة.. وبعدين تليفونك مقفول من فترة..

تذكّر أنّه كسر شريحته: حصل إمتى الموضوع ده؟

آية: من إسبوعين..

أحمد: إيه اللي حصل؟؟

آية: ولا حاجة دي سماح.. سماح سيّد فاكرها؟ اللي كانت معايا في المدرسة..

أحمد: كمان صاحبتك؟؟ وبعدين؟؟

آية: شافها عندي مرّة.. سألني عنها.. كان عليها قرين رابطها وعاوز يتجوّزها.. كان لازم حد على علم يتجوّزها.. عشان يصرف عنها.. طلبها منّي.. بت كويسة مش هلاقي أحسن منها..

بدت غير مُقتنعة..

أحمد: بالبساطة دي.. آية أنا هسألك سؤال واحد بس.. إنتي راضية ومصدّقة الكلام ده.. راضية بحالك كده بين صناديق الجبنة والبسطرمة وفيلم الإنس والجن اللي إنتي عايشة فيه ده؟

لم تردّ آية . . ظلّت تنظُر إليه في صـمت . . عيناهـا تقـول اسـكُت . . لا داعي لوضع ملح فوق جرح . . قام . . تمشى في الغُرفة كالمجنون وظلّت هى تنظُر في الفراغ حتّى نطقت : أحمد . . ده حقّه . . أنا راضية . .

أحمد : أنا مش راضى . . حرام عليكى . . أخد شقّة أبونا وأمّنا ودلـوقتى يرميكى زى الكلبة في مخزن جبنة . . أنا مش فاهم إنتـى بتفكّـرى إزّاى . . إنتى لو مش متعلّمة ما كُنتش لومتك . .

آية : مفيش داعي للكلام . . ده أمر ربنا ونفذ خلاص . .

أحمد : يعنى أسكُت . .

آية : أيوة يا أحمد . .

قام أحمد واتّجه ناحية الباب : أنا فعلاً هاسكُت . . مش عـارف ليـه كُـل مرّة بفكّر أجيلك أو أكلّمك يحصل حاجة . . أنـا بقيـت أخـاف أكلّمك . . بخاف أعرف حاجة عنّك . . مش مـصدّق إن دى آيـة بنت عم كمال . . البـت الـشّقية حبيبـة أبوهـا . . بقيتـى واحـدة تانية . . مش أختى اللي إتربت معايا . .

قاطعته : مفيش داعي يا أحمد . . خلاص بقى . .

أحمد : الواد ده أنا لو شُفتُه هضربُه . . قولي له . . هضربُه . .

آية : مش عايزة مشاكل . . محدّش يقدر يلومُه . . ده شرع ربنـا . . أحمـد أنا لو إطلّقت هبقى في الشارِع . .

عارِف يعنى إيه في الشارِع . . إحنا مالنـاش عـم ولا خالـة ولا أنـا حتّـى بشتغل . .

أحمد: تقعُدي معايا.. أنا مأجّر شقّة وسيبي الكلب ده.. قُلت لـك يـا آية.. ده حيوان..

آية: ما ينفعش يا أحمد.. إنت يدوبك تشيل نفسك..

قاطعها أحمد: والا فلوسي حرام؟؟

آية: دي حاجة تانية.. لو سمحت يا أحمد سيبني أنا بعرف أتـصرّف.. لو إحتجتلك هكلمك..

أحمد: أخرُج أنا منها يعني.. مش كده.. أخرج ورقة من جيبه وسحب قلمًا جافًا رديئًا كان على الترابيزة.. وكتب رقم تليفونه الجديـد وعنوان الأستوديو: دي تليفوناتي.. لـو إفتكرتـي إن عنـدك أخ إبقي كلّميني..

ترك الصالون ورحـل.. في الطُرقة لم يمنع عينه مـن النظـر في غُرفـة النوم.. لمح فيها مناديل ورقيّة على الأرض بجانب ملقاط وطبق فيه عجينـة صفراء مُختلطة بشعر.. توقُف.. التفت لآية التي أسرعت تُغلق الباب..

أمسكها أحمد من كوعها: البت اللي كات عندك دي عروسة مش كده؟ لم ترُد عليه.. أطرقت برأسها إلى الأرض ممّا زاده جنونًا..

أحمد: رُدّي عليّا البت اللـي كانـت هنـا دي كانـت بتعمـل عنـدك إيـه؟ بتشتغلي حفّافة يا آية؟بتشتغلي حفّافـة؟؟ الـواد ده خـدك معـاه لتحت أوي كده؟؟ هتروحي فين بعد كده؟؟

آية: مُمكن تمشي يا أحمد.. إمشي دلوقتي.. نتكلم بعدين..

نفر عرق الغضب في جبينه.. تلجلجت كلماتـه الـتي لـم تخـرُج.. أدار ظهره وصك الباب في عنف..

نزل بِضع درجات على السلم ثُمّ توقف.. ظل في هذه الحالة لدقيقة..
دقيقة جلستها آية على الأرض، ظهرها للباب تبكي في صمت.. اقترب
وأخرج من محفظته ورقة بخمسين جنيهًا.. كانت كُل ما معه.. طبقها
تطبيقتين صغّرت حجمها وانحنى على الأرض.. سمعها وهي تبكي..
ابتلع غُصّة في حُلْقه ودسّ الورقة تحت عقب الباب.. في الجانب الآخر رأت
آية الورقة.. كتمت نحيبها ومدّت يدها.. أخذتها ودفنت فيها وجهها..
قامت وقام أحمد معها كأنّه يراها.. نزل السلم ودخلت هي غُرفتها..
أخرجت محفظتها من حقيبتها.. كان فيها مكان شاغر للصور.. دست
الخمسين جُنيهًا وراء الصورة الوحيدة الباقية.. صورة أخيها أحمد..

. . . .



في ذلك الوقت في مكتب صفوان البحيري، كان سقف الغُرفة تُغطّيه سُحُب داكنة من دُخان السجائر تُنذِّر بأمطار رعديّة.. هدوء ما قبل العاصفة سيطر على الجو العام للمكان.. كان "مُصطفي عارف" جالسًا مُشمِّرًا قميصه يكسو وجهه العرق أمام "صفوان" الذي لم يختلف كثيراً عن حاله..

مُصطفى: نيجي لموضوع أحمد كمال.. إحنا حصرنا كُل اللي خرجوا من مصر في الشهرين اللي فاتوا واسمهم أحمد كمال من سجلات الجوازات.. خرج ٩ ليهُم نفس الاسم.. رصدنا منهُم ستّة عرفنا عناوينهُم وتأكدنا إنه مش واحد منهُم.. أتنين مُدرّسين وواحد نجّار مسلّح وعامل لحام واتنين سوّاقين.. يتفضل كده تلاتة خارجين بتأشيرة عُمّال بس يعني مفيش تصنيف.. المُشكلة عندنا إن مكاتب العمل بتشترط تغيير البطاقة لعمل التأشيرة زى ما حضرتك عارف.. بيحصل تغيير للعناوين والبيانات عشان قانون العمالة الجديد.. إحنا أخدنا عناوينهُم.. إتنين منهُم بتنطبق عليهم مواصفات الولد بتاعنا.. نفس العُمر ونفس الظروف.. المُشكلة إن الاسم مش ثلاثي كنا ضيّقنا نطاق البحث.. ده إذا كان اسم أبوه كمال ومفيش حاجة بينهم، في خلال بُكرة هيكون عندي خبر عنُه..

صفوان: مم. . لو ماوصلتش في خلال بُكرة لحاجة إعمل اتصال بالسفارة بتاعتنا هناك. .

مُصطفى: أوكيه يا فندم. .

صفوان: أخبار الهدف التانى إيه؟ علاء جُمعة؟

مُصطفى: فيه مُحرّر في جُرنال الجيل واضح إنه بيكنّ له معزّة خاصة. . إنت عارف سيادتك إن أكل عيش ناس كتير إتوقف. . قال لنا إنُه كان بيتردّد على مكتب رئيس التحرير من حوالي إسبوعين. . وهو مصدر المقالات دى. . حدّدنا بيتُه يا فندم. . رصدنا مكانُه عن طريق تليفونُه المحمول. . قاعد دلوقتى في شقّة في حدايق حلوان. . قُدّام محطّة المترو. .

من إمبارح بالليل إتحطت الشقّة تحت المُراقبة. . عايش لوحدُه. .

صفوان: مواعيده إيه؟؟

مُصطفى: بينزل من الصُبح مايجيش غير بالليل. .

صفوان: من بُكرة أوّل ما ينزل الشقة تتفتش. . عايز الورق ده على مكتبي بُكرة. . وماتمشّيش حد وراه. . أنا مش عايزُه يحس بحاجة لغاية ما ينزل بكرة. .

مُصطفى: تفتيش نضيف؟

صفوان: مش هتفرق. . هو مش هيلحق يفكّر. .

مُصطفى: وإذا ما لقيناش عندُه حاجة؟

صفوان: يعنى إيه ما لقيناش عندُه حاجة؟

مُصطفى: وارد يكون الورق مش في البيت.. في الحالة دي هيعرف إن فيه حد وراه.. بقول نجيبُه؟؟

سكت صفوان قليلاً: لو جيبناه هنا الواد ده هيفتح علينا باب مالوش لازمة.. هيقولوا فيه اختراق أمنى حصل.. إزّاى نستنّى لغاية ما كُل المعلومات دى تتسرّب.. الباشا بيصفي خصومُه تصفيات جسديّة، وما تنساش صورة طارق.. مش صعب إن حد يتعرّف عليه.. ألف مين هيخدم.. وميت ألف يتمنّوا راسى قبل راسك.. إحنا كده ضهرنا هيفضل في الهوا.. مش هجازف..

مُصطفى: سيادتك شايف إيه؟؟

صفوان: شايف نقفل الباب من أصلُه.. المعلومات لغاية دلوقتى لسّه ما إتنشرتش.. يعنى الكورة لسّه

في ملعبنا.. مش هستنّى لمّا ألاقى جُرنال مُعارض يعملى سبق يجنّن علينا اللي فوق.. إخلص لي منّه بهدوء، من غير لفت نظر.. حادثة عاديّة مش مشكوك فيها ونقفل التحقيق.. فتش.. لو لقيت حاجه كان بها.. مفيش إنت عارف هتعمل إيه..

مُصطفى: ما نعملش مُحاولة معاه؟ إرهاب يعنى.. إحنا مُمكن نخلُه هنا.. ننسِّيه أبوه وأمّه..

صفوان: هيُخرَّج عُنصُر نشط برضُه.. مش هينسى اللي إتعمل فيه بالعكس ده هيخلّيه يستبيع أكتر..

مُصطفى: اللي تشوفُه سيادتك..

صفوان: اللي أشوفُه ده بُكرة.. يِحصل بُكرة.. مِش عايِز زروطة زى اللي حصلت في البار..

أديك شُفت بعد أكتر من سنة الريحة تفوح من تانى؟؟ إبعت حد بيفهم المرّة دى..

قام مُصطفي يُلملِم الأوراق: أكيد يا فندِم هبلّغ سيادتك أول بأوّل..

صفوان: مُصطفى.. مفيش مجال للغلط ولا للصُدفة المرّة دى..

مُصطفى: أكيد يا فندِم.. أكيد.. وإنسحب مسرور حاملاً سيفه المسنون إلى ديار البرامكة..

بعد ليلة غاية في الإجهاد قام أحمد.. ألم يعتصر ظهره وثقل حديدي في قدميه، وعين مُغلقة لا تقوى على النظر إلى ذلك الشُعاع المُتسلّل كالسكينة القاطعة في وسط الغُرفة.. جرجر قدميه إلى الحمّام يغسل ليلته الماضية.. السواد تحت عينيه بركة من القار.. شعره أشعث كمقشّة زبّال.. حلقه مُلتصق ببعضه كصمغًا عربيًا.. لم يكُن في مزاج يسمح له بمُقابلة "غادة" كما لَم يكُن يملُك خيارًا.. بعد دُش بارد لعدم وجود سخّان دس نفسه في ملابسه، ونظر في ساعته فوجدها تُشير إلى الثانية إلا الرُبع.. قرّر البقاء حتّى الثانية لينزل في ميعادُه.. جلس أمام الكُمبيوتر يفتح ملفا مكتوبًا عليه غادة.. كان فيه صورها مع الأطفال.. أخذ يتأمّلها.. بدت واحدة منهُم في براءتها.. ظل يسبح في وجهها لخمس دقائق..

المرّة التاسعة تقريبًا التي يُقلّب فيها الصور.. فتح ملفًا آخرًا مكتوبًا عليه "علاء".. الصورة التي التقطها "عُمر" في أوّل لقاء.. ثُمّ النُسخة الفاضحة التي صنعها له: وِسِخ الواد ده..

تلك كانت كلمة أحمد المعهودة لوصف حرفة عُمر في تركيب الصّور..

نظر في ساعته.. كانت الثانية.. أغلق الكمبيوتر وغادر إلى الزمالك..

في الكُليّة الجميلة كانت تجلس.. ترسم عالمًا من الألوان يشبه قصص أليس في بلاد العجائب..

أخذت تصنع إشارات وعلامات لا يفهمها إلا الأطفال.. حوار صامت لا تسمع فيه إلا الضحكات..

كانت مُشرقة وهي تُرحِّب به.. بدت عليها السّعادة وهي تُقلِّب الصور أمام الأطفال الذّين التفوا حولها يتغامزون ويضحكون، أعطت مجموعة إشارات للأطفال لم يفهم أحمد منها شيئًا، كانت تهز يدها في شكل سلام.. ضمّت كفّها ووضعتها ناحية القلب.. ثُمّ إشارة أخرى تُشبه القُبلة..

و ما إن انتهت حتّى وجد الأطفال يلتفّون حوله، وكُل منهُم يُسلِّم عليه مُبتسمًا ويُقبله..

قضى ساعة أخرى جميلة أنسته ما حدث أمس مع أخته.. انتهى الكورس وانسحبت غادة معه إلى الخارج..

أحمد: تحبّي نتمشّى شوية..

هزّت رأسها موافقة.. أخذهُما الحديث بين ضواحي الزمالك الهادئة حتّى خرجا إلى النيل..

بجانب مشتل ورود جلس معها يتحدّث، كانت الشمس قد انكسرت فاكتسى الجو بمسحة بُرتُقاليّة مُذهبة..

غادة: وبعدين؟

أحمد: ولا قبلين يا ستّي.. هي دي قصّة أختي لغاية إمبارح..

غادة: مسكينة.. طب وإنت ناوى على إيه معاها؟؟

أحمد: قافلة الباب في وشي.. مش عايزانى أساعدها..

غادة: ما ينفعش تسيبها..

أحمد: أكيد.. أنا بس سايبها تهدا شويّة وبعدين أكلمها.. أنا دوشتك بمشاكلى مش كده؟؟

غادة: خالص..

أحمد: غادة.. أفهم من وجودك معايا النهاردة إنّك مُتقبّلانى..

أشاحت غادة بنظرها ناحية النيل.. ظلّت صامتة تهرب بعينيها عنه.. إلا أن شبح ابتسامة كان يطُل من بين شفتيها..

رآه أحمد: عادى يا غادة.. أنا مش زعلان والله.. أنا مبسوط إنّى عرفتك.. أنا مش أوّل واحد يتعرّف على واحدة أمّورة وزى القمر شغّالة في جاليرى ديكور وفنّانة وبعدين يطلع لها توأم وبعدين يعجب بيها واحد ويبعت لها جواب وبعدين يقابلها في الإستوديو وبعدين تقولّه لأ عشان إنت رخم..

انفجرت غادة من الضحك حتّى دمعت عيناها: إيه اللي إنت بتقولوا ده!! أنا مش مصدّقاك.. إنت غريب أوى.. حتّى في المواقف الصعبة بتقلبها تهريج.. باعت لي في الجواب إنّك هترمي نفسك من فوق السجادة.. إنت بتجيب الكلام ده منين؟؟ وبعدين أنا ما قُلتش إنّك رخم..

أحمد: لو ما عملتش كده هنفجر.. لازم أعدّى يومي..

غادة: أنت أغرب حد قابلته..

أحمد: وإنتي أجمل إنسانة شُفتها.. عارفة.. حتّى الكاميرا مِش لاقية فيكي عيب..

غادة: إنت اللي بتعرف تصوّر كويس..

أحمد: أبدًا والله، أنا لو صَوّرتك صور أشعّة أو حتّى مُستندات هتطلعي برضُه زي القمر..

"مساء الخير.." التفت أحمد وراءه متوقّعًا بائِع الورد أو الحاجة الساقعة.. لكنه لم يكُن كذلك..

كان يقف وراءه ثلاثة شباب ببدل الشُرطة.. نقيب ومُلازمان.. بدل نظيفة، ووجوه مملوءة ثقة بالنفس، ونظرات ساخرة: مُمكن البطايق..

تسارعت نبضات قلب أحمد وهو يُخرِج محفظته: إتفضّل..

تناولها النقيب، وشد أحمد من كوعه برِفق: تعالى كده لو سمحت..

أبعده قليلاً عن غادة التي بُهتت وقامت من مكانها، في حين إتّجه إليها مُلازم من الثلاثة.. التقت عين أحمد بعينيها.. بدت مُنهارة، خائفة كورقة شجر في مهبّ الريح.. التفت أحمد إلى الضابط الذي كان يقرأ بطاقته: ممكن لو سمحت تخلّيه يتكلّم معايا أنا..

أجابه النقيب: شغّال فين يا أبو حميد؟

كانت عين أحمد لا تُفارِق غادة التي فتحت حقيبتها تبحث عن البطاقة.. كانت عيناها تلتقيان بعينيه في استغاثة حين أجاب النقيب: أنا شغّال في كوداك إكسبريس في المنيل.. معلش مُمكن حضرتك بس عشان ماتخافش خلّيه يتكلّم معايا أنا.. هي مالهاش دعوة..

أجابه النقيب وكأنّه لم يسمعه: ساكن فين يا أحمد؟

كانت غادة قد أخرجت بطاقتها للمُلازِم الذي وقف يتأمّل البيانات البسيطة المكتوبة بها كأنّه يقرأ جريدة.. ينقل بصره بين وجهها وصورتها في البطاقة كضابط الجوازات.. لا تعبير على وجهه.. في حين توجّه المُلازم الثالث الذي بدا أحدثهُم عهداً ناحية زميله الواقف أمام غادة التي تعلّقت نظراتها بأحمد مأخوذة بما يحدُث.. تغيّر لون مُقدّمة طرحتها من الأزرق إلى الكُحلى من أثر عرق بدأ ينثال من جبينها، بعدما مرّت شلّة بنات بجانبهِم فأخذن يُتابعن الموقف بأعيُنهُن حتّى اختفين، في حين تجمهر بعض الشباب على الرصيف الآخر، وعبر الشارع حبيبان بعد أن فكّا أيديهُما خوفًا..

في وسط المارّة متابعي الموقف لمح أحمد شبحًا.. شبحًا عرفه جيداً من بدلته الفخمة يمشي خلف الجمع.. كان يبتسم ابتسامته الساخرة.. انشغل نظر أحمد بالنقيب لثانيتين كانتا كافيتين لأن يختفي ذلك الكابوس عندما رجع بنظره إلى الواقفين.. أخذ يبحث عنه بين الناس والغريب أن شعوراً مُلحًا انتابه بأن يطلُب منه المُساعدة.. بأية حال هو معرفة ويبدو ذا شأن.. لكنّه لم يعُد هُناك.. اختفي كما ظهر..

اهتزت أوتار يد أحمد اليُسرى فارتعشت كلماته وهو يُجيب: أنا ساكن هنا في المنيل.. ثُمّ اقترب من النقيب في توسُّل وخفض صوته: بعد إذن حضرتك أنا مش عايزها بس تخاف.. لو فيه حاجة أنا معاك أهه.. خليها هي تمشى.. الناس بتتفرّج علينا.. حضرتك كده بتحرجها..

سأله النقيب بهدوء الجرّاح: أمّال البطاقة مكتوب فيها السيّدة زينب ليه؟

أحمد: كُنت ساكن هناك.. بيت أبويا..

النقيب: ودلوقتى قاعد مع مين؟

أحمد: لوحدى.. مأجّر شقّة..

كان أحد المُلازمين قد انخرط في حديث غير مسموع مع "غادة" التي لمعت عيناها في بداية بُكاء حين قرّر أحمد أن يقترب منها وليكُن ما يكون، فأمسكه الضابط من رسغه: تعالى بس أقف هنا.. أنا ما خلّصتش كلامي.. بكلِّمك تسيبنى يعنى؟؟

أحمد: أنا آسف مش قصدي.. هو فيه حاجة؟ إحنا عملنا حاجة؟ إحنا كُنّا قاعدين بنتكلم بس..

النقيب: إنت خطيبها؟

سكت أحمد لحظة قبل أن يُجيب: لأ.. لسّه.. بس ناويين إن شاء الله خلاص..

النقيب: أمّال كُنت ماسك إيديها ليه؟

أحمد: والله العظيم ما كُنت ماسك إيديها.. دى تانى مرّة أقعُد معاها..

النقيب: ناويين الخطوبة من تانى مرّة تُقعُد معاها؟

أدرك أحمد أنّه غير بارع في الكذب: إحنا أوّل مرّة نُخرُج بس نِعرف بعض من فترة كبيرة يعنى..

النقيب: في البيت يعرفوا هي مع مين؟ يعنى لو كلّمناهُم يعرفوك؟

أحمد بتردّد: يعنى.. مش كُلّهُم..

نظرت له غادة ثانيًا كغريق يحتضر قبل أن تُشيح بنظرها إلى الأرض: بعد إذنك هشوفها بس.. بتعيّط..

استوقفه النقيب: ثانية واحدة بس..

احتد أحمد: بقول لحضرتك بتعيّط.. معلش بس هطمّنها..

اشتدت نبرة صوت النقيب: لما أكلّمك ما تُقعُدش تقولي أكلّمها وثانية واحدة وبتعيط.. كده مش كويس عشانك هه.. وبلاش قعدة هنا.. خُدها يلّله وإتكل على الله..

أحمد: حاضر.. حاضر..

اقترب منه النقيب وهمس: وبلاش لكاعة في المنطقة يا روح أمّك عشان ما أطرقعلكش إنت وهيا.. فيه بيت وزير في الشارع اللي ورانا.. أنا مارضيتش أعلّقك بس عشان اللي معاك باين عليها بنت ناس.. والا تحب نتكلّم من النقطة عندها في البيت؟

قالها وهو يضع البطاقة داخل جيب قميص أحمد..

أحمد: مفيش داعي.. شكراً.. متشكّر أوى..

أخذها أحمد ورحلا.. ظلّ صوت سرينة عربة الدوريّة يدوى في أذنيهُما، لا تُفارقهُما عيون الضبّاط وهُم ماروّن بجانبهُم ينظرون بتشفٍ وسُخرية من خلف الزُجاج، والمارّة الذّين أشفق بعضهُم وتضاحك الباقي سُخرية وشماتة ظنًّا منهُم أنهُما فعلا فعلاً استحقا عليه أن يُسألا..

كانت المسافة طويلة حتّى ميدان سعد زغلول.. مسافة يحكي فيها أحدهُما قصّة حياته مرّتين.. لكن ليس في مثل هذا الموقف.. مشيا وعلى رؤوسهما الطير، وقد صنع عشًا وباض بيضًا.. دمعة عالقة بعين غادة لا تجف، ومخلوق أسود خفي في صدر أحمد يثير عاصفة من الهم والانكسار لم يعهدها من قبل.. تمنّى للحظة أن تتكلّم أو حتى تصرُخ لكنها لم تفعل.. ظلّت صامتة تتحاشاه..

فجأة التفتت إليه وقالت بهدوء: مُمكن توقّف تاكسي؟

أجابها أحمد برفق: غادة.. خمس دقايق بس.. نتكلم..
اضطرت غادة إلى النظر في عينيه لتسمعه: أنا لازم أروّح.. إتأخّرت..
أحمد: أنا آسف على اللي حصل.. إنتى فهمتى إيه اللي كان عايزُه؟؟
ده واد ذوق جدًا على فكرة.. أصل فيه وزير ساكن هناك..
الواد حب يقولّي عشان الموكب بتاعُه كان خارج بس.. لو فيه
حاجة كان عمل مُشكلة.. إنتى عارفة الناس دى برضُه عبد
المأمور..
بدا غير مُقتنع بما يقولُه فاستطرد فيما كانت تنظُر إليه في عِتاب: همّا
كلموكى قالوا لك إيه؟
غادة: كان بيسألنى إذا كان أهلي يعرفوا إنّى ماشية معاك..
أحمد: وإنتى قلتى إيه؟
غادة: كدبت.. قلت إنّك إبن خالتي وقارين الفاتحة..
أحمد: أمّا عيال زبالة.. بس الواد النقيب ده والله مؤدب.. عارفة أكيد
ما سمعتش اللي قالوه..
العيال دى أصلها لما بتتخرّج بتبقى حاسّه بنفسها.. سُلطة وطبنجة
وشويّة عساكر تحت إيديهُم وبدلة.. إنتى فاهمة.. عايزين يحسّوا إنّهُم
مُهمّين.. شباب برضُه.. نقص..
كانت كلماتُه كنُقطة الحبر في البحر.. لا تأثير لها.. ظلّت غادة
شاخصة البصر تُحدق في الفراغ..
كان كمن يُحاول مُداواة بتر أحد الأطراف بالمايكروكروم.. أخذ يشرح
لها كيف همس في أذن الضابط أنه يعرف العقيد فُلان.. زبونه في الأستوديو

وكيف تذكّره واتضح أنه أستاذه.. كيف ضحك معه وناداه بأبو حميد.. كيف أنّه لم يتركها إنّما كان مُطمئن عليها لأنّهُم: عِيال ذوق.. ولاد ناس..

غادة: معلش يا أحمد.. لازم أمشي وقّف لي تاكسي..

أحمد: غادة مش هينفع تمشي وإنتي كده.. إنتي فاهمة غلط..

غادة: مفيش حاجة يا أحمد.. فيه تاكسي جاي أهه بعد إذنك..

أحمد: غادة محصلش حاجة.. أي ظابط مُمكن يسأل أي حد في الشارِع.. ده شُغلُه..

غادة: الناس دي ما كانتش بتسأل.. الناس دي كانت ماسكة علينا زلّة.. إنت ما شُفتش كان بيبُصّلي إزاي.. أكَنّي كُنت بعمل حاجة غلط.. سألني ساكنة فين.. بابا وماما عارفين؟ بتحبّوا بعض بقه؟؟

أحمد: الحيوان ده مالُه ومال كُل ده..

غادة: ماعرفش يا أحمد.. إرجع إسألُه.. أنا عايزة أروّح لو سمحت.. بعد إذنك وقّف لي تاكسي..

أحمد: ماقدرش أسيبك تروّحي كده..

مدّت غادة يدها تحت حجابها، وخلعت سماعتها ووضعتها في حقيبتها..

كانت الرسالة واضحة.. لم يملُك أحمد إلا أن يُشير إلى التاكسي الذي استقلته هاربة بنظرها بعيداً عن عينيه تتحاشى النظر إليه.. حتّى اختفت.. أغمض عينيه لحظات فشعر بنار تسري بداخلها لتحرقها..

ظلّ يمشي حتّى صعد كوبري قصر النيل.. يتأمّل المياه الجارية أمامه..
لا يعرف كم مضى من وقت.. كانت طعنة باردة أيّما برودة.. أطبقت على صدره صنعت نزيفًا داخليًا من الكآبة.. إحساسًا مُلحًّا لزجًا يحاصره.. كان يشعُر أنّه عار أمامها.. كم أصبح مكسوراً شديد الضعف.. لا يقوى على حمايتها.. تضاءل إحساسه بحجمه.. تزعزعت ثقته بنفسه.. أصبح هشًا.. تمنّى لو لم ترحل.. تمنّى أن تنفجر فيه صارخة.. تمنّى لو لم يعرفها أصلاً، كان يعرف أنّها لن تنسى وسيظل هذا الموقف دائمًا حائطًا خراسانيًا يفصل بينهُما.. علاوة على إحساسه الأصيل بضعف إمكاناته.. كُل ذلك كان كفيلاً بأن يُدرك أن موقفًا كهذا قضى على آخر أمل له معها، قبل أن يقضي على احترامه لنفسه..

نزلت ساعات النهار سريعة.. ظل أحمد جالسًا وحده على دكّة بجانب الكوبري سارحًا في النيل والمارة.. اتصل بغادة أكثر من مرّة.. لَم تُجبه..
أرسل لها رسالة: غادة أنا بس عايز أطّمن عليكي..

في بيت غادة، ظل الموبايل يهتز بجانب سمّاعتها فوق الكومودينو..
كانت جالسة تضُم رجليها إلى صدرها على السرير.. لم تشعُر بالاهتزاز من حركة التليفون.. قبل أن ينفتح الباب فجأة..

كانت تلك عادة ميّادة.. لا تطرُق الباب أبدًا.. دخلت الغُرفة ترتدي جينزاً ممزّقًا وبلوزة قصيرة، وفي أذنها سمّاعة موصولة بالموبايل تستمع إلى الأغاني.. ألقت نظرة إلى غادة.. في لحظة عرفت أن هُناك خطب ما..
كانت تحفظها عن ظهر قلب كصفحة بيضاء مفتوحة.. خاصة عندما لمحت

السمّاعة بجانب السرير، كان معناها أن غادة تُريد أن تختلي بنفسها: إيـه؟؟ كانت تُشير لغادة..

التفت غادة: عايزة إيه؟

ميّادة: البسي السمّاعة.. كانت تُشير إلى أذنيها.. عايزة أكلّمك..

هزّت غادة رأسها علامة أن: لأ..

خلعت ميّادة جزمتها، وألقتها إلى رُكن الغُرفة، ثم اقتربت من غادة التي أعطتها ظهرها: مالك يا غدغد؟ غدغود؟ حد مزعّلك يا قمر؟

لم تُجبها فالتفت حول السرير لترى وجهها: إنتي بتعيّطي؟؟ فيه إيه؟

أشارت إليها غادة إشارة أن اتركيني وحدي..

ميّادة: عشان خاطري يا غـدغودة حُطّي السمّاعة.. وناولتهـا لهـا..

مالك يا حبيبي فيه إيه بقه؟

غادة: أحمد..

ميّـادة: إنتـي لحقتـي؟؟ زعّلـك الـواد ده؟ ده أنـا أطلّـع عـينْ أمـه.. إحكيلي..

حكت لها غادة ما حدث.. سكتت ميّادة قليلاً مُحاولـة إيجـاد مـدخل: أوساخ.. ولاد كلب..

شعرت أنّها بدأت بداية طيّبة أكثر من اللازم فأردفت: إيه اللـي مشـّاكي إنت وهو على النيل؟؟

غادة: هو المفروض إن الناس ما تمشيش على النيل؟ ممنوع؟

ميّادة: لأ.. بس.. على العموم هو مـالوش ذنـب برضُـه.. أي حـد مطرحُه كان هيخاف عليكي..

غادة: آه بس يكون واثق من نفسُه.. أنا كُنت شايفة الخوف في عينيه وهو بيبُصِّلي..

ميّادة: كان خايف عليكي..

غادة: أنا مش مُتخيّلة إنّي أشوفُه تاني.. فيه حاجة دايمًا هتفضل ما بينّا..

ميّادة: غادة دي عيال بتتسلّى..

غادة: تتسلّى على كرامتنا؟

ميّادة: بيحصل أكتر من كده..

غادة: وإشمعنى أنا بالذات؟

ميّادة: غادة ده حظ وحش بس.. عشان خاطري عدّي الموضوع..

غادة: لو حازم حصلّه كده قُدّامك هتسكُتي.. هتنسي..

ميّادة: أكيد لأ.. بس..

قاطعتها غادة: الناس في الشارع كانت بتبُصّلنا أكنّنا كُنا بنعمل حاجة غلط.. وهو.. أنا سمعت الظابط بيقولّه حاجة زي يا روح أمّك كده.. كدب عليّا.. بيقولّي ده ذوق..

ميّادة: أي حد مطرحه كان هيكدب.. الموقف ده صعب..

غادة: كان خايف أوي.. حسّيت إنّي لوحدي.. ما كانش هيقدر يحميني.. إتهزّأ قُدّامي.. وأنا كمان إتهزّأت..

ميّادة: يعني كُنتي عايزاه يضربهُم.. كان لازم يعمل كده.. أي واحد مطرحه كان هيسكُت..

غادة: أيوة بس إحنا ما عملناش حاجة غلط عشان نسكُت.

ميّادة: مش لازِم تعملي. . هوّ كمان ما يقدرش يخبّط معاهُم. . الوضع كان هيبقى ألعن. .

غادة: إتكسر قُدّامي وأنا كمان زي ما أكون إتعريّت قُدّامُه. . أنا مش مصدّقة. .

انهمرت دموعها ساخنة على خدّها. . لم تدر ميّادة ما تفعل: غادة. . كلّميه. .

غادة: ما ينفعش. . خلاص. .

قبّلتها ميّادة في خدّها: طب إهدى دلوقتي وبعدين نكلّمُه. . أو كيه. .

هزّت غادة رأسها واستدارت على جنبها. . مدّت يدها إلى الموبايل. . فتحت الرسالة وقرأتها. . لحظات ثُمّ قرّرت الرد فكتبت: أحمد أنا كويّسة بس مش هينفع نشوف بعض دلوقت. . أرجوك ماتصعّبش الموضوع عليّا. . محتاجة وقت شويّة لوحدى. .

على دكّته أمام النيل تلقّى أحمد الرسالة. . لم يكُن يتخيّل أن تنقلب حياته رأسًا على عقب بهذه السُرعة. .

أخذ يقرأها مرارًا وتكرارًا حتّى حفظها. . كان يعرف أن الموقف في غاية الصعوبة بالنسبة إليها، لكنه أيضًا كان ينتظر منها التفهُّم. . ففي النهاية الذنب ليس ذنبه. .

و إن كان في نفسه يشعُر بمذلّة هائلة للأسلوب الذي اتبعه مع النقيب تحاشيًا لبعزقة الكرامة، فقد يتطوّر الأمر إلى "يللّه يله على البوكس" و "كانوا بيبوسوا بعض!"

ما كسره حقًا كان رد فعله هو . . ولكن هل كانت باليد حيلة . . ظلّ على حاله حتّى أشارت عقارب الساعة للسابعة إلا عشرة دقائق . . ميعاده مع علاء . .

على القهوة كان الأخير جالسًا في انتظاره . . ذقن لم يزورها موس حلاقة منذ أسبوعين ووجه شاحب من إثر سهر طويل وسواد تحت العين كأنّه الكُحل . . سلّم عليه أحمد وجلس . .

علاء : مالك . . مش طبيعي . . وشّك فيه حاجة . .

لم يقو أحمد على أن يحكى ما حدث : مفيش . . مشاكل في الشُغل . . عادى . . إنت أخبارك إيه؟؟

علاء : فيه أخبار كويّسة وأخبار مش كويسة . .

أحمد : إبدأ بالأخبار الكويسة . .

علاء : فيه جُرنال تانى هعمل إجتماع معاه بُكرة . . جُرنال جديد . .

أحمد : مش نستنّى شويّة يا علاء لمّا الأمور تهدا . . الموضوع بتاع جُرنال الجيل الحُر لسه ماتنساش . .

علاء : هو ده اللي هُمّا عايزينُه . . إضرب المربوط يخاف السايب . .

أحمد : يعنى إيه؟

علاء : يعنى إضرب على الحديد وهو سُخن . . اللي معايا لازم يتنشر في الوقت اللي هُمّا مش متوقّعينه . . مش هيعرفوا يقفلوا كُل يوم جُرنال . . تبقى فين الديمقراطية بقى؟؟

أحمد : علاء أنا خايف عليك . . أنا بقول نستنّى شويّة . .

شرب علاء رشفة شاي: صدّقني هو ده أحسن توقيت. . لو قفلوا الجُرنال هيفتحوا على نفسُهُم باب. .

الناس هتبتدي تسأل فيه إيه. . هو ده اللي أنا عايزُه. . فيه كمان تحقيق وقعت عليه إمبارح مش هتتخيّلُه. . موضوع لو إتنشر هيهز الدنيا. .

أحمد: موضوع إيه؟

علاء: موظّف في البنك المركزي، أبو واحد معرفة قدرت أقنعُه يجيبلي مُستندات من البنك عن القروض الوهمية اللي بضمانات أوهم المسحوبة من البنوك المصرية، وتقرير بيقول إن الخُسارة ٢١٠ مليون السنة دي بعد ما كانت من تلات سنين مكسب تُلتُميت مليون. . عندك تفسير؟؟ أنا عندي وبالورق. . شلّة موظّفين مُرتّب أقل واحد خمسة وعشرين ألف. . العمولات والهدايا عيني عينك وكُلّه بياكُل من تحت الترابيزة. . بلاش. . ظابط في الآداب أخو واحد صاحبي. . رائد. . عارف عرفت منُه إيه؟؟ حكا لي عن ملفّات دعارة لنسوان مُجتمع وفنانات وشواذ مقفول عليها ومفيش أمر ضبط. . عارف ليه؟؟ أسماء كبيرة أوي. . والمُفاجأة. . على راسُهُم مين؟؟ سالي. . سالي الإسكندراني. . الملفّات دي ما تطلعش غير لمّا يتغضب عليهُم زي هشام فتحي كده. . يزعّل اللي فوق. . ملفّاتُه القديمة تطلع. . ملفُه موجود قبل ما يظهر شريطُه مع سالي بسنتين. . ماطلعش غير لمّا بقى مُزعِج. . فيه شبكات كاملة معروف كُل تفاصيلها بس مفيش أمر بالقبض عليها. . أغلبها بنات موديلز عايزين يشتغلوا في

الإعلانات . . بيقدّموا الغالي والرخيص دليفيرى في الفنادق والشُقق . .

كُل ده أنا حطّيت تفاصيلُه في خزنة البنك . . مع صورك كمان، المقالات دى هتبقى مختومة بختم النسر . .

تنهّد أحمد وخياله لا يُفارق ما حدث مع غادة : ما قلتليش إيه الأخبار الوحشة؟

علاء : فيه واحد جارى في بيت أبويا وأمي كلّمني إمبارح . . قال إن فيه ناس من المباحث سألوا عنّى . . يعنى بعد الجُرنال ما إتقفل بيومين أو حتّى تانى يوم . . قالهم إنُى عزّلت من زمان . . الواد مترّبى معايا بصراحة . . أثق فيه يعنى . . واضح إن فيه حد من جُرنال الجيل رطرط . . أنا حاسس إنهُم قرّبوا يوصلوا لي . .

أحمد : وبتقول لي عندك بُكرة مُقابلة في جُرنال جديد؟!! إنت هتودّى نفسك في داهية يا علاء . . مش بعيد إنّنا كمان متراقبين دلوقتى . .

علاء : ماتخافش . . أنا عامل حسابى . .

أحمد : فسّر لي . . عامل حسابك إزّاى يعنى . .

علاء : يعنى مفيش حد بيراقبنى . . أنا عارف . . أنا بتمشى من ٣ ساعات . . دخلت مول ليه أربع مخارج وطلعت بعد ما لعبت في الأسانسيرات نُص ساعة . . صدّقنى لو فيه حد كُنت حسّيت بيه . . مش هيعرف يروّح بيتهُم بعد اللي عملتُه فيه ده . . إنت ناسى إنّى سوابق وبتاع مُظاهرات قديم . .

أحمد: مش قالقني غير ثقتك دى.. طب واللي سألوا عليك؟؟ والجُرنال الجديد؟؟ مش يمكن يوقفوه برضُه أو حد يبلّغ عنّك؟؟

علاء: وارد.. عشان كده أنا كُنت عايز أقابلك النهاردة.. بُص يا أحمد الناس دى معادى معاهُم بكرة الساعة عشرة الصُبح.. لو ما كلّمتكش لغاية حداشر إطلع على البنك.. إفتح الخزنة وخد كُل حاجة فيها.. مش هطالبك تعمل حاجة بس هبقى مطّمن إن الحاجة دى معاك..

أحمد: بلاش الكلام ده يا علاء.. الموضوع مش مستحمل تضحيات.

علاء: بُص يا أحمد هي يا تِن تِن يا تِن تِن..

أحمد: يعنى إيه؟

علاء: يعنى يا تنجح يا تنتحر.. أنا مش فارقة معايا.. مفيش حد حتى لو قبل ينشُر هيرضى يشغّلني.. أنا لا زوجة ولا عيال ولا حتى وظيفة دلوقتي.. دى مُجازفة أنا عارف.. بس مش انتحار.. صدّقني.. أنا كُلّي أمل إنّي أرجع تانى أبقى صحفي بس مش في الظروف دى.. يا أنا أتغيّر، يا الظروف تتغيّر، وصدّقني التانيه أسهل..

أحمد: تفتكر البلد دى تستاهل كُل ده؟

علاء: وأكتر من كده.. يا أنا يا هُمّا يا أحمد.. ده أنا صعيدي، ماتعوّدتش حد يلوى دراعى..

أحمد: بس النُكت كُلّها على الصعايدة يا علاء..

علاء : مش بعد كده يا أحمد . . مش بعد كده . . بُكرة هيقولوا صعيدي هوّ اللي قلَب الدُنيا . . هيتّريقوا عليكم إنتوا يا بتوع مصر . .

أحمد : اللي تشوفُه . . خلّي بالك بس من نفسك ولو إنّي بقول برضُه يا علاء بلاش بُكرة ده . .

علاء : ماتبقاش خوّاف . .

كان أحمد بالفعل مهزوزًا مأخوذًا بالموقف الذي تعرّض له مُنذ ساعات . .

كتم انفعاله وحاول أن يُركِّز تفكيره مع علاء . . كانت الساعة قد تعدّت العاشرة في نقاش طويل عن تفاصيل الخطوة القادمة عندما نظر علاء في ساعته : أنا لازم أقوم دلوقتي . . عندي لسه كتابة كتير . .

أحمد : هوصّلك . .

علاء : مش هينفع . . روّح إنت . . الطريق مُمّل بالمترو . .

أحمد : أنا مش عايز أروّح دلوقتي . . هاجي أضيع الوقت معاك . . هوصّلك وأرجع تاني بالمترو . .

علاء : طب يلله بينا . .

تمشّيا حتّى التحرير . . كان أمامهُما ٤٥ دقيقة ليصلا بالمترو إلى محطّة حدائق حلوان . . طريق طويل تكدّس فيه الناس على كراسي عربة المترو بوجوه سئمت روتين المشوار اليومي . . أطفال يعبثون كالشياطين هُنا وهُناك ، يُعطون مُبرِّرًا قويًا لإلقائهم من العربة وهي تمشي . . رجال عجائز ونساء بدينات مُستهلكات الصحّة . . شباب ورجال في مُنتصف العُمر عائدون من العمل ، أو ربما هم ذاهبون . . فتاة جميلة تقف وحيدة ، وشابان

لا يغمض لهُما جفن عن الفتحة الصغيرة التي تُظهر جزءاً صغيراً من ساقيها، وشاب ملتح لا يرفع عينيه عن القرآن.. خليط غريب من البشر تجمعهُم تلك العربة التي تتمايل فتتمايل معها الرؤوس والأجسام تمايُل الدراويش في حلقة الذّكر.. لا يقطع الصمت سوى مرور مترو آخر بجانب العربة ليهزّها ويصرُخ فيها بعُنف.. استند أحمد وعلاء على الباب. يتحدّثان قليلاً ويسكتان كثيراً حتّى جاءت محطّة حدائق حلوان.. انفتح الباب ونزلا في المحطّة..

علاء: حداشر يا أحمد.. لو ماكلّمتكش إتحرّك..

أحمد: هتكلّمني وتسمّعني أخبار حلوة كمان..

علاء: أحمد.. إنت مش مُطالب بحاجة.. أنا بفكّرك..

هز أحمد رأسه يُطمئنه: بلاش الكلام ده..

إلتفت علاء ناحية ماكينات التذاكر، وأشار إلى عمارة من ثلاثة أدوار تظهر من خلفهما: أنا ساكن هنا..

كان يُشير إلى صف العمارات المُقابل للمترو.. عمارة قديمة صغيرة واجهتها من الطوب الأحمر محشورة بين العمارات.. الدور الواحد به شقة واحدة..

علاء: الدور التالت.. لمّا الجو يروق أنا عازمك إنت والواد التخين هنعمل حفلة وهادبح جدى..

أحمد: شيء لله يا شيخ علاء.. بركاتك..

مد علاء يده: سلام يا أحمد.. إطلع إنت الكوبري العلوي وعدّى خد المترو اللي راجع الناحية التانية..

أحمد: سلام يا علاء.. خلّي بالك من نفسك..

علاء: خلّيها على الله.. خلّي بالك إنت من نفسك..

افترقا.. لوّح علاء له بعدما مرّ من ماكينة التذاكر ووقف أحمد للحظة أشعل فيها سيجارة ثُمّ مضى إلى الكوبري العلوي في آخر الرصيف.. صعده ووقف ينظُر إلى العمارة التي يسكُن بها "علاء".. حفظ مكانها علّه يأتيه في زيارة قريبة.. رأى "علاء" وهو يدلف المدخل المُظلم وصعد بعينيه إلى الدور الثالث عندما لمح من فتحة الشيش ضوءاً مُتسللاً ينطفئ.. لم تكُن هُناك إلا شقّة واحدة في الدور.. شقّة لا يسكُنها إلا ساكن واحد.. كان النور من شقّة علاء.. أخذته المُفاجأة للحظة أخرج بعدها تليفونه وطلب رقم علاء..

أتاه صوت تلك السيّدة التي لا تمل ولا تكّل.. "الهاتف الذي طلبته خارج نطاق الخدمة، عاود الاتصال.." .. اتصل ثانيًا وهو يقفز درجات الكوبري العلوي.. أغلق علاء الخط.. ركض أحمد ناحية باب الخروج وقفز فوق ماكينات التذاكر وسط ذهول الموجودين وهو يضرب الرقم للمرّة الثالثة: رُد يا علاء.. رُد..

أتاه صوت علاء: إيه يا أحمد.. فيه إيه؟؟

لمح أحمد شابًّا يرتدي سُترة رياضية يخرُج من مدخل البيت ويتّجه ناحية سيّارة مرسيدس ١٩٠ زيتي تحمل ثلاثة آخرون.. سائق واثنان في الخلف.. كان يبدو مستعجلاً.. فتح الباب الأمامي وركب بجانب السائق الذي ظلّ واقفًا لا يتحرّك.. كان أحدهُم ينظُر إلى أعلى.. لشقّة علاء..

كان أحمد يلهث من تأثير النيكوتين المُتراكم في صدره: علاء إنت فيه حد معاك في البيت؟؟

علاء: لأ.. بس فيه كركبة مش عاديّة في الشقّة..

أحمد: طب إقفل وإنزّل حالاً..

سكت علاء لحَظة ثُمّ استطرد: فيه حد دخل الشقّة يا أحمد!!

كانت تلك آخر كلمة سمعها أحمد حين دوى انفجار عنيف من شقة علاء.. كان أحمد يعبُر الشارع لناحية العمارة عندما سمع صوت فرقعة تصُمّ الآذان من إثر تفريغ هواء ونار زرقاء تخرُج من أفواه الشبابيك.. تطاير الزُجاج في كُل اتجاه ناحية الشارع الضيّق ومدخل المترو وانبطح المارة أرضًا من الذُعر..

كان الصوت أشبه بصريخ شيطان.. كُل ذلك لم يأخُذ لحظة، وجد أحمد بعدها نفسه على الأرض واضعًا يده على عينيه يتّقى الزُجاج المُتطاير. انقطعت الأصوات عنه فجأة كأنّ أحدهُم فكّ وصلة الصوت عن أُذنه..

كان المشهد أمامه صامتًا حين لمح السيارة المرسيدس الزيتية تتحرّك بجانبه مُسرعة، وشابًا في الخلف يرفع جهازًا لاسلكيًا إلى فمه، قبل أن تنعطف إلى شارع ضيّق.. ظلّ أحمد في تلك الحالة لأكثر من عشر ثوان إلى أن بدأ الصوت في العودة تدريجيًا.. أصوات مُتداخلة.. صراخ من أطفال وبعض النساء المذعورات.. تصاعدت الألسنة بلا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.. أكيد أنبوبة.. حد يكلّم المطافي يا جدعان.. حد معاه رنّات.. فيه ريحة غاز.. استُر يا رب.. أوعى يا ست إنتى لا حاجة تضرب تانى.. قام

أحمد من مكانه . . كانت التفاصيل مشوّشة أمامـه . . لم تكُـن نظّارتـه علـى وجهه . .

نزل على ركبته يبحث في الأرض في ضوء الشارع الخافت الـذي أذكـاه الضوء البرتقالي المُنبعث من النيران . . تحسّس الأرض حتّى التقطتها يداه . . رفعها إلى عينيه فوجد العدسة اليُمنى قد تصدّعت . .

لبسها على عينيه واتجه إلى مدخل العمـارة أمـلاً في أن يجـد عـلاء مُـصابًا عندما اعترضته أيدي اثنين مـن أهـالي الحـي . . يـابنى تعـالى هنـا . . النـار هتكلك . . رايح فين . . مفيش حد فوق مُمكن يبقى فيه روح . .

صرخ فيهُم . . اوعى . . إنتوا بتضيّعوا وقـت . . عـلاء مُمكـن يكـون إتصاب بس . . يابنى الدور كُلّه نار مش مُمكن يكـون حـد لـسّه عـايش . . المطـافي جايّـة دلـوقتي . . إنـت قريبـه؟؟ دفعهُـم أحمـد في عُنـف وقفـز إلى المدخل . . يابنى هتودّى نفسك في داهية الله يخرب بيتك!! لم يـسمع أحمـد شيئًا ممّا قالوه . .

لم يدر بنفسه إلا وهو على أعتاب الدور الثالث . . رائحة خانقة ودُخـان يعمى الأبصار . . أخذ ينادي علاء . . علاء . . علاااااء . . صعد إلى نـصف السلالم المُوصِّلة إلى الدور الثالث حين سمع انفجاراً آخر وصـوت سـقوط شيء ثقيل . . كانـت الـنيران تطُـل ألـسنتها مـن الـشقة كألـسنة الأفـاعي المشقوقة، وكانت الرؤية شبه مُنعدمة كعدسة الكاميرا بدون ضبط البؤرة . . صرخ . . علاااااء . . لم يكُن يستطيع أن يتقدّم أكثر من ذلـك . . لكنّـه يـد صارمة في كتفه . . انزل . . انزل . . إيـه اللـي موقّفـك هنـا؟ فيـك حاجـة؟ متصاب؟

كان رجُل يرتدي جاكتًا برتقاليًا وخوذة نُحاسية، ويُمسك بعتلة من لصُلب.. رجُل مطافئ..

نزل أحمد إلى الشارع أمام باب المترو وجلس على الرصيف.. صعد رجُل على سلم سيارة المطافئ مُحاولاً إسكات صراخ النيران.. كان أحمد يتنفّس بصعوبة من إثر الدُخان الذي دخل رئتيه.. ظلّ يسعل حتّى كادت رئتاه تتشقّق.. رفع تليفونه المحمول واستعاد آخر رقم.. نظر إلى اسم علاء على الشاشة، فلم يتمالك نفسه من البُكاء.. بكاه كمن فقد أخًا لم تلده أمُه.. ظل على هذه الحالة ربُع ساعة حتّى بدأت النيران تحتضر وتخفُت اكتظ المكان بالمارة المُتطفّلين وسيارات الشُرطة وثلاث سيّارات مطافئ خراطيم مياه كالثعابين وفيضان على الأرض يصنع وحلاً.. فجأة بدأت الناس تتجمهر أمام المدخل.. رجال المطافئ ينزلون بحمل على نقّالة اقترب أحمد من المدخل.. كانت النقّالة تحمل علاء أو ما كان علاء منذ قليل.. يُغطّونه بملاءة بيضاء لم تُخفِ تلك اليد التي اسودّ لونها.. أشاح أحمد بوجهه حين صاح أحد رجال الشُرطة في الناس: فيه حد يعرفه؟ فيه حد يا جماعة يعرف الساكن اللي في الدور التالت اسمه إيه؟

صاحت سيدّة عجوز: اسمه علاء يابني.. بيشترى من عندي طعمية كُل يوم..

الضابط: ما تعرفيش اسمه علاء إيه يا حاجّة؟

السيّدة العجوز: ماعرفش يابني.. هو بس اسمه علاء..

الضابط: طيّب يا ست.. يلله يا جماعة عشان الناس تعرف تشتغل..

ابتعد الناس قليلاً مساحة تسمح بوضع الجُثة في سيارة الإسعاف التي فرّقت الجمع بسرينتها العالية واخترقت الزِحام لتختفي عِندما أمسك أحمد بمرفق أحد رِجال المطافئ: بعد إذنك . .

الحريقة حصلت إزّاي؟

أجابه رجُل المطافئ بعجلة : أنبوبة يا كابتن . . أنبوبة ضربت . .

أحمد : ضربت لوحدها كده؟؟

رجُل المطافئ: لسّه ما نعرفش . . يمكن تكون منفّسة . . أو عُقب سيجارة والنار طالتها . . الله أعلم . .

أحمد : الراجل اللي كان فوق مات في ساعتها؟

رجُل المطافئ: الله أعلم . . إنت تعرفُه؟؟

أحمد : لأ . .

انسحب أحمد ، نظر للعمارة من فوق كوبري المترو العلوي بنظّارته المكسورة قبل أن يعبر إلى الجهة الأخرى ويتّخذ طريقه للبيت . . كان الطريق طويلاً في العودة . . ظلّ أحمد دافنًا وجهه بين يديه مُغمض العينين . . آخر لحظاته مع علاء لا تُفارق مُخيّلته . . صوته . . وجهه وهو يضحك . . التحدي بداخله . . تصميمُه . . الساعة حداشر . . حداشر ! ! ارتد أحمد للوراء دُفعةً واحدة جعل سيّدة مُسنّة بجانبه تنتفض . . أخرج تليفونه وطلب رقم عُمر : ألو . .

عُمر : إيه يا عم الحبّيب . . إنت فين من الصُّبح؟؟

أحمد : عُمر . . إنزل قابلني دلوقتي . .

عُمر : فيه إيه؟؟

أحمد: علاء..

عُمر: ما لُه؟؟

خفض أحمد صوته: علاء مات يا عُمر..

صرخ عُمر: إيه؟؟ يا نهار اسود.. إيه اللي حصل؟؟

أحمد: هفهِّمك لما أشوفك.. قابلنى بس في الشقّة..

عُمر: أفهم إيه اللي حصل.. ماتسيبنيش كده..

أحمد: مش هينفع في التليفون.. إسبقنى على الشقّة..

عُمر: قُدّامك قد إيه؟

أحمد: نُص ساعة بالكتير..

عُمر: أحمد.. الموضوع ده ليه علاقة بالصور؟؟

أحمد: يمكن..

عُمر: الله يخرب بيتك.. مش قلتلك هنروح في داهية..

أحمد: عُمر.. إقفل وإستنّانى في الشقة..

أغلق أحمد الخط وأسند رأسه إلى الزُجاج خلفه حين مرّ قطار آخر يصرخ في عُنف ويهزّ عربته..

كانت أفكاره مُبلبلة من المُفاجأة.. دُخان كثيف يملأ رأسه.. أغمض عينيه.. لم يدر كم محطّة مرّت حتّى

سمع صوتًا.. صوتًا مألوفًا يُنادى: أحمد.. أحمد..

أنزل رأسه.. كان العرق يتصبّب منها.. العربة خالية تمامًا من الناس.. نوافذها لا تعكس أي شيء من الخارج.. القطار كأنّه يمشى بسُرعة الضوء.. نظر لمصدر الصوت فوجده جالسًا.. ببروده المعهود.

بأناقته المُفرطة وبدلته الكروازيه السمنيّة.. كما هو حين رآه أوّل مرّة في الكازينو.. وسيمًا واثقًا، بارداً كرُصاصة لم تنطلق.. انتفض أحمد حين رآه حتّى كاد يسقُط من على الكرسي..

ابتسم له في هدوء: إيه.. شُفت عفريت؟

استعاد أحمد توازُنه: إنت فعلاً زى العفاريت.. إنت مين؟

أجابه: إزّاى ما تعرفنيش؟

أحمد: هو المفروض إنّى أعرفك؟

أجابه: يعنى..

أحمد: إنت عايز إيه بالظبط؟

أجابه: نفس اللي إنت عايزُه بالظبط..

أحمد: إنت مباحث.. أنا شُفتك تلاتين مرّة ماعرفتش مرّة إنت إيه.. إنت مين؟

ابتسم وأخرج منديله القُماش ووضعه على فمه: يومك باين عليه كان صعب أوى..

أحمد: مش هتقدر تعرف..

قالها وهو ينظُر إلى مكان الخاتم في يد الرجُل أمامه..

خاتم حرف ال "G".. لم يكُن موجوداً..

كان مكانه علامة فاتحة على اصبعه.. علامة حجب الضوء عن تلك المنطقة من إثر ارتداء الخاتم لُمدّة طويلة.. نظر أحمد في وجهه ليجده هو الآخر ينظُر إليه.. إلى يده تحديداً.. التفت أحمد إلى يديه ليرى ما ينظُر إليه هذا المعتوه.. كانت يده متّسخة.. لا شيء فيها غير التُراب.. لا شيء

سوى علامة في بنصره. . علامة أفتح من بقيّة الأصابع. . علامة حجب الضوء عن تلك المنطقة من إثر ارتداء خاتم. . ارتداء خاتم لُمدّة طويلة. . تأمّلها. . لمَ تكُن موجودة من قبل. . فركها بإصبعه. . سمِع صوت الرجُل: فهمت حاجة؟؟

التفت في سُرعة إلى جانبه. . لم يجِده. . اختفي كأنّه تبخّر. . كان هُناك آخرون. . ازدحمت العربة فجأة. .

نساء ورجال وأطفال. . كأنّهُم ظهروا من العدم. . قام يبحث في العربَة. . مرّ على كُل الوجوه فيها. .

لم يعُد له أثر. . أخذ يتأمّل تلك العلامة الفاتحة حتّى جاءت محطّته. . محطّة الملك الصالح. . ظلّ واقفَ أمام العربة حتّى رحلت. . ولم يظهر. .

عشر دقائق حتّى أفاق من المواجهة الغريبة، واتّخذ طريقه إلى شقّته. .

. . . .

في مكتب صفوان كان الهدوء مسيطراً . . جلس صفوان ينظُر في الفراغ وأمامه مطفأة سجائر مزروع فيها غيط من الفلاتر المُستعملة، حين قرع الباب مُصطفي عارِف ودخل في سُرعة مُتحمِّسًا يبدو على وجهه الظُفر: تمام يا فندم . .

صفوان: إيه الأخبار؟؟

مُصطفى: كُل حاجة مشيت زى ما سيادتك أمرت . .

صفوان: إتأكّدت؟؟

مُصطفى: الهدف لسّه واصل لتلاجة المُستشفي من خمس دقايق . . أنا ما بلّغتش سيادتك غير لمّا سمعت بوداني . . وفيه حاجات كتير جمّعناها من الشقّة قبل ما يوصل . . مفيش رُكن ما فتّشناش فيه . .

صفوان: فيه أى أصول؟

مُصطفى: مش بالظبط . .

صفوان: يعنى إيه مش بالظبط؟

مُصطفى: لقينا شويّة أوراق خاصة بالبنك المركزي . . مقال بيتكلّم عن رشاوى وعمولات ونُسخة تانية من اللي صادرناه من الجُرنال قبل كده . . وشويّة صور . .

صفوان: مفيش أصول؟؟ مفيش نيجاتيف صور . .

مُصطفى : للأسف لأ . . بس فيه حاجة . .

صفوان : حاجة إيه؟

مُصطفى : فيه مُفتاح . . مُفتاح خزنة بنك . .

صفوان : فين المُفتاح ده؟؟

أخرج مُصطفي من جيبه المفتاح وناوله لصفوان الذي تأمّله : ده مُفتاح بنك إيه؟

مُصطفى : العلامة مش موجودة . . واضِح إنّ حد كحتها . . فيه رقم بس . . رقم مُسلسل . .

تأمّل صفوان المفتاح . . كان عليه من إحدى الجوانب رقم " ٥٧٠ " . .

صفوان : تقدر تعرف ده بنك إيه؟

مُصطفى : من بُكرة يا فندم هبعت مندوب من عندى يروح البنوك اللي فيها خزن . .

كان صفوان يتفحّص المفتاح : البنك ده قديم . . مُفتاحُه يدوى مش زى البنوك الجديدة . .

رجع بالكرسي إلى الخلف وفتح دُرج مكتبه الأيمن ، أخرج عدسة مُقرّبة وضع المفتاح تحتها وقرّب الأباجورة : فيه كتابة كانت محفورة هنا . . كان نظُر لجانب المُفتاح . . واضِح إنّه حاول يخفيها بآلة حادّة . . مكتوب بنك ل . . ال . . شطب اسم البنك . . ده يُحصر الموضوع شويّة . . يعنى بنك صر لأ . . البنك الأهلي لأ . . يمكن بنك الإسكندريّة أو بنك الائتمان و يمكن بنك القاهرة . . بنك أوّله ألف ولام ، بُكرة من بدري تعرف لي نك إيه . . المُفتاح ده لقيتوه فين؟

مُصطفى : تحت الغيارات الداخليّة في دُرج الدولاب . .

صفوان : ٩٠ في الميّة الخزنة دى فيها الأصول . . أنا عايز القصّة دى تخلص بُكَره يا مُصطفى . .

مُصطفى : أكيد يا فندم . .

صفوان : الموضوع التانى أخبارُه إيه؟

مُصطفى : مافاضلش عندنا غير أحمد كمال واحد بس نتأكّد إنّه هو . . بُكرة هيكون فيه خبر . .

صفوان : تابع معايا . .

مُصطفى : هكلّم سيادتك أوّل ما يبقى فيه أخبار . .

صفوان : مُصطفي إحنا لسّه ما خلّصناش . . مش عايز مُجازفة لغاية ما نقفل الباب ده . . مفهوم . .

مُصطفى : مفهوم يا فندم . . بُكرة بالليل هيكون كُل ده إنتهى . . المسألة مسألة وقت . .

في الوقت الذي أغلق فيه مُصطفي الباب على صفوان، كان هُناك مفتاح يولج في باب شقّة المنيل . .

كان عُمر جالسًا على الأجهزة يُغلق الملفّات بكلمة سر، ويُخفي كُل ما له صلة بعلاء والصور المشئومة، بعدما جاءته مُكالمة أحمد حين سمع صوت فتح الباب . . انتفض في رُعب . . هب من مكانه يُمسك بمكواة أحمد ويقف بجانب الباب مُنتظرًا الداخل . . سمع خطوات تقترب . . رفع يده بالمكواة استعدادًا ليهوى بها على مُقتحم خلوته، حتّى ظهر أحمد الذي أفلت بأعجوبة من ضربة كادت تقضي عليه : إيه يابنى ده . .

عُمر: إفتكرتك حد تاني.. إيه اللي حصل؟

ارتمى أحمد بظهره على المرتبة في وسط الغُرفة بعدما خلع نظّارته، وأغلق عينيه لدقيقة لم يتوقّف فيها عُمر عن سؤاله عن ما حدث.. كان يشعُر بارتخاء غريب في أعصابه كأنّه تناول مُخدِّرًا قويًا.. بات كلام عُمر همس غير مفهوم.. صُداع خلف العين من أثر فقدان عدسة النظّارة وتلك اللزوجة في شرايينه كأنّ الدم قد نفد، وألم كالسكّين ينبُض مُعتصرًا كتفه..

لم يستمع أحمد لكلمة ممّا قال عُمر حتّى عبارة: أنا هامسح الصُّور..

قام أحمد من مكانه يخلع قميصه: مفيش صور هتتمسح يا عُمر..

عُمر: طب فهِّمني إيه اللي حصل..

أحمد: علاء مات.. فيه حد كان في البيت قبل ما يطلع.. انفجار بشع..

عُمر: مُمكن واحدة واحدة..

حكي له أحمد تفاصيل المُقابلة، وظروف الانفجار والوفاة حتّى كاد لُعاب عُمر أن يسيل..

عُمر: إنت مُتأكِّد إن كان فيه نور في الشبّاك؟

أحمد: زي ما أنا مُتأكِّد إنّك قُدّامي دلوقتي..

عُمر: والعربية المرسيدس مالحقتش تاخُد نمرتها..

أحمد: كُل حاجة حصلت بسُرعة..

عُمر: وبتقُولّي أخلّي الصُّور ما أمسحهاش.. إنت مجنون.. إحنا لغاية هنا حلو أوي..

احتد أحمد فجأة كإبريق يغلى : لو مش عايز تكمِّل ماحدِّش ضربك على إيدك ، إرمي الصور دى على سى دى وأنا هتصرّف . .

عُمر : إنت هتتشنِّك عليّا؟!! أنا عايز مصلحتك يا غبي . .

إنت كده هتضيع نفسك وتخيِّطنى معاك . .

أحمد : أنا عارف أنا بعمل إيه كويِّس . .

عُمر : إنت مش عارف حاجة . . وإنفعالك ده هيخلّيك تقع في الغلط إن ما كُنتش وقعت فيه أورريدى . .

أخذ عُمر يدور في دوائر حول أحمد : دلوقتى الناس دى وصلت لعلاء ، ومش بعيد يكون عندهُم معلومات عنّك إنت كمان . . تعالى نفكّر بهدوء . . إنت كلمتُه في التليفون؟؟

أحمد : كلّمتُه . .

عُمر : إمتى؟؟

أحمد : قبل ما يحصل الانفجار بلحظة قلت لك . .

عُمر : ما أظنّش إنهُم يلحقوا يتابعوك . . وإحتياطى إقفل التليفون وإفصل الشريحة . . طب تفتكر إن الناس دى فتشت البيت؟ يعنى لقوا عندُه حاجة تخُصّنا . .

كان أحمد ينزع بطارية الموبايل ويزيل الشريحة : مش ده اللي خايف منّه . . المُشكلة إنهُم يكونوا لقوا المُفتاح . . الأصول في الخزنة وعلاء كان بيخاف يشيله معاه عشان لو اتقبض عليه . .

عُمر : ما يعرفوش كلمة السر اللي معاك . .

أحمد : ده مش هيقف قُدّامهُم . . لو حبوا يعرفوها هيعرفوها . .

عُمر: ده إذا عرفوا البنك.. إنت مش قُلت إن علاء كان كاحت الاسم؟

أحمد: أيوه.. مفيش غير رقم الخزنة.. بس ده مش هيوقّفهُم برضُه.. يمكن يعطّلهُم ساعات بس..

عُمر: ورّيني المُفتاح..

أخرجه أحمد من جيبُه وناوله لعُمر: لازِم نتخلّص من البِتاع ده.. إسمع كلامي يا أحمد..

أحمد: ناخُد الحاجة وبعدين كده كده مش هيبقى لُه فايدة..

عُمر: إنت عايز الأصول في إيه؟؟ الناس دى مش هتسمح بأى نشر للمعلومات دى.. الكلام ده يتعمل في أي دولة برّه.. مش هنا.. والا إنت عايزنا نحصّل علاء..

دفن أحمد وجهه بين يديه في حين استطرد عُمر: اسمع كلامي يا أحمد.. مش هنقدر نُقف قُدّام الناس دى.. اللعبة ما بقتش لعبة.. إنت عارف كويّس أوى إنّنا في الآخر عيال بالنسبة لهم..

و أديك حاولت وكفاية جلال والفضيحة اللي عملناها لُه.. كتّر خيرنا.. فُل أوى لغاية كده.. والا هي إنتحار وخلاص..

أحمد: ده ما يمنعش إنّ لازم أفتح الخزنة..

عُمر: طب لو إتقابلتوا هناك؟

أحمد: هُمّا مش أسرع منّي.. فيه كذا بنك والعمليّة مش سهلة.. آخُد الأصول وبعدين نبقى نفكّر..

من الصُبح بدري هكون واقف قُدّام البنك.. خمس دقايق والحاجة تبقى معايا..

قام عُمر ووقف يسند ظهره إلى ترابيزة الكمبيوتر . . نظر في وجه أحمد . . مط شفتيه وضيّق عينيه . .

و قطب جبينه : وده يبقى آخر كلام؟

لم ينظُر أحمد لعينيه : ربنا يسهّل . .

عُمر : كُنت عارف إنّك هتقول كده . . ربنا يسهل بتاعتك دى يعنى لأ ، يا أحمد إحنا في عرض أي حاجة تبعدنا عن الناس دى . .

رفع أحمد رأسه : قلت لك ربنا يسهّل . .

قالها وهو يُحدق في شيء خلف عُمر . . شاشة الكمبيوتر . . كانت مفتوحة على ملف به صورة علاء . . الصورة التي التقطها له عُمر في الشارع وتحوّلت إلى صورة فاضحة . .

عُمر : الحاجة دى نولّع فيها . . تختفي . . أنا مش عايز أتبهدل . . هبيعك من أوّل قلم أنا عارف نفسي . .

أحمد : ششش . .

قام أحمد يزيح عُمر من أمام الشاشة : تعالى أقعُد . .

عُمر : عايز إيه تانى؟؟

أحمد : إفتح صورة علاء على الفوتوشوب . .

عُمر : إحنا مش قُلنا خلاص . .

أحمد : وإنت مش قُلت إحنا في عرض أي حاجة تبعدنا عن الناس دى؟

فتحها عُمر : دماغك فيها إيه؟؟

أحمد : معاك بطاقتك؟

عُمر : عايز تعمل إيه يا نيلة؟

أحمد: إنت لسّه ما عملتش الرقم القومي مش كده؟

عُمر: لسّه.. قالها عُمر وهو يفتح دُرج المَكتب ليُخرِج محفظته.. كانت محفظة جلد ثُعبان سوداء بالية، لو كانت لصلاح الدين الأيوبي لكانت أفضل حالاً.. كانت مملوءة بأوراق ونقود مطويّة طي البرديـاّت الفرعونيـة.. مـن بـين الأنقـاض استخرج عمـر البطاقة.. كانت مُهترئـة كمخطـوط قـديم.. كخريطـة كنـز، عليها صورة لثلاجة بدون باب، شعرها أشعث وترتدي قميص أزرق يُشبه ملابس المساجين.. ذلـك كـان عُمـر في الـسادسة عشرة.. تناول أحمد البطاقة بـأطراف أناملـه.. تأمّلـها قبـل أن يضعها في الماسحة.. مدّ عُمر يده ليُغلق الـدُرج حـين لمـح أحمـد شيئًا فضيًا لامعًا.. استوقف يد عمر وفتح الدُرج ثانيًا.. كان ما رآه خاتمًا.. خاتمًا عليه حرف "G".. تضاربت نبـضات قلبـه في هستريا.. أخرجه من الدُرج وهو يسأل عُمر الـذي انخـرط في مسح بطاقته ضوئيًا: إيه ده؟

عُمر: أنت عبيط يله..

أحمد: مين جاب الخاتم ده هنا؟

عُمر: أمي..

صرخ أحمد: مابهرّجش؟؟

عُمر: إيه يلله.. إنت إتجنّنت.. إنت اللي حطّيتُه هنا..

أحمد: أنا ما أعرفش أي حاجة عن الخاتم ده.. بس عـارف مـين اللـي بيلبسـه.. وعارف إن مش أنا..

عُمر: جرى إيه يا أحمد. . يا إبنى الخاتِم ده بتاعك. . إنت نسيتُه والـلا إيه؟

أحمد: الخاتم ده مش بتاعى. .

عُمر: والنبي أنا ما فايق للهبل بتاعك ده. .

أحمد في توسُّل: يا عُمر عشان خاطري بجد رُد عليّا، الخاتِم ده بتاع مين؟ أنا اللي جبتُه هنا؟

عُمر: يا حبيبي الخاتم ده إنت عملته عشان غادة. . "G" أوّل حرف في اسمها. . إيه اللي حصلّك يا عم المسطول؟

أحمد: عملتُه إمتى؟

عُمر: أنا مش مصدّق إنّك بتهرّج دلوقتى. .

أحمد: رُد عليّا بس. . عملتُه إمتى؟

عمر: بعد ما كلِّمتها في التليفون أوّل مرّة وعرفت إنّها إسمها غادة. . عملتُه في الحسين عند بتوع الفضّة. . كلّفك ٦٥ جنيه. . عايز حاجة تانى. .

أحمد: طب وحطّيتُه هنا ليه؟

عُمر: عشان إتكسفت توريها إنّك ولهان من أوّل مرّة تقابلها. . إيه ده؟ تحقيق؟

رجع أحمد إلى مرتبة السرير وجلس. . رفع الخاتم. . أخذ يتأمّله. . لبسه في اصبعه. .

كان مُطابقًا. . لم يكُن يملُك أي تفسير. . كانت الليلة مشحونة لدرجة لم يعُد هُناك مكانًا لحدث إضافي. .

إلا أنّه تذكّر شيئًا . . صورة . . صورة جلال في آخر مرّة قابله في الكازينو قبل أن يكتب له الورقة المُربكة . .

أحمد : عُمر . . افتح لي صور جلال الأخرانية . . صورته مع البنت الصُغيّرة . .

عُمر : إيه اللي فكّرك بي دلوقتي؟

أحمد : عايز أشوف حاجة بس . .

فتح عُمر الصورة . . انحنى أحمد يقترب من الشاشة . . كان ينظر إلى أعلاها . . إلى المكان الذي لوّح منه ذلك الرجُل ذو الخاتم عندما أعطاه الورقة الفارغة . . لم يكُن موجودًا . . كانت الترابيزة وراء جلال وخليلته شاغرة .

أحمد : عُمر . . إنت قصّيت الصور دي؟

عُمر : ولا عملت فيها حاجة . .

أحمد : الخلفيّة . . كان فيه راجل في الخلفيّة . .

عُمر : راجل مين يا أحمد؟

أحمد : الراجل صاحب الخاتم ده . .

عُمر : ما كانش فيه حد في الخلفيّة يا أحمد إيه اللي حصلّك؟

ارتمى أحمد على المرتبة بظهره . . انتابته ومضات كضربات فلاش الكاميرا . . ومضات سريعة له وهو يرسم شكل الخاتم على ورقة بيضاء . وهو يتسلّم الخاتم من محل الفضيات . . ومضة وهو يرتديه في الكازينو . ومضة رأى فيها نفسه جالسًا وحده على ترابيزة . . ترابيزة في آخر الكازينو خلف جلال مُرسي . .

كان ذلك أكثر من احتماله . . ارتخى جسدُه تدريجيًا حتّى استسلم . .
نام . . نام بعمق كما لم ينم من قبل . . بالأحرى فقد الوعي . . شاهد نفسه
واقفًا أمام مرآه . . مرآه في وسط غُرفته . . مرآة تعكس كُل ما بالغُرفة إلا
تفصيلة واحدة . . هو . . لم يكُن له انعكاس . . أحمد . . أحمد . .
أحاااامد . . أخذ الصوت يعلو تدريجيًا حتّى فتح عينُه . .

كان عُمر لا يزال في مكانه : إيه يله؟؟

أحمد : أنا نمت؟

عُمر : أنتَ مُت . .

لم يعُد يملك إمكانيّة التحليل أو الاستنتاج . . كان وقت تنفيذ خطّة إنقاذ
العاجلة . .

طرد هواجس لا تفسير لها بعدما دس الخاتم في جيبه وشبح ذلِك الرجُل
الغامض لا يُفارِق خياله . .

التفت لعُمر : افتح صور جودة . .

عُمر : إيه اللي فكّرك بجودة دلوقتي؟؟

أغمض أحمد عينه اليُمنى التي فقدت زُجاج عدستها وهو يُدقّق في
الشاشة : جميل قديم ولازِم يترد . .

. . . .



في الثامنة والنصف صباحًا كان بنك القاهرة يفتح أبوابه للجمهور . . سيّارة حسَن ابن عمّة عُمر كانت بعيدة نسبيًا عن المدخل وإن كانت تكشفه، وكان عُمر وأحمد جالسين في السيّارة حين لمحا أبواب البنك تنفتح . . أمسك أحمد مقبض الباب : أنا نازل . . افتكر اللي قُلت لك عليه . . رُبع ساعة وتتحرّك لغاية الميدان وتستنّى . . رُبع ساعة كمان لو ما جيتلكش تروّح وتولّع في كُل اللي عندك . .

عُمر : المُفتاح معاك؟؟

أحمد : معايا . . ومعايا شنطة بلاستيك . .

عُمر : حاول تنجز . .

أحمد : المُهم ما يكونوش سبقونا . . لو شُفت حاجة إدّيني رنّة . .

قالها أحمد ونزل من السيّارة في اتجاه الباب، في حين تابعه عُمر في المرآة . .

دخل أحمد البنك . . كان لا يزال خاليًا لا حركة فيه بعد إلا من بعض الموظّفين الذّين لم يستفتحوا بعد . .

مرّ بعينيه يقرأ اللافتات فوق الشبابيك . . لم يجد ما يمُت بصلة إلى الخزائن . . أخذ يتأمّل وجوه الموظّفين الذّين انهمكوا في ترتيب مكاتبهُم وفتح أجهزتهم . . اختار رجُلاً يبدو مشغولاً في أوراق أمامه . .

أحمد : صباح الخير . .

رد الرّجُل بدون أن يرفع عينيه : صباح النور . .

أحمد: والله أنا كان ليا خزنة عندكُم هنا وكُنت عايز أ . . .

قاطعه الرجُل: استاذ أحمد راشد، تانى مكتب على الشمال . .

أحمد: شكراً . .

كان أحمد راشد رجُلاً طويلاً وسيمًا في أواخر الخمسينيات . . وكان مُدير
لفرع . . قرع أحمد باب مكتبه . .

أحمد: صباح الخير . .

أحمد راشد: صباح النور . . إتفضّل . .

أحمد: والله كان عندي خزنة والدي عندكُم وعايز أفتحها . .

أحمد راشد: معاك البطاقة والتوكيل؟

ناوله أحمد البطاقة: إتفضّل . .

كان عُمر قد استبدل صورته مع صورة قديمة لأحمد، بعدما غيّر البيانات
عملية جراحية قضى فيها الليل كُلّه ليكتُب اسم علاء جُمعة تحتها بعدما
سح اسمه بعصارة الليمون . .

فتح أحمد راشد البطاقة مشمئزاً: إيه يابنى ده . . البطاقة دى ما
نفعش . .

أحمد: والله بقالي فترة عايز أغيّرها بس مفيش وقت . .

مد الرجُل يده بالبطاقة لأحمد: البطاقة دى ما تنفعش . . لازم بطاقة
رقم القومي . .

أحمد: أنا مستعجل والله يا أستاذ أحمد . . ما ينفعش نمشّيها المرّة دى
والمرّة الجاية أكون عملتها . .

أحمد راشد: مش أنا اللي حاطط القوانين.. إنت كان لازم تعملها، مَحَدّش بيمشي بالبَتاعة دي دلوقتي..

لمح أحمد بروازًا فوق مكتبه؛ فيه صورة لثلاث بنات في سن مُختلفة..

الصغيرة كانت بدينة منكوشة الشعر ترتدي بلوزة **Adidas**..

أحمد: دول بناتك أكيد؟

ظهر الزهو على وجه الرّجُل: دول بناتي.. شيرين ونيرمين.. والكلبوظة دي نيفين، آخر العنقود.. أسمائهُم لايقة على بعض مش كده؟ أهي الكبيرة دي خطوبتها النهاردة..

أحمد: ربنا يخلّيهم لك.. أمامير أوي.. لو حبّيت تجيب لُهُم هدوم يا ريت تكلّمني..

بدا على وجه الرجُل الاهتمام: هو حضرتك شغّال فين؟؟

أحمد: أنا شغّال في توكيل أديداس.. هجيبلك خصم يجنّن.. أسعار تانية خالص بقى غير المحلات..

أحمد راشد: عارف.. إنت باين عليك إبن حلال.. أنا همشّيلك المَوضوع المرّة دي.. عشان وشّك سمح ده، بس إعمّل البطاقة الجديدة بقى المرّة الجاية.. ثُمّ نظر في البطاقة.. إسمك علاء إيه؟ مش باين..

أحمد: علاء.. علاء حسين السيد جُمعة..

أحمد راشد: إنت قُلت توكيل أديداس ده فين؟

....



فتح الرجُل أكثر من بوّابة حتّى يصل إلى القبو حيث غُرفة الخزائن. . كانت الغُرفة عريضة متخمة بالأدراج التي تُغطّي كُل الحوائط. . أخذ الرّجُل مُفتاح أحمد وقرأ الرقم قبل أن يمشي قليلاً ليتوقّف عند خزينة عليها الأرقام نفسها. . ٥٧٠. . وضع مفتاح أحمد ووضع مفتاح البنك في ثُقب بجانبه. .

أصدرت الخزينة تكّة. . سحبها الرجُل ووضعها على منضدة تحتل مُنتصف الغُرفة. .

أحمد راشد: حافظ الرقم السري؟

أحمد: طبعًا. .

أحمد راشد: أجيب لك كيس طيب؟

أجابه أحمد في عُجالة: شكراً معايا. . يدوب عشان ألحق معادي. . .

تركه الرجُل ليُكمل فتح الخزينة. . كتب الرقم على العجلات الثلاث الأشبه بالتروس. . ١٩٣٣. . ثُمّ ضغط على زر في الجانب فانفتحت الخزينة التي كان بداخلها ظرف أصفر كبير مُكدّس وملتصقة به ورقة مطويّة. . فضّها أحمد. . كانت رسالة من علاء. . رسالة من ثلاثة سطور. .

مش قُلت لك إن فيه ناس ضوافرها طويلة. .

لو وصلتك الرسالة دي يبقى أنا كده عملت كُل ما في إستطاعتى. .

لسه بأكّد لك إنّك مش مُطالب بحاجة. . إفتكرني بالخير. .

في نفس ذلك الوقت لمح "عُمر" سيّارة مرسيدس سوداء تقف أمام مدخل البنك . . نزل منها ثلاثة أشخاص أحدهُم كان معه لاسلكي وفي جانبه طبنجة . . يتقدّمهُم "مُصطفي عارف" الذي كان يتحدّث في تليفونه المحمول مع صفوان: أنا قُدّام بنك القاهرة سيادتك . . سألت الصُبح في الفرع الرئيسي قالوا لي إن ده مُفتاح الخزن بتاعتهُم . . وعرفت إن الخزنة دى في فرع مصر الجديدة . .

مُصطفى: قُدّامك قد إيه؟

صفوان: عشر دقايق وأكلّم سيادتك . .

في السيّارة الحمراء، انزلق عُمر في الكرسي الأمامي حتّى اختفت رأسه . .

أخرج تليفونه وضرب رقم أحمد . . تلك الرسالة البغيضة . . هذا الرقم غير مُتاح حاليًا . . يا نهار اسود . . طلب مرّة أخرى . . أجابته نفس السيّدة . . كان أحمد في ذلك الوقت يطوى الورقة ويضعها في جيبه ويُخرج كيس بلاستيك أسود ويضع فيه الظرف الأصفر عندما أتته رنّة . . نظر في تليفونه المحمول . . كان رقم عُمر . . لم يكُن لتلك الرنّة إلا معنى واحد . . أغلق الخزينة بعدما رمى فيها ظرفًا أخرجه من جيبه، وسحب كيسه، ثم وثب سلم القبو إلى أعلى عندما اصطدم بشخص . . كان أحمد راشد مُدير الفرع: أستاذ علاء . . رايح فين؟

أحمد: يدوبك ألحق مشوارى . .

مُدير الفرع: طب ما تيجى خمس دقايق نشرب قهوة في المكتب . .

أحمد: معلش مرّة تانية . .

مُدير الفرع : طب آخُد بقى رقم تليفونك . .

أملاه أحمد رقم تليفون ارتجاليًا : هستنّى تليفونـك . . هعملّـك خصم هايل . . هايل . .

حاول أحمد أن ينسحب مُبتسمًا فاستوقفه مُدير الفرع : إستنّى . . هدّيك رنّة تسجّل رقمي بقى . .

لم ينتظر الرجُل . . ضغط زر الاتصال بالرقم الوهمي الذي أعطاه له أحمد وظلّ واضعًا التليفون على أذنه ينتظر سماع رنّة وصول الرقم : عارف والله دي مش شُغلتي . . المفروض فيه موظّف تحتي هو اللي يعملها ، أخد إذن نُص ساعة . . بس حظي بقة عشان أتعرّف عليك . .

انقضت ثوان قبل أن يُصدر تليفون أحمد رنّة سريعة . .

دهش أحمد ونظر في شاشة التليفون . . كانت الرنّة من عُمر يستعجله . .

مُدير الفرع : ما لكش حجّة بقى رقمي معاك أهه سجّلُه وهكلمك عشان أجيب البنات وأجيلك . . فيه مقاسات للتُخان؟؟

كان أحمد يسحب نفسه منه سحبًا : أنا ليّا الشرف يا باشا . . كُل المقاسات موجودة . . تنوّر . . سلاموُ عليكُو . .

أستاذ أحمد يا راشد . . فيه ناس عايزينك . . كان ذلك صوت موظّفة أتى من خلف شبّاك من شبابيك الصرف . . ودّعه مُدير الفرع وذهب يستقبل زائريه . .

انسحب أحمد إلى الشارع مُسرعًا . . اتجه إلى عُمر الذي كان "مفعوصًا" في الدريكسيون . . خبط بيده على سقف السيّارة فانتفض عُمر يدوّر المُحرّك وانطلقا بعيداً . .

في الداخل كان مُدير الفرع واقفًا مع مُصطفي عارف: أستاذ أحمد..
عقيد مُصطفي عارف معاك..

هز مُدير الفرع رأسه في تحيّة: أحمد راشد مُدير الفرع..

مُصطفى: معانا مُفتاح خزنة عايزين نفتحها..

مُدير الفرع: أوى أوى وماله.. فيه توكيل؟

مُصطفي عارف: كُل اللي إنت عايزه..

قاطعه صوت يُنادى مُدير الفرع من عند الباب.. كان موظفًا رفيعًا للغاية بدت عليه العجلة..

اقترب من مُدير الفرع: أستاذ أحمد.. إتأخّرت عليك؟؟

مُدير الفرع: جيت في وقتك.. والا أنا أفضل شايل شُغلك بقه طول اليوم..

التفت المُدير إلى مُصطفي عارف: ده هاني مسئول الخزن عندنا.. هيعملّك كُل اللي سيادتك عايزُه..

ثُمّ إلتفت لهاني: هاني.. عقيد مُصطفي معاك.. شوف طلباتُه.. اللي يؤمُر بيه..

هاني: إتفضّل يا فندم..

أشار هاني إلى مُصطفي عارف أن تفضّل، في حين سحبه مُدير الفرع بعيدًا يُكلّمه: هاني أنا لازم أمشي دلوقتي.. إنت عارف النهاردة خطوبة بيرين عُقبال عندك.. إتصرّف إنت معاهُم شوفهُم عايزين إيه..

هاني : سيب كُل حاجة عليّا يا أستاذ أحمد . . إحنا عندنا كام شيرين . . مبروك يا باشا . . توكّل سيادتك على الله وإقفل موبايلك حتّى عشان محدِّش يزعجك . .

تركه هاني واتّجه مع مُصطفي عارف إلى القبو : سيادتك رقم الخزنة كام؟

كانوا أمام باب القبو عندما ناوله مُصطفي المفتاح : الرقم اللي مكتوب على المُفتاح ده . .

هاني : هو المُفتاح مش بتاع سيادتك؟

مُصطفى : لأ مش بتاعى . .

توقّف هاني : دى مُشكلة . . يعنى سيادتك مفيش معاك الرقم السري؟

وضع مُصطفي يده على كتف هاني : معايا أمر نيابة . . الخزنة دى فيها حاجات بتمس أمن بلدك كُلّها . . صدّقنى مش هتحب تعرف مين مُنتظر مُكالمة منّى دلوقتي أطمّنه إن كُل حاجة تمام . .

هاني : بس سيادتك . . أنا ما أقدرش أعمل ده لوحدى . . لازم أبلّغ إدارة البنك . . وأستاذ أحمد اللي كان هنا دلوقتي مشى .

مُصطفى : إفتح وبعدين كلِّم كُل اللي إنت عايزهُم . . كُل دقيقة محسوبة عليك صدّقنى . .

هاني : طيب أشوف كارنيه سعادتك وأمر النيابة . . أصورّهم بس صورة . .

أخرج مُصطفي الكارنيه من محفظته ، وفتح كف هاني وخبطه في راحته : صورّهم زى ما إنت عايز بس أنا قُدّامى خمس دقايق لازم أكون

خرجت من هِنا . . إفتح وبعدين بروِزه، صوّره، كُل اللي إنت عايزه . .

اختفي هاني دقيقة عاد بعدها مع زميلين آخرين وظرف ومفتاح . . سحب الخزينة وضرب الرقم السري . .

مُصطفى: شكرًا بقى لغاية كده . . سيبنى لوحدي شويّة . . لما أخلّص هندهلك . . ماشي . .

تركه مُوظّفو البنك . . انتظر حتّى اختفوا، ثُمّ فتح الخزينة . . وجد فيها الظرف الذي تركه أحمد . .

فتحه ليجِد نيجاتيفات وصورة . . صورة لشخصين . . أخذ الظرف ثُمّ أخرج تليفونه وطلب رقمًا . .

صفوان: ها . . خلاص؟؟

مُصطفى: تمام يا فندِم . .

صفوان: طب يلله تعالى حالاً . . متابِع الموضوع التانى بتاع الجوازات؟؟

مُصطفى: خلاص دِلوقتى مفيش داعي يا فندِم . . لمّا سيادتك تشوف اللي معايا هتفهَم . .

صفوان: طب يلله ما تتأخّرش . .

مُصطفى: مسافة السكّة يا فندِم . .

على مكتب صفوان وَضع مُصطفي الظرف . . فتحه وأخرج مِنه بعض النيجاتيفات لأشخاص في الكازينو وصورة مطبوعة . .

صفوان: ده علاء جُمعة أنا عارف شكلُه . . بس مين اللي معاه ده؟؟

مُصطفى: ده المصوّراتى بِتاع كازينو باريس اللي قُلت لسيادتك عليه . .

صفوان: أحمد كمال؟؟

مُصطفى: لأ يا فندم.. ده جودة اللي توفي من فترة..

كانت أمام صفوان صورة حميمية جداً لجودة وهو يبتسم محتضناً علاء جُمعة.. صورة ماركة "عمر™" لا يختلف عليها اثنان.. قضى ليلته كُلّها يصنعها كما لم يصنع صورة من قبل.. راعى فيها كُل التفاصيل.. كانت بحق تُحفته الفنّية التي لن يُكتب عليها اسمُه..

صفوان: يعنى كانوا يعرفوا بعض؟؟

مُصطفى: هو ده كان المصدر يا فندم.. واضح إنّه باع الصور دى أو يمكن إدّها لعلاء قبل ما يموت.. أرشيف قديم عندُه وإستغلّه علاء عشان يرفقه مع مقالاته..

صفوان: إنت مُتأكد إن ده جودة؟

مُصطفى: جودة كان بيشتغل في الكازينو يمكن من أوائل السبعينات. ليه ورق عامل وصورة بطاقته..

صفوان: طب والتانى؟؟ أحمد كمال؟؟

مُصطفى: التانى مُشكلته إنّه كان مُصوّر باليوميّة مع جودة.. أجرى مش متأيد.. مالوش ورق.. أنا كلمت الجوازات حتّى وأنا جاى بيقولوا إن كُل اللي اسمهم "أحمد كمال" فعلاً لسّه في السعوديّة.. مفيش حد جه.. المُشكلة إن كُل المعروف عنّه إنّ إسمُه "أحمد كمال" وبس.. حتّى محدّش يعرف أحمد حاجة كمال والا أحمد كمال على طول.. مفيش اسم ثلاثي ولا تفاصيل مكان سكن لأنّه كان ساكن في أودة كانت مخزن قديم في الكازينو..

صفوان: والأصول؟؟
قاطعه مُصطفى: وارد تكون مش كُل الأصول.. أو اللي كان عندُه صور بس مش أصول، ويمكن يكون أغلبها اتحرق معاه في الشقّة وده اللي فضل.. مش هنقدر نعرف؛ لكن سيادتك الموضوع كده مابقاش فيه شهود..
صفوان: مش متعوّد أعتمد على الوقت عشان يثبت لى إن الموضوع إنتهى..
مُصطفى: إحنا معندناش إختيار، ٩٩٪ الموضوع إنتهى، لكن يفضل الواحد في الميّة ده وارد لغاية ما الوقت يتكفّل بيه ونتابع برضُه سيادتك مع الجرايد..
شرد صفوان بعينه مُتابعًا ريشات مروحة السقف وهي تدور: طيب سيبني شويّة دلوقتي يا مُصطفى.
مُصطفى: أوامر سعادتك..
استوقفه صفوان وهو عند الباب: مُصطفى.. قصقص الديول وقفّل الملفّات.
مش عايز حد يسمع عن المواضيع دي.. كأنها ما حصلتش. مفهوم.. إنت عارف، كلمة تتنطور المجهود ده كُلّه هيبقى في الأرض. مش عايزين نهدّ اللي عملناه..
مُصطفى: أكيد يا فندم.. مفهوم..
رحل مُصطفي وترك صفوان شاردًا.. لم يكُن يُفكّر إلا في شيء واحد.. واحد في الميّة..

في الأستوديو بدأت أنفاسهم تهدأ . . كان ما تعرّضا له أكبر من قوّة تحمّلهم . . اشترى أحمد في طريقه جريدة . . كان يبحث عن أثر لحادث علاء . . في الطبعة الثالثة صفحة ١٤ كُتب خبر صغير عن انفجار أنبوبة بوتاجاز بحي حدائق حلوان بسبب عُقب سيجارة أودى بحياة ساكن الشقّة . .

عُمر : علاء ماكانش بيشرب سجاير . .

أحمد : ولو حتّى بيشرب . . ده يدوبك دخل من الباب . .

كان الخبر كأنّه كُتب مُسبقًا . . تحصيل حاصل لا فائدة منه . .

انخرط الاثنان في العمل بعدما خبّأ أحمد الظرف مع الجريدة التي تحمل نعى علاء في مكان أمين . .

كان كُل منهُماً يُحاول دفن توتّره في حرفته . . حتّى أصبحت الخامسة من بعد الظهيرة ، حين سمع أحمد من يُناديه : أستاذ أحمد فيه ناس عايزينك . .

خرج أحمد إلى الاستقبال : مين؟؟

أجابته فتاة تعمل في الأستوديو : فيه آنسة برّه مستنّياك . .

خرج أحمد ليجد أمامه آخر شخص يتوقّع أن يراه . . لم تكُن تلبس النقاب . . كانت مُحجّبة . . وكان بجانبها حقيبة سفر كبيرة . . بدت مُرهقة ومكسورة . . كانت كأوراق شجر الخريف . . باهتة لن تتحمّل ضغطة . . ستُصدر صوت خرفشة إذا لمس يدها . . ستطير مع الرياح إذا اشتدت . .

أحمد : آية ! !

أجابته ودمعة ساخنة تتجوّل في عينيها : إزيّك يا أحمد . . كلّمتك . . تليفونك مقفول . .

أحمد : حمدلله على السلامة . .

لم يجِد كلامًا . . اقترب مِنها . . احتضنها وحمل حقيبتها إلى الداخل . .

. . . .

بعد شهر . . في إنترنـت كافيـه بالمهندسـين . . وسـط الألعـاب وغُـرف الدردشة والأغاني كان هُنـاك جهـاز في أقـصى الغُرفـة المكيّفـة يجلـس عليـه شابان . . أحدهُم بدين والآخر نحيل ويرتدي نظّارة . .

أحمد : إنت مُتأكد إنّه شغّال؟؟

عُمر : أيوة مُتأكد . .

أحمد : طب إحنا فين دلوقتي . .

عُمر : إنت بتبعت " **e-mail** " دلوقتي من إستراليا . . سـيدني . . زي ما تكون قاعد هناك . .

أحمد : مش هيعرفوا؟؟

عُمر : إنت نفسك مش هتعرف . . البرنامج اللي أنا نزّلتُه ده بيغيّـر رقـم الـ " **IP** " بتاع الكمبيوتر ، يعني بصمة الجهاز اللـي بتتبعـت مـع كُل معلومة على النت . . كده كُل سنة وإنت طيّب . .

رجع أحمد إلى الوراء واضعًا يده خلف رأسه : وإنتي بالصحّة والسلامة يا ست الحاجة . .

حمّل عُمر ملفًا مضغوطًا على شبكة الإنترنت من بريـد إلكترونـي صـنعه حديثًا . . أسماه باسم " علاء جُمعة " . .

انتهى التحميل فالتفت عُمر يسأل أحمد : هتسمّي الرسالة إيه؟

قطب جبين أحمد في تفكير لم يأخُذ أكثر من عشر ثوانٍ: سمّيها صورة للراقصة سالي بتعمل حلاوة. .

هز عُمر رأسه في رضا: مقدرش أقاوم رسالة بالشكل ده. .

كتب العبارة المُثيرة وبدأ وضع عناوين البريد الإلكترونيةّ. . كانوا خمسين عنوانًا. . عناوين كُل الجرائد والمجلات المصرية وعدد من الشركات الكُبرى. . بالإضافة لبعض الأصدقاء الذّين لا تنبلّ في بريدهم رسالة، من النوعيّة التي تصلُح دور صحافة ونشر فرديّة. . كان الملف يَضُم كُل ما كان في خزينة البنك. . مُستندات وعقود ملكيّة وصور مقالات وشهادات صحيّة. . ثروة علاء بالإضافة لصور جودة. .

قضى عُمر وأحمد فيها شهرًا ينقلونها على الكمبيوتر، ينسّقونها لتُصبح جليّة كالشمس. .

و لم ينسوا إضافة الصورة التي جمعت علاء وجودة نظريًا فقط. . صنعوا نُسخة مطبوعة من كُل الأوراق أيضًا، وأرسلوها إلى مكتب المُدّعى العام والرقابة الإداريّة. . طردًا عامرًا ملغومًا. .

عُمر: خلاص. . يلله. .

كان عُمر قد انتهى من إرسال الصور. . خرجا معًا يتمشيان على النيل في منطقة العجوزة، بعدما مسح عُمر كُل ما يُمتّ إليهم بصلة في كمبيوتر النت كافيه وترك لهُم هديّة. . ملف إضافي سيضطر معه صاحب النت كافيه لأَن يُعيد وضع الويندوز على الجهاز. .

أحمد: تفتكر الرسالة هتعمل حاجة. .

عُمر: طاعون. .

أحمد: يعنى إيه؟؟

عُمر: الطاعون إنتشر فجأة ومحدش عرِف يوقّفه. . عارِف ليه؟

أحمد: عشان محدّش كان عارِف بييجى من إيه. .

عُمر: كان بييجى من الفيران. . الإنترنت دلوقتى ألعن من الفيران. . بيوصل لكُل بيت زى ما الطاعون كان بيوصل. . الرِسالة دى بُكره الصُبح هيكون رُبع اللي بيستخدموا النت في مصر شافوها وبعد يومين ماتعرفش مُمكن تكون فين. . وموضوع البِت العريانة دى هيخَلّى الكبير يفَتحها قبل الصُغيّر. .

أحمد: كانَ نفسى علاء يشوف ده. .

عُمر: الله يرحَمُه. . في الآخِر كُل الناس هتشوف صورتُه ويعرفوا إن الراجِل ده مات عشان حاجة. .

حاجة تستاهِل. . ده غير جودة. . أهو ده اللي ماكانش يتوقّع إنّه يبقى بطل. .

أحمد: مش عايز أسبق الأحداث. . خايف أحلم. .

عُمر: يا عم الكئيب فيه شركات كبيرة بتُقع من إشاعة على النت. . إنت ناسي شركة الميّة المعدنيّة اللي قالوا بتعمل سرطان، الشركة قفلت. . إحنا باعتين بقه ورق ومُستندات وصور. . تفتكر هتعدّى سهل كده؟ وبعدين الناس ما بتصدّق تصدّق وتتخانق معاك لو كدّبتها أكّنها هى اللي حضرت الأحداث مش إنت. . وبعدين الطرود اللي بعتناها للرقابة الإداريّة ومكتب المُدّعى. . دى لوحدها تُهمة. .

أحمد : هنشوف . . ده آخر كارت عندي . .

عُمر : وأتقل كارت عندَك . .

أحمد : يا رب . .

. . . .

بعد أسبوعين . .

في المبنى الأثري بشارع القصر العيني . . كانت الغُرفة واسعة غاية في الفخامة . . عريقة تبدو من العهد الملكي يتوسّطها مكتب كبير مُستطيل، وراءه كرسي جلد أسود عال فوقه عوّامة برتقالية صغيرة منفوخة، يستعملها مَن يُعانون من البواسير لتخفيف الألم . . كان ذلك مكتبا يليق بشريف أمين . . والد حبيب . . فوق عوّامته كان جالسًا . . ساندًا نظّارته السميكة على قصبة أنفه العريض في وجهه المحفور كالأرض البور . . مُلتزمًا بالفرق الحاد على يمين شعره المصبوغ حتّى الثُمالة . . قصير القامة كما هو . . طويل اليدين كما هو . . عريض الأكتاف ثاقب النظرات حاد الصوت . . كما هو لم يتغيّر مُنذ أكثر من ثلاثين عامًا . . إلا أنّه اليوم بدا مُختلفًا . . كأنّ هموم الدُنيا ترقد فوق كتفه . . يُحدّق في أوراق أمامه باهتمام بالغ . . قطع هدوء الغُرفة صفّارة قصيرة تبعها صوت سكرتير مكتبه : شريف باشا . . عادل باشا نصّار يا فندم . .

شريف : خلّيه يتفضّل . .

قام من كُرسيه يضبط قميصه وعيناه لا تزالان على الورق أمامه يقرأ باهتمام . . كانت بعض الجرائد المُستقلة لليوم السابق قد صدحت بصدى رسائل علاء . . كان أمامه تل من الجرائد يتناول فضيحة ابنه رجُل الأعمال مع مجموعة شركات العسآل، وصور له في الكازينو مع "فتحي العسآل" وبعض الفتيات . .

و ملف كامل عن شُحنات الأغذية الفاسدة والمُنتجات غير المُطابقة والمُنتهية الصلاحية . . هذا غير فضائح رجال أعمال كبار على رأسهم " أيمن وصفي " وصفقاته مع إسرائيل وبعض ملفّات الساسة من ضمنهُم أحد كبار المُستشارين الوقورين في أحضان فنّانة إغراء من العهد القديم .

سمع خبطة . . انفتح بعدها الباب ليدخُل منه " عادل نصّار

شريف : أهلاً أهلاً عادل باشا . .

عادل : إزيّك يا شريف بيه . .

اتجه شريف ناحية كرسي مكتبه . . أخذ العوّامة ووضعها على الكرسي المواجه لعادل نصّار وجلس أمامه

شريف : البواسير مبهدلاني .

عادل : ألف سلامة . . وصلتك الأخبار .

شريف : وصلت .

عادل : وبعدين؟

شريف : كارثة .

عادل : هتعمل إيه؟؟

شريف : نمشّيه برّه البلد وبعدين نتصرّف . . هسفّره لندن النهارده . .

عادل : ده حبيب . . طب وأبو حبيب . .

شريف : أبو حبيب يعرف يتصرّف . . والموضوع هيشيلُه العسال . . الورق كُلّه باسمه . . حبيب كان شريك من الباطن . . محدّش هيقدر يثبت حاجة . .

عادل : طب والصور اللي فيها هُمّا الإتنين مع بعض في الكازينو؟؟

شريف: هي دي المُشكلة.. مُمكن نمشّيها صداقة وبس.. مش لازم يكون بينهُم شُغل..

عادل: بس ده هيضُر بسُمعتك إنت شخصيًا..

شريف: أنا عارف.. ومش هعلّق على حاجة لغاية الموضوع ما يتنسي.. إذا كان حادثة العبّارة إتنست.. ده مش هيتنسى؟

عادل: تعرف واحد إسمُه صفوان؟؟ صفوان البحيرى؟؟

شريف: أعرفُه.. كان شغّال معايا زمان..

عادل: لبس البيجاما.. قعد في البيت.. أصل هو اللي كان مسئول عن موضوع بار فيرتيجو بتاع مُحيي ذنّون وهشام فتحي.. ده كده مع الرأفة كمان..

شريف: الكلام ده فيه رسالة ليّا؟

عادل: شريف بيه أنا مش مرسال من حد.. أنا جاى أشوف عملت إيه.. الموضوع يمس الباشا..

شريف: هوّ عرف إمتى؟؟

عادل: من وقت بسيط..

شريف: على أى حال هو فاهم وعندُه فكرة من الأوّل..

عادل: ما تضمنش.. هو مش هيستنّى حد من رجّالتُه لمّا يُقع في فضيحة فساد علني، وبعدين مش أنا بس.. ده نُص الجرابيع بتوع مجلس الشعب ليهُم فضايح.. ده غير أيمن وصفي، ده موضوع تاني..

عادل: الموضوع لو كبر عن كده مُمكن يضطر ياخُد إجراء.. هيحمى نفسه..

احتد شريف: مش معايا.. إنت عارِف.. مِش أنا بالذات.. وهو كمان عارِف..

عادِل: على العموم حبيب لازِم يسافر النهاردة.. قرار المنع من السفر هيطلع في وقت بسيط.. مِش هقدر أعطّله أكتر من يومين..

شريف: فاهم.. فاهم..

قام عادل: أَسيبك أنا مش هعطّلك.. أنا كُنت بس بطمئِن عليك..

شريف: مُتشكّر يا باشا على الزيارة..

عادِل: إعمّل حسابك الباشا مُمكِن يطلُبك في خلال ساعات.. فكّر بقه هتقول لُه إيه..

ضم شريف شفتيه وهز رأسه: هنشوف..

عادل: سلام..

شريف: مع السلامة..

رحل عادل وظلّ شريف أمين جالسًا فوق العوّامة على الكرسي بجانب مكتبه.. ظلّ قُرابة نصف الساعة لا يَشعُر بالوقت.. كان في رأسه ألف حل لألف سؤال.. سؤال واحد فقط كان بلا إجابة..

كم من الوقت سيتحمّل كُرسيه تلك الفضيحة؟؟؟

في الأيّام التالية، تتابعت الأحداث بشكل سريع.. تم القبض على فتحي العسآل بعدما رُفعت عنه الحصانة.. صدرت عنه تصريحات من السجن ذكر فيها أسماء كبيرة مُتورّطة في مشاريعه..

هرب "حبيب شريف أمين" إلى لندن قبل ست ساعات من صدور قرار التحفُّظ عليه ومنعه من السفر..

أصدر شريف أمين تصريحًا واحدًا . . " لن تطول يد الفساد الشُرفاء . . أثق في نزاهة القضاء كما أثق في نزاهة نجلي "حبيب" . . لو صدر قرار اتهام ضد نجلي سيكون في مصر خلال أربع وعشرين ساعة . . لا أعبأ بتصريحات صادرة من عضوٍ فاسد يدّعي علاقته بحبيب لإثارة الرأي العام والمواطنين الودعاء "

أنكر تمامًا شريف أمين امتلاك ابنه لقُرى سياحية في أي مكان . . وبالأخص في الساحل الشمالي . .

استقال جلال مُرسي من رئاسة تحرير جريدة الحُريّة وسافر إلى لندن . . بعد ثلاثة أشهُر سقط من بلكونة شقّته بالدور الخامس بعدما شعر بدوار . . آخر مُكالمة له قبل سقوطه بخمس دقائق كان يطلُب فيها توصيل بيتزا " Sea Food " لشقّته!!

تم رفع الحصانة عن خمسة وعشرين عضواً من أعضاء مجلس الشعب بعد ظهور صورهم تباعًا على أغلفة المجلات والجرائد، وعلى شاشات الموبايل بجانب راقصات كازينو باريس وفتياته . . سبعة أعضاء منهُم كانوا ينتمون إلى نفس الحزب!!

عُثر على جُثة " كريم أبّص " في شقة بالزمالك . . وجدوا كميّة كبيرة من المُخدّر في جسمه . .

اختفت سالي تمامًا من على الساحة . . شوهدت في آخر عشرة أيام من رمضان في مكّة تؤدّي العُمرة . . وانطلقت إشاعة تقول إنّها ستظهر قريبًا في برنامج لتحكي عن الظُلم الواقع عليها . .

في حديث لها في مجلّة ظهرت فيها على الغلاف علّقت "عُلا زايد" المُمثّلة الشهيرة على علاقتها بالمُستشار الكبير الذي استقال من منصبه، بأنّها: علاقة صداقة بريئة اعتبرته فيها أخًا كبيرًا!!..

ظلّ "أيمن وصفي" بعيدًا عن الأضواء لا استجواب ولا تعليق.. خبت قضيّة صفقاته مع إسرائيل، واستيراده حبوبًا زراعيةً مُلوّثة كما تخبو النار في عود الثُقاب.. وإن ظلّت هُناك نُقطة مُتوهّجة صغيرة جدًا..

ظهرت صورة علاء جُمعة وجودة على صفحات الجرائد المُستقلّة.. تعدّدت القصص حولهُما.. من الناس من قال إنّهُما أصدقاء كفاح ضد الفساد.. ومنهُم من قال إنّهُما أب وإبنه.. ومنهُم من قال إن علاء اشترى تلك الصور منه.. لكن أحدًا لم يراوده الشكّ أنّ واحدًا منهُما لا زال على قيد الحياة..

لم تستطع صحيفة أن تتجاهل السبق.. أن تتأخّر في عرض معلوماتها عن الأحداث.. تشجّع بعض الناس وبدءوا يُرسلون صورًا متفرّقة ومعلومات للجرائد كانت مكتومة في الصدور والإمضاء من مجهولين..

سقطت الذبائح وكثُرت السكاكين.. سكاكين لم يكن أغلبها مسنون..

وكُلّما ظهر خبر نسبه الناس إلى جودة أو علاء.. أيًا كان منهُم على قيد الحياة.. لن يعرف أحد..

كانت رسائل أحمد كأحجار كسرت زُجاج نافذة.. أصاب شظاها البعض، وانزعج منها البعض، وحاول إنكارها البعض.. لكن أحدًا لم يتجاهل أنّها أصابت.. أصابت مقتل..

. . . .

في أقصى الشمال . . على ضفاف الأبيض المتوسّط تراصت الشاليهات على الرمال الناعمة كمكعّبات السُكّر . . صوت الموج الرّتيب يُنظّم إيقاع المكان . . رائحة البحر وتلك النسمة الباردة المُحمّلة باليود التي تُدغدغ الأعصاب . . في ذلك الوقت من السنة لم يَكُن هُناك رُوّاد للمكان باستثناء تلك الليلة . .

تلك الليلة التي وقف فيها شبح رجُل مغروسة قدماه في الرمال وحيداً أمام البحر ، واضعًا يديه في جيبه ينظُر للموج في ضوء القمر شارداً في الفراغ . .

لم يكُن ذلك سوى طارق . . طارق حسن عبد الله . . مُنفِّذ عمليّة بار "فيرتيجو"

بداخل الشاليه ، كانت تجلس سُميّة زوجته على كنبة من البامبو . . لم تعُد حاملاً . . رزقها الله بحبيبة . .

تلك الصغيرة الرقيقة ذات الأشهر التسعة التي تُنسيها الدُنيا حين تبسم . . نائمة في وداعة ، واضعة إبهامها الصغير في فمها على حجر أمّها ، أمّها التي اسود لون وجهها من إثر بُكاء متواصل . .

كانت أمامها عدد من الجرائد على ترابيزة صغيرة . . جرائد تتصدّرها صورة لزوجها . . صورته في بار فيرتيجو . .

كانت عيناها تُقاومـان النظـر إلى تلـك الـصورة إلى أن قامـت ووضـعت حبيبة برفق في سريرها الصغير وفتحت باب الشاليه وخرجت. . خرجت في اتجاه ذلك الشبح الذي وقف كصخرة لا يتحرّك ولا يهتز، كأنّه جـزء أزلـي من هذا المكان. . انغرست قدمها الناعمة في الرمـال تمـشي حتّى أصبحت خلفه. .

وضعت يدها برفق على كتفه. . بـدون أن ينظُـر إليهـا لـف ذراعـه مـن الخلف واحتضنها. .

لم تتمالك نفسها من البُكاء. . انفجرت كما لم تنفجر من قبل. .

طارق: إهدى يا سُميّة. .

وسط نحيبها: أهدا إزّاى؟؟

طارق: هنسافر. . هنسافر مكان محدّش يعرفنا فيه. .

سُمَيّة: بتقولها كأنّها سهلة. .

طارق: مفيش حل تانى. .

سُمَيّة: شُفت آخرة الطريق ده إيه؟

لم يُجبها. . لم يكُن يملُك الرد. . انقلبت حياته في يومين حين ظهـرت صوره على أغلفة الجرائد. .

صورة في البَار. . لم تكُن الصورة واضحة تمامًا لكنّها كانت كافية ليتلقّى الاستفسارات من معارفه. . تم استدعاؤه في العمل وبُنـاءً عليـه أخـذ مُهلـة يومين يُرتّب فيها أموره إلى حين إيجـاد مخـرج بعـدما انهـار المكتـب بأكملـه ولبسوا البيجامـات. . ذلـك التعبير الـدارج بينهُم الـذي يُـشير للإقـصاء المُفَاجئ. . "صفوان البحيرى" و"مُصطفي عـارف" ومـا تحـتهم. . فريـق بالكامل تمّت إزاحته كأنّ لم يكُن. .

الحل المُتاح كان إخفاء "طارِق" . . يومان حتّى يُتيحوا دولة مُضيفة تقبله مع زوجته وابنته . .

يومان قرّر قضاءهُما في الساحِل الشمالي بعيدًا عن الأنظار . .

سُميّة : أنا قافلة موبايلي بقالي يومين . . ماما حتّى ما تعرفش أنا فين . . مش هيَّ دي الحياة اللي كُنت مُتخيّلاها معاك . . ما كُنتش أعرف . . حبيبة؟؟ حبيبة يا طارِق . . هنعمل فيها إيه؟؟

طارِق : إهدي يا سُميّة . . العياط ده مش هيقدّم ولا يأخّر . .

سُمَيّة : أبويا وأمي أقول لهم إيه؟

طارِق : لمّا نسافر هنكلّمهُم كُل يوم . . مُمكن تهدى . .

سُمَيّة : عمري ما كُنت أتخيّل إن ده يحصل . . عمري ما كُنت أتخيّل إنّك تعمل حاجة بالبشاعة دي . .

طارِق : سُمَيّة دي كانت غلطة . . أنا بقالي فترة بشتغل في المكتب . . شُغل إداري . . إيه اللي مُمكن أعمله أكتر من كده دي كانت أوامر ، أنا ماليش ذنب فيها؟

سُميّة : مفيش حاجة ما بيدّفعش تمنها . . كُلّنا هندفع . . حتّى حبيبة . .

وسط صوت الموج الهادئ ارتفع صريخ حبيبة . .

طارِق : روحي شُوفي حبيبة . . أكيد خايفة . .

قبل أن تذهب جذبها من يدها واحتضنها . . حضنا كان يحتاجه أكثر منها . .

سُميّة : تعالى معايا . .

طارِق : شوية . . شويّة وهجيلك . .

اختفت داخل الشاليه وسط سيل من الهواجس انتابه، أخذ يلطمه تلاطُم الأمواج على الصخرة.. كان عقله يعمل بسُرعة مُحاولاً ترتيب وضعه الجديد حين لاحت في الأفق نقطة حمراء تتوهّج تقترب منه.. لم تكن سوى سيجارة في يد رجُل في العقد الثالث من العُمر وضحت ملامحه حين اقترب.. وسيمًا نسبيًا رشيق الجسم، يرتدي فانلّة كُحليّة مرسومًا عليها بخت وبعض العبارات الإنجليزيّة على شورت كاكي وحذاء رياضيّ.. بدا من أصحاب الشاليهات.. أصبح على بُعد خطوات من طارق حين قال: غريبة إنّي أقابل حد في الوقت ده..

التفت إليه طارق ثُمّ رجع بنظره إلى البحر في عدم اكتراث بعدما سحب نفسًا عميقًا: غريبة فعلاً..

وقف الرجُل بجانبه ينظُر للبحر: منظر جميل..

رد طارق في جفاء: فعلاً..

الرجُل: إنت هنا لوحدك؟

طارق: مين حضرتك؟

قالها والتفت ليجد فوهة مُسدّس كاتم للصوت مُصوّبة إلى رأسه: مُحيي ذنّون بيسلّم عليك!

اختفى البحر وانطفأ القمر، قبل أن يسكت صوت الأمواج بغتة..

......

شارعِ مُراد بالجيزة . . الساعة الحادية عشرة صباحًا . .

كانَ الخائن الصغيرِ يلعب أمام العِمارة التي يعمل بها أبوه بِجانب جاليرى كريشن . .

لا زال صغيرًا أسمر البشرة نحيلاً كالورقة مُجعّد الشعر . . ولا تزال لديه رغبة في مُمارسة الجاسوسية . . في الخيانة . .

كانت الكُرة تجرى عندما أوقفتها قدم "أحمد كمال" قبل أن يصطدم به الجاسوس الذي كان يجَرى خلفها . . رفع رأسه ونظر إلى أحمد: حات الكُورة . .

أحمد: حات؟؟؟ اسمها هات؟؟ بِتحب الشوكولاتة؟

أجابه الطفل: لأ . .

كان غلسًا رخمًا تلمًا في آن واحد: طب تاخُد ٢ جنيه تجيب اللي عايزُه؟

أجابه الصغيَر: ماشى . . عايزَ إيه؟

مدّ إليه يده بالنقود وما أن حاول الصغير أن يمسكها حتّى سحبها أحمد:

لأ لأ لأ . . المرّة دي توصّل الحاجة لآنسَة غادة ولّما تيجى تاخُد فلوسك يا حلو . .

أخذ الجاسوس صُحبة ورد بيضاء وظرف من أحمد وهمّ أن يجرى قبل أن يستوقفه: إستنّى . . لو شاورت عليا زى المرّة اللي فاتت مفيش ٢ جنيه ومفيش كورة وهعلّقك في الَشجَرة كمان . . ماشى . .

رمقه الطفل بنظرة حادة، ثُمّ جرى في اتجاه الجاليرى . .

بالداخل كانت غادة تتحدّث مع عميل عندما لمحت "إيلى كوهين" الصغير يدَخُل من الباب في مشهد مُشابه لما حَدث لها من قبل: إكسكيوز مي.. استأذنت العميل وذهبت إلى الخَائن الذي ناولها الصُحبة والظرف وهمَّ بالانصراف.. استوقفته.. سألته.. قال لها: معرفش حاجة هوّ قال أوصّل ده وخلاص.. لم يبُح بسرّه مُتذكِّرًا تهديد أحمد.. انسحب خارجًا وتركها تتأمّل الورد قبل أن تفتح الظرف.. كان به صور.. صور لها لم يحك أحمد عنها شيئًا.. صور التقطها كُلّما مرّ من أمام الجاليري.. واقفة.. شاردة.. حزينة.. تضحك.. تبتسم.. وصور ترجع إلى يومين مَضيا فقط.. كُل صورة تقول أنّها لم تفارقه لحظة.. ضحك قلبها وظهرت نُغزتيها الجميلتين تدريجيًا وهى تُفرِغ الظرف من آخر مُحتوياته.. كان خاتمًا.. خاتمًا فضيًا عليه أوّل حرف من اسمها..

أخذ الجرح القديم بداخلها يندمل.. ذلك الشرخ اللعين.. أمسكت تليفونها وضربت رقمه.. لَم تكُن لتمحيه.. انتظرت الرنين ثواني حتّى سمعته.. سمعته بجانبها.. التفتت لتجده واقفًا.. كان أنيقًا يرتدى ما علَى الحبل بالحَبل والمشَابك..

ابتسمت غادة في عذوبة: إيه كُل الصور دى.. إنت مراقبنى بقه!!

أحمد: يعنى..

غادة: مش هتبطّل حركاتك دى؟

أحمد: أَشُكّ..

غادة: كُنت فين؟؟ ثُمّ رفعت الخاتم بين أناملها: وإيه ده؟؟

ابتسم لها: دى قصّة طويلة.. طويلة أوى..

.. تمت بحمد الله..

شكر خاص

ـ الفنان حُسام عبد المنعم . .

ـ عَمّ جودة الجميل . .

ـ الصديق والشاعرِ طارق قطب . .

ـ أنتيمي المكلبظ محمود حسيب . .

«ڤيرتيجو» تحوي أكثر من رواية..... وهذا شيء من سحر الفن!

فاروق عبد القادر- جريدة البديل

أحداث مشوقة تقترب من دنيا روايات «چون جريشام» التي تحبس الأنفاس.

أسامة غريب - جريدة المصري اليوم

كان يوم مصور الأفراح الشاب أحمد كمال عاديًا حتى قاده القدر ليصبح شاهدًا على جريمة قتل بين كبار رجال الأعمال في مصر في البار الشهير الذي يرتاده الصفوة.. "**ڤيرتيجو**".. ينجو أحمد بالكاد ليبدأ رحلة قاسية يكشف لنا فيها الكواليس السرية لمثلث السياسة، الجنس والمال، في لعبة مثيرة ليس للخسارة فيها سوى معنى واحد.. الموت..

أحمد مراد روائي مصري ومصور ومصمم جرافيك؛ من مواليد القاهرة عام ١٩٧٨، حصل على البكالوريوس بترتيب الأول على شعبة التصوير السينمائي بالمعهد العالي للسينما عام ٢٠٠١. حصلت أفلام تخرجه على عدة جوائز في مهرجانات أوروبية.
" ڤرتيجو" هي روايته الأولى التي أصدرها في نوفمبر ٢٠٠٧.



تصميم الغلاف أحمد مراد